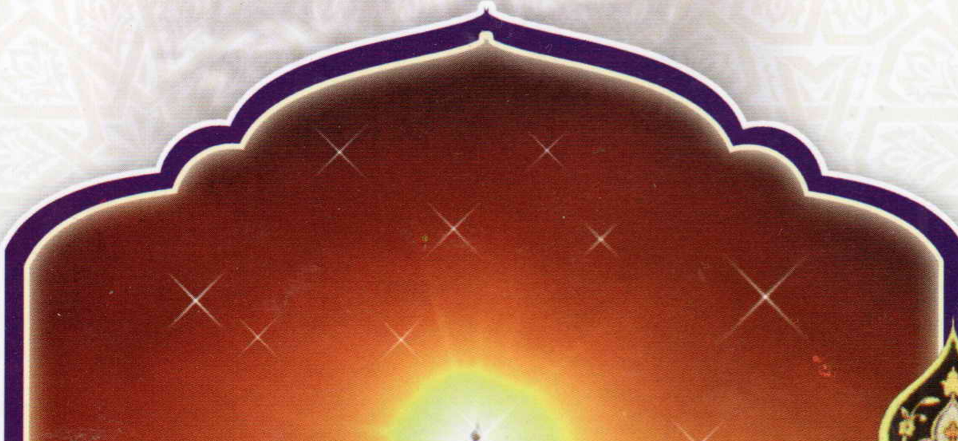
مكتبة الروضة العباسية

(١)

العباس عليه السلام



تأليف

السيد عبد الرزاق الموسوي المقرم

تحقيق

سماحة الشيخ محمد الحسون

العباس عليه السلام

العبّاس عليه السلام

تأليف السيّد عبد الرزاق الموسوي المقرّم رحمه الله

تحقيق سماحة الشيخ محمّد الحسّون

منشورات الإجتهاد / قم / هاتف ٧٧٣٥٤٦٤

الطبعة الأولى / ٢٠٠٠

١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م

ISBN : 964 - 95037 - 0 - 6

مكتبة الروضة العباسية

(١)

العباس عليه السلام

تأليف

السيد عبد الرزاق الموسوي المقرم

تحقيق

سماحة الشيخ محمد الحسون

● الموقع علىٰ الانترنت : www.aqaed.com

● البريد الالكتروني : info@aqaed.com

توزيع

الغدير للنشر والتوزيع

قم ـ شارع معلّم ـ الفرع ١٢ ـ رقم ٣ ـ موبايل: ٩٨٩١٢٥٥١٤٤٢٦+

E - mail: algadeer_pub @ yahoo. com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة التحقيق

بعد سقوط النظام البعثي في العراق، سعىٰ مركز الأبحاث العقائديّة ـ الذي أُنشئ بمباركة ودعم سماحة المرجع الديني الأعلىٰ زعيم الحوزة العلميّة آية اللّه العظمىٰ السيّد علي الحسيني السيستاني دام ظلّه الوارف، وبإشراف الأخ الكريم سماحة حجّة الإسلام والمسلمين السيّد جواد الشهرستاني ـ إلىٰ إعادة الروح في مكتبات العتبات المقدّسة في العراق، والتي قضىٰ عليها وأبادها النظام البعثي الجائر.

فكان أوّلها مكتبة الروضة الحيدرية في النجف الأشرف، ومكتبة الروضة الحسينيّة ومكتبة الروضة العبّاسية في كربلاء المقدّسة، إذ قام المركز بتجهيز هذه المكتبات بكلّ ما تحتاج إليها من: كتب، وأجهزة كومبيوتر، ومقاعد، ومناضد، وقفصات لحفظ الكتب، وسجّاد، وغيرها.

ولم يكتفِ المركز بذلك، بل ظلّ طيلة هذه السنوات يدعم هذه المكتبات بما تحتاجه وحسب الإمكانات المتوفّرة لديه.

ومن أجل دعم الحركة العلميّة في هذه المكتبات قام المركز بإحياء مجموعة من الكتب وطبعها بالتعاون مع المسؤولين فيها، منها هذا الكتاب الماثل بين أيدينا، والذي قمنا بتحقيقه وطبعه في فترة قصيرة جدّاً ليحمل الرقم الأوّل من إصدارات مكتبة الروضة

العبّاسية ، ويوزّع في افتتاح هذه المكتبة المباركة في أوائل شعبان سنة ١٤٢٧ هـ .

ونحاول في هذه المقدّمة البسيطة إلقاء ضوء علىٰ حياة المؤلّف السيّد المقرّم وكتابه هذا .

المؤلّف

هو السيّد عبد الرزاق بن محمّد بن عباس بن حسن بن قاسم بن حسون المقرّم الموسوي الدغاري النجفي ، أصل أُسرته من مدينة الحسكة ، وقد هاجر جدّه الأعلىٰ قاسم بن حسون إلىٰ مدينة النجف الأشرف .

ولد في مدينة النجف الأشرف سنة ١٣١٦ هـ = ١٨٩٨ م ، وترعرع في أحضان جدّه الذي تولّىٰ تربيته وتعليمه ، وما أن بلغ سنّ الرشد حتّىٰ شرع في دراسته علوم آل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم في مدينة باب علمه النجف الأشرف ، وحضر عند كبار علماء عصره مثل :

العلّامة الشيخ محمّد جواد البلاغي (ت ١٣٥٢ هـ) .

والميرزا حسين النائيني (ت ١٣٥٥ هـ) .

والشيخ محمّد حسين الأصفهاني (١٣٦١ هـ) .

والشيخ ضياء الدين العراقي (١٣٦١ هـ) .

والسيّد أبو الحسن الأصفهاني (١٣٦٥ هـ) .

والسيّد أبو القاسم الخوئي (ت ١٤١٣ هـ) .

وذكر الشيخ محمّد حسين حرز الدين، حفيد الشيخ محمّد حرز الدين (ت ١٣٦٥ هـ) في تعليقه علىٰ كتاب جدّه «معارف الرجال»: أنّ السيّد المقرّم كان من المجازين في الرواية من الشيخ أقا بزرك الطهراني (ت ١٣٨٩ هـ)(١).

كان رحمه الله يعقد مجالس عزاء الإمام الحسين عليه السلام في داره ويقرأ التعزية بنفسه، ويحضر مجلسه هذا كبار العلماء والفضلاء، وفي مقدّمتهم المرجع الديني السيّد أبو القاسم الخوئي رحمه الله.

ذكره الشيخ محمّد هادي الأميني (ت ١٤٢١ هـ) قائلاً: «عالم متتبّع، ومجتهد محقّق، متضلّع في الفقه المقارن والتأريخ الإسلامي، مؤلّف مكثر، له كتب»(٢).

ومدحه وأطراه السيّد محمّد الغروي إذ قال: «عالم كامل، ومجتهد متتبّع، مؤرّخ، محقّق،... كان علىٰ جانبٍ كبيرٍ من الورع والتقوىٰ والتفاني في حبّ أهل البيت الطاهرين عليهم السلام والتمسّك بحبل مودّتهم، خشناً في ذات اللّه، لا تأخذه فيه لومة لائم، بعيداً عن التكلّف والتصنّع والرياء، وكانت له خزانة كتب قيّمة، كما كانت داره ندوة الأفاضل والعلماء ومجمع الخطباء والمؤمنين، يتجنّب التدخّل في قضايا خارجة عن نطاق عقيدته ودينه، ولم تستهوه الحياة وزخارفها. كان يقرأ مقتل الإمام السبط الشهيد عليه السلام كلّ يوم عاشوراء في حسينية النجفيين في كربلاء المقدّسة منذ طلوع الشمس إلىٰ الظهر مع البكاء والعويل»(٣).

---

(١) معارف الرجال ٢: ١٨٨ «الهامش».
(٢) معجم رجال الفكر والأدب: ١٢٣١.
(٣) مع علماء النجف الأشرف ٢: ٢٣١.

وقد عُرف السيّد المقرّم بكثرة تآليفه القيّمة ، والتي أكثرها في حياة أهل البيت عليهم السلام ، منها ما هو مطبوع ، ومنها لازال خطيّاً لم ير النور لحدّ الآن ، نذكرها مرتّبة حسب الحروف الألفبائية :

(١) الإمام زين العابدين عليه السلام ، طبع في النجف الأشرف سنة ١٣٧٤ هـ.

(٢) الإمام الجواد عليه السلام ، طبع سنة ١٣٧١ هـ.

(٣) الإمام الرضا عليه السلام ، طبع بدون تأريخ .

(٤) أُرجوزة «الأنوار القدسيّة» في النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام .

(٥) تعليقة في الفقه المقارن على المحاضرات في الفقه الجعفري .

(٦) تنزيه المختار الثقفي ، طبع سنة ١٣٥٦ هـ.

(٧) ثامن شوّال ، في حوادث هدم القبور بالبقيع وأحوال الوهابية .

(٨) الحسن المجتبىٰ عليه السلام .

(٩) زيد الشهيد ، طبع سنة ١٣٧١ هـ.

(١٠) زينب بنت أمير المؤمنين عليه السلام .

(١١) سرّ الإيمان في الشهادة الثالثة في الأذان ، طبع سنة ١٣٧٤ هـ.

(١٢) السيّدة سكينة بنت الإمام الحسين عليه السلام ، طبع سنة ١٣٧٨ هـ.

(١٣) الشهيد مسلم بن عقيل ، طبع سنة ١٣٦٩ هـ.

(١٤) الصدّيقة الزهراء عليها السلام ، طبع في النجف سنة ١٣٧٠ هـ.

(١٥) عاشوراء في الإسلام.

(١٦) العبّاس [ابن علي عليه السلام].

(١٧) علي الأكبر ابن الإمام الحسين عليه السلام، طبع سنة ١٣٦٧ هـ.

(١٨) عمّار بن ياسر.

(١٩) قداسة ميثم التمّار.

(٢٠) قمر بني هاشم، طبع سنة ١٣٦٩ هـ.

(٢١) الكشكول في ما جرىٰ علىٰ آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

(٢٢) الكنىٰ والألقاب، مخطوط.

(٢٣) ليلة عاشوراء عند الحسين عليه السلام.

(٢٤) مقتل الحسين عليه السلام وحديث كربلاء، وهو أشهر كتبه، طبع عدّة مرات، وتُرجم إلىٰ اللغة الانكليزية.

(٢٥) المقداد الكندي.

(٢٦) نقد التأريخ.

(٢٧) يوم الأربعين، طبع سنة ١٣٧٧ هـ.

وقد توفّي السيّد المقرّم في مدينة النجف الأشرف في السابع عشر من محرم الحرام سنة ١٣٩١ هـ الموافق ١٩٧١ م، بعد عمر قضاه في خدمة الدين الإسلامي الحنيف ومذهب أهل البيت عليهم السلام، فرحمه اللّه تعالىٰ، وأسكنه مع الأئمة الطاهرين عليهم السلام.

هذا الكتاب

حينما أعلمنا مسؤول مكتبة الروضة الحسينية والروضة

العبّاسية الأخ العزيز سماحة حجّة الإسلام الشيخ علي الفتلاوي، بقرب افتتاح مكتبة الروضة العبّاسية، بعد تهيئة مستلزماتها، فكّرت بطبع كتابٍ عن العبّاس عليه السلام يكون باكورة أعمال هذه المكتبة المباركة.

وقد استشرتُ الكثير من الفضلاء وخطباء المنبر الحسيني في هذا الموضوع، فأكثرهم أشاروا عليَّ بطبع هذا الكتاب بعد تحقيقه وضبط نصّه، وفعلاً شرعنا بتحقيقه وإخراجه في فترة قصيرة.

وقد واجهنا في تحقيقه بعض المصاعب؛ لأنّ المؤلّف لم ينقل نصوصه من نفس المصادر، بل اعتمد علىٰ محفوظاته، لذلك شاهدنا اختلافاً بين نصوص الكتاب ومصادرها، فحاولنا قدر الإمكان تصحيحها وجعلها مطابقة للمصادر.

إضافة لذلك فإنّا شاهدنا أنّ هذا الكتاب طبع عدّة مرّات وبأسماء متعدّدة هي: «العبّاس عليه السلام»، «العبّاس بن علي عليه السلام»، «العبّاس بن أمير المؤمنين عليه السلام»، «حياة العبّاس بن علي عليه السلام»، «قمر بني هاشم عليه السلام».

وبعد التتبّع ظهر لنا أنّ الأسماء الأربعة الأُولىٰ كلّها مسمّيات لكتاب واحد، وضعها الناشرون لها؛ لعدم بيان المؤلّف اسم كتابه هذا، لا في أوّله، ولا في آخره.

أمّا الكتاب الأخير «قمر بني هاشم» فهو كتاب آخر، أي أنّ للسيّد المقرّم كتابين عن العبّاس عليه السلام، ألّف أوّلاً كتاب «قمر بني هاشم»، ثمّ ألّف كتابه الآخر «العبّاس عليه السلام»، إذ أضاف في كتابه الأخير بعض الفصول لم تكن موجودة في كتابه الأوّل، وغيّر بعض

عناوينه ، لذلك فالكتاب الأخير أكبر من الأوّل ، وبينهما عموم وخصوص مطلق .

وقد ذكر المتتبّع أقا بزرك الطهراني هذين الكتابين مشيراً إلى عدد صفحاتهما ، فقال :

« حياة العبّاس بن علي » ، طبع في ٢٤٠ صفحة[١] .

« قمر بني هاشم » ، طبع في ١٧٦ صفحة[٢] .

وقد وقفنا علىٰ الطبعة الأُولىٰ للكتاب الأوّل « قمر بني هاشم » الذي قامت بطبعه سنة ١٣٦٩ هـ المطبعة الحيدريّة في النجف الأشرف ، وطبعته في قم أيضاً سنة ١٤١٤ هـ بالتصوير علىٰ الطبعة الأولىٰ .

أمّا الكتاب الثاني فقد طبع عدّة طبعات ، شاهدنا منها طبعة دار الأضواء في بيروت باسم « العبّاس بن علي » ، وطبعة مكتبة الشريف الرضي في قم المقدّسة ، وهي بدون تأريخ وباسم « العبّاس عليه‌السلام » ، وهذه الطبعة هي التي اعتمدنا عليها في تحقيق ونشر هذا الكتاب .

فقد قمنا بتصحيح الكتاب قدر المستطاع ، واستخراج ما يحتاج إلىٰ تخريج من : آيات قرآنيّة كريمة ، وأحاديث شريفة ، وأقوال العلماء المختلفة ، كلّ ذلك من المصادر الرئيسيّة لها المتوفّرة لدينا .

---

(١) الذريعة ٧ : ١٢١/٦٤١ .

(٢) الذريعة ١٧ : ١٦٧/٨٨٣ .

شكر وتقدير

ختاماً نتقدّم بجزيل الشكر والتقدير لكلّ الاخوة والأخوات الذين ساهموا في إخراج هذا الكتاب بحلّته القشيبة هذه ، ونخصّ بالذكر الأخ العزيز المحقّق الأُستاذ الشيخ لؤي المنصوري الذي أخذ علىٰ عاتقه عملية الاستخراجات كاملة ، والعمّ الأُستاذ الفاضل عبد الحسين الحسّون وزوجته الفاضلة أُمّ علاء الحسّون اللذان قاما بمقابلة الكتاب وتصحيح أخطائه المطبعيّة ، والأخ محمّد الجبوري والأخ نجاح الخازن والأُخت سرور الموسوي الذين قاموا بصفّ حروف هذا الكتاب في فترة وجيزة جدّاً ، فللّه درهم جميعاً وعليه أجرهم .

سيّدي ومولاي يا أبا الفضل ، يا حامي الحمى ، ويا باب الحوائج ، ويا ساقي العطاشا ، إنّا قمنا بإحياء هذا الكتاب المتعلّق بك ، رجاءً منّا أن تحمينا وأهلنا من كلّ مكروه ، وتقضي حوائجنا ، وتسقينا وتشفع لنا يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ، اللهمّ اجعله في ميزان أعمالنا ، إنّك أنت الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام علىٰ نبيّنا ومقتدانا محمّد وآله الطيبين الطاهرين ، آمين ربّ العالمين .

محمّد الحسّون

يوم مولد الصدّيقة الزهراء عليها السلام ١٤٢٧هـ

site.aqaed.com/Mohammad

muhammad@aqaed.com

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لك اللهمّ، وصلاة على خاتم أنبيائك وخلفائه المعصومين، ورضىً بقضائك وتقديرك بأوليائك الذين تحمّلوا المشاقّ في إحياء شرعك الأقدس، فقابلوا الأخطار بكلّ طلاقة وبشاشة حتّى كرعوا حياض المَنون، وانتهلت من دمائهم الزاكية بيض الصفاح، وأمسوا بجوارك متلفّعين بالبرود القانية....

فسلاماً على أرواحهم الطاهرة، وأشلائهم المقطّعة في سبيل مرضاتك ياربِّ العالمين.

مقدّمة

إنّ للنسب مكانةً كبرىٰ في شتّىٰ النواحي ، فليس من المستنكر دخله في تهذيب الأخلاق ، فإنّ الإنسان مهما كان مولعاً بالشهوات مستهتراً ماجناً ، إذا عرف أنّ له سلفاً مجيداً ، وأنّ من ينتمي إليهم أُناس مبجّلون ـ كما هو الشأن في جلّ البشر ، إن لم نقل كلهم ـ لا يروقه أن يرتكب ما يشوّه سمعتهم ، وإنّما يكون جلّ مسعاه أن يكون خلقاً صالحاً لهم ، يجدّد ذكرياتهم ، ويخلّد ذكرهم الجميل بالتلفّع بمكارم الأخلاق .

ولقد جعل اللّه تعالىٰ أبناء آدم عليه السلام شعوباً وقبائل ليتعارفوا[1] ، فتشتبك الأواصر ، وتتواصل الأرحام ، ويحمىٰ الجوار بالتساند والمؤازرة ، ويعرفهم من عداهم كتلة واحدة ، فيهاب جانبهم ولا تخفر ذمتهم ، فيسود بذلك السلام والوئام ، ومن هنا نشاهد المردة من قوم شعيب قالوا له لما عتوا عن أمره : ﴿ **وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ** ﴾[2] .

فإذن يكون في مشتبك الأواصر مناخ العزّ ومأوىٰ الهيبة كما

---

(١) ﴿ خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ الحجرات : ١٣ .

(٢) هود : ٩١ .

قال أمير المؤمنين عليه السلام لابنه الحسن: «وأكرم عشيرتك، فإنّهم جناحُك الذي به تطير، وأصلك الذي إليه تصير، ويدك التي بها تصول، ولا يستغني الرجل عن عشيرته وإن كان ذا مال، فإنّه يحتاج إلىٰ دفاعهم عنه بأيديهم وألسنتهم، وهم أعظم الناس حيطةً من ورائه، وألمّهم لشعثه، وأعظمهم عليه إن نزلت به نازلة أو حلّت به مصيبة، ومن يقبض يده عن عشيرته فإنّما يقبض عنهم يداً واحدة وتقبض عنه أيدٍ كثيرة»[1].

ولقد جاء في الشريعة المقدّسة أحكام منوطة بمعرفة الأنساب خاصّة أو عامّة، كالمواريث والأخماس وصلة الأرحام وديّة قتل الخطأ... إلىٰ غيرها من فوائد النسب التي جعلته في الغارب والسنام من بين العلوم الفاضلة، وأكسبته الأهمية الكبرىٰ.

وجعلت منصّة النسّابة في المحلّ الأسمىٰ عند الديني والاجتماعي والأخلاقي[2]، وهو أحد العلماء الذين لكلٍّ منهم اختصاص في فن من الفنون يرجع إليه في فنه ويستفتى، كما يراجع

---

(١) نهج البلاغة، شرح الشيخ محمّد عبده ٣ : ٥٧، من وصيّة له لابنه الحسن عليه السلام.

(٢) ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه دخل المسجد، فإذا جماعة قد طافوا برجل، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : «ما هذا»؟

فقيل : علّامة. قال صلى الله عليه وآله وسلم : «وما العلّامة»؟

فقالوا : أعلم الناس بأنساب العرب ووقائعها.

فقال النّبي صلى الله عليه وآله وسلم : «ذاك علم لا يضرّ من جهله ولا ينفع من علمه».

ثمّ قال النّبي صلى الله عليه وآله وسلم : «إنّما العلم ثلاثة : آية محكمة، أو فريضة عادلة، أو سنة قائمة، وما خلاهنّ فهو فضل».

انظر : الكافي ١ : ٣٢، ح ، وصول الأخيار إلىٰ أُصول الأخبار : ٣٧، الفصول المهمة في أُصول الأئمة للعاملي : ٦٧٩.

غيره من العلماء فيما اختصّ به من الفنون .

ولقد كان عقيل بن أبي طالب عليه السلام ـ علىٰ شرف أصله وقداسة منبته ومجده الهاشمي الأثيل ـ نسّابة عصره ، يعرف أنساب العرب وقبائلها ، ويميّز بين منابت المجدّ والخطر ، ومناخ السوأة والخزاية ، وينوّه بواسع علمه بما تتحلّىٰ به الفصائل والعمائر من المآثر ، وما ترتديه البطون والأفخاذ من شية العار .

فكان يُخشىٰ ويُرجىٰ من هاتين الناحيتين ، ويراجع للوقوف علىٰ لوازم الكفاية عند المصاهرة ، تحرّياً للحصول علىٰ الدّعة في العشرة بين الزوجين ، وكرائم الأخلاق المكتسبة من إرضاع الحرائر الكريمات ، وعروق الأخوال الأكارم ، والشريعة المطهّرة تقول في نصّها علىٰ ذلك : «اختاروا لنطفكم ، فإنّ الخال أحد الضجيعين»[١] ، كما حذرت عن خلافه : «إياكم وخضراء الدمن» ، وفسّره صاحب الشريعة بأنّها «المرأة الحسناء في منبت السوء»[٢] .

فكان عقيل ـ كما وصفه الصفدي ـ أحد الذين يتحاكَم إليهم ، ويوقف عند قولهم في علم النسبِ ؛ لكونه العليم به وبأيّام العرب ، وكانت تُبسط له طنفسة تُطرح في مسجد رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم ، يصلّي عليها ، ويجتمع إليه في معرفة الأنساب وأيّام العرب وأخبارهم مع ما له من السرعة في الجواب والمراجعة في القول[٣] .

---

(١) الكافي ٥ : ٣٣٢ ، باب اختيار الزوجة ، ح٢ .

(٢) الكافي ٥ : ٣٣٢ ، باب اختيار الزوجة ، ح٤ .

(٣) نص عبارة الصفدي عن ابن عقيل هكذا : «وكان عقيل أنسب قريش وأعلمهم بأيامهم ، ولكنّه كان يعدّ مساوئهم ، وكانت له طنفسة تُطرح في مسجد رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم يصلّي عليها ، ويجتمع إليه في علم النسب وأيام العرب ، وكان أسرع =

ومن هنا قال له أمير المؤمنين عليه السلام : «أُنظر لي امرأة قد ولدتها الفحولة من العرب ؛ لأتزوّجها ، فتلد لي غلاماً فارساً» .

فقال له : تزوّج بأُمّ البنيّن الكلابيّة ، فإنّه ليس في العرب أشجع من آبائها[1] .

هكذا جاء الحديث ، ولكن لا يفوت القارئ أنّا نعتقد في حملة أعباء الإمامة شمول علمهم كُلّ ما ذرأ اللّه ـ سبحانه ـ وبرأ وما جاءت به الأُمم من فضائل ومخازي وأوصاف وعادات في كُلّ حال ، وللبرهنة علىٰ هذه الدعوى مجال في غير هذا المختصر .

إذن ، فأين يقع علم عقيل وغير عقيل من واسع علم أمير المؤمنين ، المتدفّق بأحوال قبائل العرب ، وبمعرفة الشجعان منهم حتّىٰ يحتاج إلىٰ نظر عقيل؟!

وهل يخفىٰ علم ذلك علىٰ من كان يعلم الذّكر والأُنثىٰ من النمّل كما في حديث أبي ذر الغفاري : دخلت أنا وأمير المؤمنين عليه السلام وادياً فيه نمل كثير ، فقلت : سبحان اللّه محصيه!

فقال عليه السلام : «لا تقلّ ذلك ، وقل : سبحان اللّه باريه ، فواللّه إنّي لأحصيه وأعرف الذّكر منه والأُنثّى»[2] .

= الناس جواباً ، وأحضرهم مراجعة في القول ، وأبلغهم في ذلك ، وكان الذين يتحاكم إليهم ويوقف عند قولهم في علم النسب أربعة : عقيل بن أبي طالب ، ومخرمة بن نوفل الزهري ، وأبا جهم بن حذيفة العدوي ، وخويطب بن عبد العزي العامري ، وعقيل أكثرهم ذكراً لمثالب قريش .

راجع عبارة الصفدي في الوافي بالوفيات ٢٠ : ٦٣ ، وأُسد الغابة ٣ : ٤٢٣ ، والاستيعاب ٣ : ١٧٨ .

(١) عمدة الطالب لابن عنبة : ٣٥٧ .

(٢) مدينة المعاجز ٢ : ١٦٠ .

ويقول عليه السلام : «إنّ شيعتنا من طينة مخزونة قبل أن يخلق آدم .. لا يشذّ منها شاذ ولا يدخل فيها داخل ، وإنّي لأعرفهم حين ما أنظر إليهم .. ولأعرف عدوّي من صديقي»(١) .

«وإنّهم لمكتوبون عندنا بأسمائهم وأسماء آبائهم وعشائرهم وأنسابهم»(٢) .

فمن كان هذا علمه لا يحتاج إلىٰ تعرّف القبائل والبطون من عقيل ، مهما بلغ من العلم والمعرفة إلىٰ ذُرَىٰ عالية .

نعم ،

وكم سائل عن أمره وهو عالم

فإنّه جرىٰ صلوات اللّه عليه مجرىٰ العادة في أمثاله ، وكم لهم من ضرائب في أعمالهم عليهم السلام لحكم ومصالح لعلّنا ندرك بعضها ، والبعض الآخر منها مطوي لدِيّهم مع أمثالها من غوامض أسرارهم .

فهذا الرسول الأعظم ، وهو المسدَّد بالفيض الأقدس والإرادة الإلهية ؛ المستغني عن الاستعانة بأيّ رأيّ ، يمشي وراء العادة ، فيشاور أصحابه إذا أراد المضيّ في أمرٍ ، ولعلّ النكتة فيه ـ مضافاً إلىٰ ذلك ـ تعريف خطأ الاستبداد وإن بلغ الرجل أعلىٰ مراتب العقل ، فكانت الصحابة تبصر من أشعة حكمه فوائد الاستشارة

---

(١) مدينة المعاجز ٢ : ١٩٥ . والنص كالتالي : «إن شيعتنا من طينة مخزونة قبل أن يخلق اللّه آدم بألفي عام ، لا يشذّ منها شاذّ ، ولا يدخل فيها داخل ، وإني لأعرفهم حين ما أنظر إليهم ؛ لأنّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله لما تفل في عيني وكنتُ أرمد قال : اللهمّ أذهب عنه الحرّ والبرد ، وأبصر صديقه من عدوه ، فلم يُصبني رمد ولا حر ولا برد ، وإني لاعرف صديقي من عدوي» .

(٢) الاختصاص : ٢١٧ .

كالاستخارة، وتمضي علىٰ قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «من أُعجب برأيه ضلّ، ومن استغنىٰ بعقله زلّ»[١]، و«لا يندم من استشار، ولا خاب من استخار»[٢].

ولمّا خرج صلى الله عليه وآله وسلم من المدينة طالباً عير أبي سفيان، بلغه في (ذفران)[٣] أنّ قريشاً خرجت علىٰ كُلّ صعب وذلول، شاور أصحابه فقال: «ما تقولون، العير أحبّ إليكم أم النفير»؟

فقال بعضهم: العير، وقال (رجلان): يا رسول اللّه إنّها قريش وخيلاؤها، ما ذلّت منذ عزّت، وما آمنت منذ كفرت، فساءه كلامهما، وتغيّر وجهه، فقام المقداد بن الأسود الكندي وقال: امض يا رسول اللّه لما أمرك به اللّه، ونحن معك، فواللّه لا نقول لك ما قالت بنو إسرائيل لموسىٰ بن عمران: ﴿ **فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ** ﴾[٤]، ولكن نقول: اذهب أنت وربك فقاتلا إنّا معكما مقاتلون ما دام منّا عين تطرف، نقاتل عن يمينك وعن يسارك ومن خلفك، فوالذي بعثك بالحقّ لو سرت بنا إلىٰ برك الغمام (بلاد الحبشة)، لجالدنا معك من دونه حتّىٰ تبلغه فضحك رسول اللّه وأشرق وجهه وسرّ بكلامه[٥].

---

(١) في تفسير القرطبي ٤: ٢٥١ ورد هكذا: «ما ندم من استشار ولا خاب من استخار»، وأمّا في مصادرنا فوردت هكذا: عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: «ما حار من استخار، ولا ندم من استشار». وسائل الشيعة ٨: ٢٦٥ ح٨، الأمالي للطوسي: ١٣٦، كشف الغمة ٣: ١٧٣.
(٢) نهج السعادة ٧: ٢٧٥، الفائدة السادسة.
(٣) قال في لسان العرب ١: ١٥٧ «ذفران: موضع عند بدر».
(٤) المائدة: ٢٤.
(٥) أُسد الغابة ٤: ٤١٠، تاريخ الطبري ٢: ١٤٠، تاريخ الإسلام للذهبي ٢:

ولمّا نزل في بدرٍ بأقرب ماء هناك قال له الحبّاب بن المنذر : أرأيت يا رسول اللّه هذا المنزل ، منزلاً أنزلك اللّه به أم هو الرأي والمكيدة والحرب؟

فقال : «هو الرأي والحرب» .

فأشار عليه بأن ينهض ويأتي أدنىٰ منزل من القوم فينزل علىٰ الماء ، ثُمّ يعمل حوضاً يملأه ماءً يشرب منه المسلمّون ولا يشرب منه أعداؤهم ، فأخذ برأيه وارتحل حتّىٰ أتىٰ الماء ونزل عليه[1] .

ولمّا قصده الأحزاب أراد أن يصالح عيينة بن حصين والحارث بن عوف علىٰ ثلث أثمار المدينة ، ليرجعا بمن معهما من غطفان ، فشاور في ذلك سعد بن معاذ وسعد بن عبادة وسعد بن فزارة ، فأشاروا عليه ألا يعطيهم شيئاً ، فعمل بمشورتهم ، وكان الفتح له[2] ، كُلّ ذلك إيذاناً وتنبيهاً بما هو اللازم من التريّث والأخذ بحقائق الأُمور .

وسار الأئمة من آله علىٰ هذا النهج ، فكان الإمام الرضا عليه‌السلام يذكر أباه موسىٰ بن جعفر ويقول : «كان عقله لا يوازن به العقول ، وربما شاور بعض عبيده فيشير عليه من الضيعة والبستان فيعمل به ، فقيل له : أتشاور مثل هذا؟ فقال عليه‌السلام : ربما فتح علىٰ لسانه»[3] .

ولمّا كتب إليه علي بن يقطين بما عزم عليه موسىٰ الهادي من

= ٥٢ ، والوارد في آخر الرواية : «فقال له رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم خيراً ودعا له . .» .

(١) أُسد الغابة ١ : ٣٦٥ ، تاريخ الطبري ٢ : ١٤٤ ، تاريخ الإسلام للذهبي ٢ : ٥٣ ، الثقات لابن حبّان ١: ١٦٢ ، إمتاع الاسماع للمقريزي ٩ : ٢٤٣ .

(٢) تاريخ الإسلام ٣ : ٣٤٨ ، امتاع الإسماع للمقريزي ١ : ٢٣٩ .

(٣) المحاسن للبرقي ٢ : ٦٠٢ بلفظ : «وربما شاور الأسود من سودانه» .

الفتك به وأنّه سمعه يقول : قتلني اللّه إن لم أقتل موسىٰ بن جعفر ، فلمّا ورد الكتاب عليه شاور أهل بيته وشيعته وأطلعهم علىٰ الكتاب وقال لهم : «ما تشيرون عليَّ؟»

قالوا : نشير عليك ـ أصلحك اللّه ـ أن تباعد شخصك من هذا الجبّار ، فلم يتباعد عن مشورتهم ، ولكنّه أوقفهم علىٰ غامض أسرار اللّه من هلاك الطاغي ، فكان كما قال[١] .

وكان الأئمة عليهم السلام ـ وهم العالمون بما كان وما يكون ـ يتخذون الوسائل العادية لدفع الأضرار عنهم إذا علموا تأخّر القضاء من مراجعة الطبيب ، أو الشخوص نحو المهيمن جلّ شأنّه ، أو الشكوىٰ إلىٰ جدّهم النّبي صلى الله عليه وآله وسلم .

ولما سُقي الإمام الحسن عليه السلام العسل المسموم وأعتلّ تداوىٰ بالحليب ، فعوفي ، وحين عادت إليه العلّة أخذ يسيراً من تربة النّبي ومزجها بالماء فشربه وعوفي[٢] .

وقال الإمام الهادي عليه السلام لأبي هاشم الجعفري حين مرض بسامراء : «ابعثوا رجلاً إلىٰ (الحائر) يدعو اللّه لي بالشفاء من العلّة» .

فقال علي بن بلال : ما يصنع بالحير ، أليس هو الحير؟! فلم يدرِ أبو هاشم ما يجيبه حتّىٰ دخل علي الهادي عليه السلام وحكىٰ له قوله ، فقال عليه السلام : «ألا قلت له : إنّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم كان يطوف بالبيت ، ويقبّل الحجر ، وحرمة النّبي والمؤمن أعظم من حرمة البيت . وأمره

---

(١) بحار الأنوار ٤٨ : ١٥١ .

(٢) الكامل للبهائي : ٤٥٣ .

اللّه تعالىٰ أن يقف بعرفات، وإنّما هي مواطن يحبّ اللّه أن يُذكر فيها، وأنا أحبّ أن يدّعىٰ لي حيث يحبّ اللّه أن يدّعىٰ فيها[١].

والغرض من هذا كلّه التعريف بأنّه لم يجب في التكوينات إلّا جري الأُمور علىٰ مجاريها العادية وأسبابها الطبيعية، وأنّه لا غناء عنها لأيّ أحدٍ، وأنّ الأئمة من أهل البيت وإن أمكنهم إعمال ما أقدرهم عليه اللّه سبحانه من التصرّفات حسبما يريدون، لكنّهم في جميع أدوارهم مقتدىٰ الأُمّة ومسيروهم إلىٰ ما يراد منهم من أمر الدّين والدنّيا، فعلىٰ نهجهم يسير الناس، وبأفعالهم يتأسىٰ البشر، وبإرشادهم ترفع حُجب الأوهامّ.

وعلىٰ هذا الأساس مشىٰ أمير المؤمنين في اختيار الزوجة الصالحة.

---

(١) الكافي ٤: ٥٦٧، ٥٦٨، ح٣، كامل الزيارات: ٤٥٩، ح [٦٩٧]١، وسائل الشيعة ١٤: ٥٣٨ ح (١٩٧٧٥)٣، ونص الرواية كالتالي: «عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن أبي هاشم الجعفري قال: بعث إليّ أبو الحسن عليه السلام في مرضه، وإلىٰ محمّد بن حمزة، فسبقني إليه محمّد بن حمزة وأخبرني محمّد مازال يقول: «ابعثوا إلىٰ الحير، ابعثوا إلىٰ الحير!

فقلت لمحمّد ألا قلت له: أنا أذهب إلىٰ الحير، ثمّ دخلت عليه وقلت له: جعلت فداك: أنا أذهب إلىٰ الحير؟ فقال: «انظروا في ذاك»، ثمّ قال لي: «إنّ محمّداً ليس له سرّ من زيد بن علي، وأنا أكره أن يسمع ذلك».

قال: فذكرت ذلك لعلي بن بلال فقال: ما كان يصنع [بـ]الحير وهو الحير.

فقدمت العسكر، فدخلت عليه فقال لي: «إجلس» حين أردت القيام، فلمّا رأيته أنس بي، ذكرت له قول علي بن بلال.

فقال لي: «ألا قلت له: إنّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله كان يطوف بالبيت ويقبّل الحجر، وحرمة النّبي والمؤمن أعظم من حرمة البيت. وأمره اللّه عزّ وجلّ أن يقف بعرفة، وإنّما هي مواطن يحبّ اللّه أن يُذكر فيها، فأنا أحبّ أن يُدعىٰ [اللّه] لي حيث يحب اللّه أن يدعىٰ فيها..»».

علىٰ أنّ التأمّل في كلامه يفيدنا عدم الاستشارة من أخيه ، فإنّه قال لعقيل : انظر لي امرأة قد ولدتها الفحولة من العرب ، فهو عليه السلام في مقام الطلب من أخيه أن يخطب امرأةً تصلح له ، لا أنّه في مقام الاستشارة والاستطلاع منه ، لكونه عالماً بأنساب العرب ، وعارفاً ببيوتات الشرف والمنعة والفروسيّة .

سلسلة الآباء

هو العبّاس بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة ابن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

إلىٰ هنا يقف الباحث عن الإتيان بباقي الآباء الأكارم الىٰ آدم، بعد ما يقرأ قول النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إذا بَلغ نسبي إلىٰ عدنان فامسكوا»[1].

وكأنّه نظر الىٰ غرابة تلكم الأسماء، وتعاصيها علىٰ نطق العامة، فكان التصحيف إليها أسرع شيء، فيعود وهناً في ساحة جلالتهم، وخفةً في مقدارهم، وقد ولدوا الرّسول الأعظم والوصي المقدّم صلّىٰ اللّه عليهم أجمعين.

وكيف كان فالمُهمّ الذي يجب الهتاف به هو كون كُلّ واحدٍ من هؤلاء الأنجاب غير مدنّس بشيء من رجس الجاهلية، ولا موصوماً بعبادة وثن، وهو الذي يرتضيه علماء الحقّ، لكونهم صدّيقين بين أنبياء وأوصياء.

وقد نزّههم اللّه تعالىٰ في خطابه لنبيّه الأقدس: ﴿ **وَتَقَلُّبَكَ فِي**

---

(١) مناقب آل أبي طالب ١ : ١٣٤، كشف الغمة ١ : ١٥.

السَّاجِدِينَ﴾(١)، فإنّه أثبت لهم جميعاً ـ بلفظ الجمع المحلّىٰ باللام ـ السّجود الحقّ الذي يرتضيه لهم.

وإنّ ما يؤثر عنهم من أشياء مستغربة لا بدّ أن يكون من الشريعة المشروعة لهم، أو يكون له معنىً تظهره الدراية والتنقيب.

وليس آزر ـ الذي كان ينحت الأصنام وكاهن نمرود ـ أبا إبراهيم الخليل(٢)، الذي نزل من ظهره، لأنّ أباه اسمه تارخ، وآزد:

---

(١) الشعراء: ٢١٩.

(٢) اختلفوا في أنّ الذي قيل له: (عرق الثرى) إبراهيم أم إسماعيل، فالذي عليه السهيلي في الروض الآنف ١: ٨، أنّه إبراهيم، وعلّله: بأنّ الثرىٰ لا تأكله النار، وإبراهيم لا تأكله النار.
ويظهر من الصادق عليه السلام: لما تخطّىٰ النار وقال: «أنا ابن أعراق الثرىٰ، أنا ابن إبراهيم خليل الرحمٰن، الإشارة إليه [الكافي ١: ٤٧٣ في نوادر المعجزات لابن جرير: ١٥٤].
ونصّ عليه في البحار ٣٥: ٤١ في باب نسب أبي طالب قال: وإبراهيم (عرق الثرىٰ).
وفي ٤٤: ١٠٤ عند قول الإمام الحسن عليه السلام: «انا وهو اين ابن أعراق الثرىٰ»، قال: رأيت في بعض الكتب أنّ عرق الثرىٰ إبراهيم، لكثرة ولده في البادية.
ولعلّ عبد اللّه بن أيوب الخريبي الشاعر في مرثية الإمام الرضا يشير إليه كما في البحار ٤٩: ٣٢٥ في باب مراثيه.

يابن الذَبيحِ ويَابنَ أعراقِ الثرّىٰ ... طَـابَت أرومَـتَه وطَـابَ عُـروُقها

ولكن في نصّ الطبري ٢: ٢٨، والبداية والنهاية ٢: ٢٤٥، والبحار ١٥: ١٠٥ عن أم سلمة: أنّ عرق الثرىٰ إسماعيل.
وقد جاء ذكر الثرىٰ في شعر امرئ القيس والفرزدق، ولم يعلم منه المراد، قال امرؤ القيس علىٰ ما في أمالي المرتضىٰ ١: ١١٩

فبعض اللوم عاذلتي فأنّي ... ستغنيني التجارب وانتسابي

إلىٰ عرق الثرىٰ وشجت عروقي ... وهذا الموت يسلبني شبابي

=

إمّا أن يكون عمّه، كما يرتئيه جماعة من المؤرّخين، وإطلاق الأب علىٰ العمّ شائع علىٰ المجاز، وجاء به الكتاب المجيد: ﴿ **أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءِ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـهَكَ وَإِلَـهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ** ﴾[1] فأطلق علىٰ إسماعيل لفظ الأب، ولم يكن أبا يعقوب وإنما هو عمّه، كما أُطلق علىٰ إبراهيم لفظ الأب وهو جدّه.

وإمّا أن يكون آزر جدّ إبراهيم لأُمّه كما يراه المنقّبون، والجد للأُمّ أب في الحقيقة، ويؤيّد أنّه غير أبيه قوله تعالىٰ: ﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ** ﴾[2].

فميّزه باسمه، ولو أراد أباه الذي نزل من ظهره لاستغنىٰ بإضافة الأُبوّة عن التسمية بآزر.

وصرّح الرسول بطهارة آبائه عن رجس الجاهلية وسفاح الكفر فقال: «لمّا أراد اللّه أن يخلقنا، صوّرنا عمود نور في صلب آدم، فكان ذلك النور يلمع في جبينه، ثمّ انتقل إلىٰ وصيّه شيث، وفيما أوصاه به ألّا يضع هذا النور إلّا في أرحام المطهّرات من النساء، ولم تزل هذه الوصيّة معمولاً بها يتناقلها كابر عن كابر، فولدنا الأخيار من الرجال والخيرات المطهّرات المهذّبات من النساء، حتّىٰ

= وقال الفرزدق كما في كامل ابن الأثير ٣: ٤٦٩

أنا ابن الجبال الشمّ في عدد الحصى وعرق الثرىٰ عرقي فمن ذا يحاسبه

وفي أخبار الزمان: ٨٠ عدنان بن عرق الثرىٰ.

[وأيضاً تجده في: أُسد الغابة لابن الأثير ١: ٣٧٩، حياة الإمام الحسن للقرشي: ١٣٠].

(١) البقرة: ١٣٣.

(٢) الأنعام: ٧٤.

انتهينا الىٰ صلب عبد المطلب ، فجعله نصفين : نصف في عبد اللّه فصار إلىٰ آمنة ، ونصف في أبي طالب فصار إلىٰ فاطمة بنت أسد » .

أمّا « عدنان » فقد أوضح في خطبه في ظهور النّبي وأنّه من ذريّته وأوصىٰ باتباعه .

وكان ابنه « معد » صاحب حروب وغارات علىٰ بني إسرائيل ممّن حاد عن التوحيد ، ولم يحارب أحداً إلّا رجح عليه بالنصر والظفر ، ولكونه علىٰ دين التوحيد ودين إبراهيم الخليل أمر اللّه أرميا أن يحمله معه علىٰ البراق كيلا تصيبه نقمة بخت نصر ، وقال سبحانه لارميا : إنّي سأخرج من صلبه نبياً كريماً اختم به الرسل ، فحمله الىٰ أرض الشام الىٰ أن هدأت الفتن بموت بختنصّر[1] .

وكان السبب في التسمية بـ « نزار » أنّ أباه لمّا نظر إلىٰ نور النبوّة يشع من جبهته سرّه ذلك ، فأطعم الناس لأجله وقال : إنه نزر في حقّه[2] .

وورد النهي عن سبّ ربيعة ومضر ؛ لأنّهما مؤمنان ، ومن كلام مضر : من يزرع شرّاً يحصد ندامةً .

و« إلياس بن مضر » كبير قومه وسيّد عشيرته ، وكان لا يقضىٰ أمر دونه ، وهو أوّل من هدىٰ البدن إلىٰ البيت الحرام ، وأوّل من ظفر بمقام إبراهيم لما غرق البيت في زمن نوح ، وكان مؤمناً موحّداً ، ورد النهي عن سبّه[3] .

وقد أدرك مدركة بن إلياس كلّ عز وفخر كان لآبائه ، وكان فيه

---

(١) السيرة الحلبية ١ : ٢٠ .
(٢) الروض الآنف ١ : ٨ .
(٣) الروض الآنف ١ : ٨ .

نور النّبي محمّد ﷺ .

و«كنانة» شيخ عظيم القدر حسن المنظر ، كانت العرب تحجّ إليه لعلمه وفضله ، وكان يقول : قد آن خروج نبيّ من مكة يدعىٰ أحمد ، يدعو إلىٰ اللّه وإلىٰ البرّ والاحسان ومكارم الأخلاق ، فاتبعوه تزدادوا شرفاً وعزاً إلىٰ عزّكم ، ولا تكذبوا ما جاء به فهو الحقّ . وممّا يؤثر عنه : «ربّ صورة تخالف المخبرة قد غرت بجمالها واختبر قبح فعالها ، فاحذر الصور واطلب الخبر» ، وكان يأنف أن يأكل وحده .

وولده «النضر» (قريش عند الفقهاء) فلا يقال لأولاد من فوقه قرشي ، وإنّما أولاده مثل مالك وفهر ، فمن ولده النضر فهو قرشي ، ومن لم يلده فليس بقرشي[1] .

وأمّا «فهر» فقد حارب حسّان بن عبد كلال حين جاء من اليمن في حمير لأخذ أحجار الكعبة ليبني بها بيتاً باليمن يزوره الناس ، فانتصر فهر وأسر حسّان وانهزمت حمير ، وبقي حسّان في الأسر ثلاث سنين ، ثمّ فدىٰ نفسه بمال كثير وخرج فمات بين مكة واليمن ، فهابت العرب فهراً وأعظموه وعلا أمره ، خصوصاً مع ما يشاهدون في جبهته من نور النبوّة .

ويؤثر عنه قوله لولده غالب : «قليل ما في يدك أغنىٰ لك من كثير ما أخلق وجهك وإن صار إليك» ، وكان موحّداً[2] .

ولم يزل كعب بن لؤي يذكر النّبي ، ويُعلم قريشاً أنّه من ولده ، ويأمرهم باتباعه ويقول : «اسمعوا وعوا وتعلّموا تعلموا وتفهّموا

---

(١) السيرة الحلبية ١ : ٦١ .

(٢) السيرة الحلبية ١ : ٢٦ .

تفهموا، ليل داج ونهار ساج والأرض مهاد والجبال أوتاد والأولون كالآخرين، كلّ ذلك إلىٰ بلاء، فصلوا أرحامكم، وأصلحوا أحوالكم، فهل رأيتم من هلك رجع أو ميتاً نشر الدار أمامكم؟ والظنّ خلاف ما تقولون، زيّنوا حرمكم وعظّموه وتمسّكوا به ولا تفارقوه، فسيأتي له نبأ عظيم، وسيخرج منه نبيّ كريم، ثمّ قال:

نهارٌ وليلٌ واختلاف حوادثٍ سواءٌ عَلينا حلوُها ومريرُها
يؤوبان بالأحداثِ حتّىٰ تأوّبا وبالنعمِ الضافي علينا ستُورها
علىٰ غفلةٍ يأتِي النّبي محمّد فيُخبر أخباراً صدوقاً خبيرها

ثمّ قال:

يَاليتني شاهِد فَحْواء دعوتهِ
حتّىٰ العشيرةِ تبغي الحقّ خُذلانا(١)

ولجلالته وشرفه في قومه أرخوا بموته ثمّ أرخوا بعام الفيل، ثمّ بموت عبد المطلب، وهو أوّل من سمّىٰ يوم الجمعة؛ لاجتماع قريش فيه، وكان اسمه في الجاهلية العروبة، ولما جاء الإسلام أمضاه(٢).

و«كلاب بن مرّة» الجد الثالث لآمنة أُمّ النّبي والرابع لأبيه عبد اللّه، كان معروفاً بالشجاعة، ونور النّبي لائح في جبهته.

ولا تسل عن سيّد الحرم «قصي» فلقد جمع قومه من منازلهم وأسكنهم أرض مكة، وأمرهم بالبناء حول البيت؛ لتهابهم العرب، فبنوا حول جوانبه الأربعة، وجعلوا لهم أبواباً تخصهم، فباب لبني شيبة، وباب لبني جمح، وباب لبني مخزوم، وباب لبني سهم.

---

(١) السيرة الحلبية ١ : ٢٥، السيرة النبوية لابن كثير ١ : ١٦٧.
(٢) السيرة الحلبية ٣ : ١٦٩.

وتركوا قدر الطواف بالبيت ، وبنى قصي دار الندوة للمشاورة والتفاهم فيما يعرض عليهم من المهمات ، وتيمّنت قريش برأيه وسمّي مجمعاً .

وعند مجيء الحاج قال لقريش : «هذا أوان الحجّ ، وقد سمعت العرب بما صنعتم وهم لكم معظمون ، ولا أعلم مكرمة عند العرب أعظم من الطعام ، فليخرج كلّ انسان منكم من ماله خرجاً» . ففعلوا وجمع مالاً كثيراً ، ولمّا جاء الحاج نحر لهم علىٰ كلّ طريق من طرق مكة جزوراً ، غير ما نحره بمكة ، وأوقد النار بالمزدلفة ليراها الناس[(١)] .

وصنع للناس طعاماً أيام منى ، وجرىٰ عليه الحال حتّىٰ جاء الإسلام ، فالطعام الذي يصنعه السلطان أيام منىٰ كلّ عام من آثار قصي[(٢)] .

ومن هنا خضعت خزاعة لقصي ، وسلّمت له أمر الحرم وسدانة البيت الحرام ، بعد أن كانت عند حليل وعند قصي ابنته وهي أُمّ أولاده .

تولّىٰ قصي سدانة البيت : إمّا بوصاية من حليل عند الموت إليه ، أو أنّها كانت عند ابنته زوج قصي بالوراثة ، فقام زوجها بتدبير شؤون البيت لعجز المرأة عن القيام بهذه الخدمة ، أو أنّ أبا غبشان الخزاعي كان وصيّ حليل علىٰ هذه السدانة ، فعاوضه عليها قصي بأثواب وأذواد من الإبل .

هذا هو الصحيح المأثور في ولاية قصي سدانة البيت ، ويتفق

---

(١) السيرة الحلبية ١ : ٢١ .

(٢) تاريخ الطبري ٢ : ١٨٥ .

مع العقل الحاكم بنزاهة جدّ الرسول الأقدس خاتم الأنبياء عمّا تأباه شريعة إبراهيم الخليل من المعاوضة بالخمر المحرم في جميع الأديان.

أيجوز لجدّ الرسول أن يجعل للخمر قيمة ـ وثمنها سحت ـ وهو المانع عنها، المحذّر قومه منها؟! فإنّه قال لولده وقومه: «اجتنبوا الخمر، فإنّها لا تصلح الأبدان، وتفسد الأذهان»، فكيف يعاوض بها؟! بل لا يتحيّل إلىٰ مطلوبه بالخمر وهو القائل: «من استحسن قبيحاً نزل إلىٰ قبحه، ومن أكرم لئيماً أشركه في لؤمه، ومن لم تصلحه الكرامة أصلحه الهوان، ومن طلب فوق قدره استحقّ الحرمان، والحسود هو العدو الخفي»(١).

وقد جمع أطراف المجد والشرف «عبد مناف» بن قصي، ولبهائه وجمال منظره قيل له: «قمر البطحاء»، وكان سمحاً جواداً لا يعدم أحداً من ماله حتّىٰ في أيام أبيه، فقيل له: «الفيّاض».

ويسمّىٰ مناف؛ لأنه أناف علىٰ الناس وعلا أمره حتّىٰ ضربت له الركبان من أطراف الأرض(٢)، وكان اسمه عبداً، ثمّ أُضيف إلىٰ مناف فقيل له: «عبد مناف» وهذا هو الصحيح المأثور.

وأمّا ما أثبته ابن دحلان في السيرة النبوية من أن أُمّه اخدمته صنماً اسمه مناف، بعيد عن الصواب؛ إذ لا شكّ في نزاهة آباء النّبي وأُمهاته في جميع أدوار حياتهم من الخضوع للأصنام كرامة لحبيبه وصفيّه الرسول الأعظم، فليس بصحيح ما يقال: من أنّ في آباء النّبي وأُمهاته من يعبد الصنم، أو يخضع له؛ لشهادة ما تقدّم من

---

(١) السيرة الحلبية ١: ٢١.

(٢) إثبات الوصيه: ٧٥.

الأحاديث عليه ، وإليه أشار البوصيري :

لم تَزل فِي ضَمائِر الكَونِ تَـختَارُ لَكَ الأُمـــهاتَ والآبـــاءَ[1]

علىٰ أنّه لم يكن من الأصنام اسمه « مناف » ، وإنّما الموجود « مناة » بالتاء المثناة من فوق ، ومن هنا كان يقول ابن الكلبي في كتاب الأصنام : ٣٢ : « لا أدري أين كان هذا الصنم؟ ولمن كان؟ ومن نصبه »[2] .

ومنه نعرف الغلط في قول البرقي والزبير : أنّ أُمه أخدمته مناة (بالتاء المثناة من فوق) فسمي عبد مناة ، ولكن رأي قصي يوافق عبد مناة بن كنانة فحوّله عبد مناف .

وكان بيت عبد مناف أشرف بيوتات قريش[3] ، ولسيادته كان عنده قوس إسماعيل ولواء نزار .

ومن وصيّته ما وجد مكتوباً في بعض الأحجار : أوصىٰ قريشاً بتقوىٰ اللّه جلّ جلاله وصلة الرحم[4] .

وجرىٰ ابنه هاشم علىٰ سيرته حتّىٰ فاق قريشاً وسائر العرب ، واذعنوا له ، وكان يُطعم الحّاج ، كما كان يصنع أبوه . وأصابت قريشاً سنة مُجدِبة ، فخرج هاشم الىٰ الشام واشترىٰ الدقيق والكعك ، فهشم الخبز ، ونحر الجزر ، وأطعم الناس حتّىٰ أشبعهم . وكانت مائدته منصوبةً لا ترفع في السّراء والضّراء ، وكان يحمل ابن السبيل ، ويؤمن الخائف ، وإذا أهلّ هلالّ ذي الحجّة قام في صبيحته وأسند

---

(١) السيرة الحلبية ١ : ٧١ .

(٢) معجم البلدان للحموي ٥ : ٢٠٣ والعبارة التي فيه : « ولا أدري أين كان؟ ولا من كان نصبه » .

(٣) سبل الهدىٰ والرشاد ١ : ٢٧٢ .

(٤) السياسة الشرعية لابن تيمية ١ : ٥٧ .

ظهره الىٰ الكعبة من تلقاء بابها وخطب الناس فقال :

« يا معشر قريش ؛ إنّكم سادة العرب ، أحسنها وجوهاً ، وأعظمها أحلاماً ، وأوسطها نسباً ، وإنّكم جيران بيت اللّه ، أكرمكم اللّه بولايته ، وخصّكم بجواره دون بني إسماعيل ، وإنّه يأتيكم زوار اللّه يعظّمون بيته ، فهم أضيافه ، وحقّ من أكرم أضياف اللّه أنتم ؛ فأكرموا ضيفه وزواره ، فإنّهم يأتونه غبراً من كلّ بلد ، علىٰ ضوامر كالقداح ، فوربَّ هذه البنية لو كان لي مال يحتمل ذلك لكفيتموه ، وأنا مخرج من طيب مالي وحلالي ما لم يقطع فيه رحم ، ولم يؤخذ بظلم ، ولم يدخل فيه حرام ، فمن شاء منكم أن يفعل مثل ذلك فعل . وأسألكم بحرمة هذا البيت أن لا يخرج رجل منكم من ماله ـ لكرامة زوار بيت اللّه وتقويتهم ـ إلّا طيّباً ، لم يقطع فيه رحم ، ولم يؤخذ غصباً » .

فكانوا يجتهدون في ذلك ، ويخرجون من أموالهم ، ويضعونه في دار الندوة[١] .

وكان هاشم يطعم الحاجّ بمكة ومنىٰ وعرفة وجمع[٢] .

وهو أوّل من سنّ لقريش الرحلتين ؛ رحلة إلىٰ اليمن ورحلة إلىٰ الشام ، وأخذ لهم من ملوك الروم وغسان ما يعتصمون به[٣] ؛ وذلك إنّ تجار قريش لم تعد تجارتهم نفس مكة وضواحيها ، وإنّما تقدّم عليهم الأعاجم بالسلع ، فيشترونها ، حتّىٰ رحل هاشم إلىٰ الشام

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٥ : ٢١١ ، السيرة الحلبية ١ : ٩ ، سبل الهدىٰ والرشاد ١ : ٢٧٠ .

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٥ : ٢١١ ، تاريخ الطبري ٢ : ١٢ .

(٣) تاريخ الطبري ٢ : ١٢ ، الكامل في التاريخ ٢ : ١٦ .

ونزل على قيصر ، فأعجبه حسن خلقه وجمال هيئته وكرمه المنهمر ، فلم يحجبه ، وأذن له بالقدوم عليه بالتجارة ، وكتب أماناً بينهم ، فارتقت منزلة هاشم بين الناس ، فكان يسافر في الشتاء إلىٰ اليمن وفي الصيف إلىٰ الشام ، وشرك في تجارته رؤساء القبائل من العرب ومن ملوك اليمن والشام ، وجعل له معهم ربحاً ، وساق لهم إبلاً مع إبله ، وكفاهم مؤونة الأسفار علىٰ أن يكفوه مؤنة الأعداء في طريقه ومنصرفه ، فكان في ذلك صلاح عام للفريقين ، فكان المقيم رابحاً ، والمسافر محفوظاً ، فأخصبت قريش بذلك ، وأتاها الخير من البلاد العالية والسافلة ببركة هاشم ، وهذا هو الإيلاف المذكور في القرآن المجيد[١] .

وكان يقول في خطبته : « أيُّها الناس نحن آل إبراهيم ، وذريّة إسماعيل ، وبنو النضر بن كنانة ، وبنو قصي بن كلاب ، وأرباب مكة ، وسكان الحرم ، لنا ذروة الحسب ، ومعدن المجد ، ولكُلّ في كلّ خلف يجب عليه نصرته وإجابة دعوته ، إلّا ما دعا إلىٰ عقوق عشيرة وقطع رحم .

يا بني قصي ، أنتم كغصني شجرة أيّهما كسر أوحش صاحبه ، والسيف لا يصان إلّا بغمده ، ورامي العشيرة يصيبه سهمه ، ومن أمحكه اللجاج وأخرجه إلىٰ البغي .

أيّها الناس ، الحلم شرف ، والصبر ظفر ، والمعروف كنز ، والجود سؤدد ، والجهل سفه ، والأيام هول ، والدهر غيِّر ، والمرء منسوب إلىٰ فعله ، ومأخوذ بعمله ، فاصطنعوا المعروف تكسبوا الحمد ، ودعوا الفضول تجانبكم السفهاء ، وأكرموا الجليس يعمر

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٥ : ٢١٠ .

ناديكم، وحاموا الخليط يرغب في جواركم، وأنصفوا من أنفسكم يوثق بكم، وعليكم بمكارم الأخلاق فإنّها رفعة، وإياكم والأخلاق الدنيّة فإنّها تضع الشرف، وتهدم المجد، وإنّ نهنهة الجاهل أهون من جريرته، ورأس العشيرة يحمل أثقالها، ومقام الحليم عظة لمن انتفع به»[1].

ولنور النبوّة الحالّ في جبهته كان وجهه يضيء في الليلة الظلماء، ولم يمرّ بحجر ولا شجر إلّا ناداه: أبشر يا هاشم، سيظهر من ذريّتك أكرم خلق اللّه مُحمّد خاتم النبيّين.

وأوصاه أبوه ـ عبد مناف ـ بما أوصاه به أبوه قصي: أن لا يضع نور النبوّة إلّا في الأرحام الطاهرات من النساء، وأخذ عليه العهد بذلك، فقبل.

وقد تقدّم أنّها موروثة من آدم عليه السلام، ومن هنا رغب الأشراف من الأكاسرة والقياصرة في مصاهرة هاشم وهو يأبى، حتّىٰ إذا رأىٰ في المنام قائلاً يقول: عليك بسلمىٰ بنت عمرو بن لبيد بن حداث ابن زيد بن عامر بن غنم بن مازن من بني النجار، فإنّها طاهرة مطهّرة الأذيال، ليس لها مشبه من النساء، فادفع المهر الجزيل، فإنّك ترزق منها ولداً يكون منه النّبي، فمشىٰ هاشم وأخوه المطلب وبنو عمّه إلىٰ المدينة ومعهم لواء نزار وعليهم أفخر الثيّاب والدروع.

ولمّا اجتمع القوم خطب المطلب بن عبد مناف فقال: «نحن وفد بيت اللّه الحرام، والمشاعر العظام، وإلينا سعت الأقدام، وأنتم تعلمون شرفنا وسؤددنا، وما خصّنا به اللّه من النور الساطع والضياء

---

(١) جمهرة خطب العرب، لأحمد زكي صفوت ١: ٧٣، نقلاً عن آباء الأنبياء كلهم مؤمنون، مركز المصطفىٰ.

اللامع ، ونحن بنو لؤي بن غالب ، قد انتقل هذا النور إلىٰ عبد مناف ، ثُمّ إلىٰ أخينا هاشم ، وهو معنا من آدم عليه السلام ، وقد ساقه اللّه إليكم ، وأقدمه عليكم ، فنحن لكريمتكم خاطبون ، وفيكم راغبون » .

فأجابه عمرو ـ أبو سلمىٰ ـ بالقبول والإنعام ، وساقوا المهر كما أرادوا .

ولمّا تزوّج منها هاشم ، ودخل بها ، وحملت بعبد المطلب انتقل إليها النور ، وما زالت تسمع البشائر بولادة خير البشر فأفزعها ذلك ، إلّا أنّ هاشماً عرّفها أمر النّبي[1] .

فلمّا ولدت عبد المطلب كان يدعىٰ (شيبة الحمد) ؛ لكثرة حمد الناس له ، لكونه مفزع قريش في النوائب ، وملجأهم في الأُمور ، فكان شريف قومه وسيّدهم كمالاً ورفعةً ، غير مدافع عن ذلك ، وهو من حلماء قريش وحكمائها .

وقد سنّ أشياءً أمضاها له الإسلام : حرّم نساء الآباء علىٰ الأبناء ، ووجد كنزاً أخرج خمسه وتصدّق به ، وسنّ في القتل مائة من الإبل ، ولم يكن للطواف عدد عند قريش . فسنّه سبعة أشواط ، وقطع يد السارق ، وحرّم الخمر والزنا ، وأن لا يطوف بالبيت عريان ، ولا يستقسم بالأزلام ، ولا يؤكل ما ذبح علىٰ النصب[2] .

ومما يؤثر عنه : « الظلوم لن يخرج من الدنيا حتّىٰ ينتقم منه ، وإنّ وراء هذا الدار دار يجزى فيها المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته ، وإذا لم تصب الظلوم في الدنيا عقوبة فهي معدة له في

---

(١) بحار الأنوار ١٥ : ٤٠ .

(٢) الخصال : ٣١٣ ، الدر النظيم : ٧٩٨ .

الآخرة»[1].

وقيل له: الفيّاض؛ لكثرة جوده ونائله، حتّىٰ إنّ مائدته يأكل منها الراكب، ثُمّ ترفع إلىٰ جبل أبي قبيس لتأكل منها الطير والوحوش[2].

ولعزّه المنيع وشرفه الباذخ كان يفرش له بإزاء الكعبة، ولم يفرش لأيّ أحد غيره، ولا يجالسه علىٰ بساط الأُبهة إلّا نبيّ العظمة[3]، وإذا أراد أحد أعمامه أن ينحيه صاح به عبد المطلب وقال: «إنّ له لشأناً وملكاً عظيماً»[4].

ولا غرو في ذلك بعد أن كان وصيّاً من الأوصياء وقارئاً للكتب السماوية، ولقد أخبر أبو طالب رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «كان أبي يقرأ الكتب جميعاً» وقال: «إنّ من صلبي نبيّاً، لوددت أنّي أدركت ذلك الزمان فآمنت به، فمن أدركه من ولدي فليؤمن به»[5].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «واللّه ما عَبدَ أبي ولا جدّي عبد المطلب ولا عبد مناف ولا هاشم صنماً، وإنّما كانوا يعبدون اللّه، ويصلّون إلىٰ البيت علىٰ دين إبراهيم، متمسّكين به»[6].

وكان أبو طالب سيّد البطحاء شبيهاً بأبيه شيبة الحمد، عالماً بما جاء به الأنبيّاء، وأخبرت به أُممهم من حوادث وملاحم؛ لأنّه

---

(١) الغدير ٧: ٣٥٣، عقيدة أبي طالب للرفاعي: ٧٢.

(٢) السيرة الحلبية ١: ٦.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٢.

(٤) المصدر السابق.

(٥) بحار الأنوار ٣٥: ١٤٧.

(٦) كمال الدين وتمام النعمة: ١٧٥، بحار الأنوار ١٥: ١٤٤ وغيرها من المصادر.

وصيّ من الأوصياء، وأمين على وصايا الأنبياء حتّى سلّمها إلى النّبي [١].

قال درست بن منصور: قلت لأبي الحسن الأوّل: أكان رسول الله ﷺ محجوجاً بأبي طالب؟

قال: «لا، ولكن كان مستودع الوصايا فدفعها إلى النّبي ﷺ»

قلت: دفعها إليه على أنّه محجوج به؟

قال عليه السلام: «لو كان محجوجاً به ما دفعها إليه».

قلت: فما كان حال أبي طالب؟

قال: «أقرّ بالنّبي وبما جاء به حتّى مات» [٢].

وقال المجلسي: «أجمعت الشيعة على أنّ أبا طالب لم يعبد صنماً قطّ، وأنّه كان من أوصياء إبراهيم الخليل عليه السلام» [٣].

وحكى الطبرسي إجماع أهل البيت على ذلك، ووافقه ابن بطريق في كتاب المستدرك.

وقال الصدوق: «كان عبد المطلب وأبو طالب من أعرف العلماء وأعلمهم بشأنّ النّبي، وكانا يكتمان ذلك عن الجهّال والكفرة» [٤].

وممّا يشهد على أنّه كان على دين التوحيد وملّة إبراهيم، أنّ قريشاً لمّا أبصرت العجائب ليلة ولادّة أميّر المؤمنين، خصوصاً لما أتوا بالآلهة إلى جبل أبي قبيس ليسكن بهم ما شاهدوه ارتجّ الجبل،

---

(١) بحار الأنوار ٣٥: ٧٤.

(٢) الكافي ١: ٤٤٥، ح١٨.

(٣) بحار الأنوار ٣٥: ١٣٨، والعبارة فيها تقديم وتأخير.

(٤) كمال الدين وتمام النعمة: ١٧١، الخرائج والجرائح ٣: ١٠٧٤، وفي آخر الحديث: «عن الجهّال، وأهل الكفر والضلال».

وتساقطت الأصنام ، ففزعوا إلىٰ أبي طالب ؛ لأنّه مفزع اللاجيء ، وعصمة المستجير ، وسألوه عن ذلك ، فرفع يديه مبتهلاً إلىٰ المولّىٰ جلّ شأنه قائلاً : «إلهي أسألك بالمحمّدية المحمّودة ، والعلويّة العالّية ، والفاطميّة البيضاء إلّا تفضّلت علىٰ تهامة بالرأفة والرحمّة ، فسكن ما حلّ بهم ، وعرفت قريش هذه الأسماء قبل ظهورها ، فكانت العرب تكتب هذه الأسماء وتدعو بها عند المهمات ، وهي لا تعرف حقيقتها»[١] .

ومن هنا اعتمد عليه عبد المطلب في كفالة الرسول وخصّه به دون بنيه وقال :

وصيّت من كنيّته بطالّب عبدَ منافٍ وهو ذو تجارّب
بابنِ الحبيّبِ أكرمِ الأقارّب بابن الّذي قَدْ غابَ غيرَ آئب

فقال أبو طالب :

لا تُوصني بلازمٍ وواجبِ إنّي سمعتُ أعجبَ العجائبِ
من كُلّ حبرٍ عالمٍ وكاتبِ بأنّ بحمّد اللّه قول الراهبِ[٢]

فقال عبد المطلب : «أُنظر يا أبا طالب أن تكون حافظاً لهذا الوحيد الّذي لم يَشمّ رائحة أبيّه ، ولم يذق شفقة أُمّه ، أُنظر أن يكون من جسّدك بمنزّلة كبدك ، فإنّي قد تركت بنيّ كُلّهم وخصصتك به ، لأنّك من أُمّ أبيّه ، وأعلم فإنّ استطعت أن تتبعه فافعل ، وانصره بلسانك ويدك ومالك ، فإنّه واللّه سيسودكم ويملك ما لا يملك أحد من آبائي ، هل قبلت وصيّتي»؟

قال : «نعم ، قد قبلتُ ، واللّه علىٰ ذلكِ شاهد» .

---

(١) روضة الواعظين : ٧٨ ، مناقب آل أبي طالب ٢ : ٢٢ ، الدر النظيم : ٢٣١ .
(٢) مناقب آل أبي طالب ١ : ٣٤ ، بحار الأنوار ٣٥ : ٨٥ ، الدر النظيم : ٢١١ .

فقال عبد المطلب : «الآن خفف عليَّ الموت» ، ولم يزل يقبله ويقول : «اشهد أنّي لم أر أحداً في ولدي أطيب ريحاً منك ولا أحسن وجهاً»[١] .

وفرح أبو طالب بهذه الحظوة من أبيه العطوف ، وراح يدّخر لنفسه السعادة الخالدة بكفالة نبيّ الرحمّة ، فقام بأمره ، وحماه في صغره بماله وجاهه من اليهود والعرّب وقريش ، وكان يؤثره علىٰ أهلّه ونفسه ، وكيف لا يؤثره وهو يشاهد من ابن أخيّه ولمّا يبلغ التاسعة من عمره هيكل القدس يملأ الدست هيبةً ورجاحة ، أكثر ضحكه الابتسام ، ويأنس بالوحدة أكثر من الاجتماع .

وإذا وضع له الطعام والشراب لا يتناول منه شيئاً إلّا قال : «بسم اللّه الأحد» ، وإذا فرغ من الطعام حمِد اللّه وأثنىٰ عليه ، وإن رصده في نومه شاهد النور يسطع من رأسه إلىٰ عنان السماء[٢] .

وكان يوماً معه بذي المجاز ، فعطش أبو طالب ولم يجد الماء ، فجاء النّبي إلىٰ صخرة هناك وركلها برجله ، فنبع من تحتها الماء العذب[٣] . وزاد علىٰ ذلك توفر الطعام القليل في بيته حتّىٰ إنّه يكفي الجمع الكثير إذا تناول النّبي منه شيئاً[٤] .

وهذا وحدّه كافٍ في الإذعان بأن أبا طالب كان علىٰ يقين من نبوة ابن أخيه محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم .

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة : ١٧٢ ، وعنه المجلسي في بحار الأنوار ١٥ : ١٤٣ .

(٢) انظر مناقب آل أبي طالب ١ : ٣٦ ـ ٣٧ ، وعنه المجلسي في بحار الأنوار ١٥ : ٢٣٥ .

(٣) السيرة الحلبية ١ : ١٩١ .

(٤) المصدر السابق ١ : ١٨٩ .

أضف إلىٰ ذلك قوله في خطبته لما أراد أن يزوّجه من خديجة : «وهو واللّه بعد هذا له نبأ عظيم ، وخطر جليل»[١].

وفي وصيته لقريش : «إنّي أوصيّكم بمحمّد خيراً ، فإنّه الأمين في قريش ، والصدّيق في العرب ، وهو الجامع لكُلّ ما أوصاكم به ، وقد جاء بأمر قبله الجنان»[٢].

ولمّا جاء العبّاس بن عبد المطلّب يخبره بتألّب قُريش علىٰ معاداة الرسول قال له : «إنّ أبي أخبرني أنّ الرسول علىٰ حقٍّ ، ولا يضرّه ما عليه قريش من معاداة له ، وإنّ أبي كان يقرأ الكتب جميعاً ، وقال : إنّ من صلّبي نبيّاً لوددت أنّي أدركته فآمنت به ، فمن أدركه فليؤمن به»[٣].

واستشهاده بكلمة أبيه القارئ للكتب ، مع أنّه كان يقرؤها مثله ، يدلّنا علىٰ تفنّنه في تنسيق القياس وإقامة البرهان علىٰ صحة النبوّة ، وأنّ الواجب اعتناق شريعته الحقّة .

أمّا هو نفسه فعلىٰ يقين من أنّ رسالة ابن أخيه خاتمة الرسل ، وهو أفضل من تقدّمه قبل أن يشرق نور النبوّة علىٰ وجه البسيطة ،

---

(١) السيرة الحلبية ١ : ٢٢٦ ، إمتاع الاسماع للمقريزي ٦ : ٢٩ ، تفسير البحر المحيط ٣ : ١١٠ .

(٢) السيرة الحلبية ٢ : ٤٩ ، الغدير ٧ : ٣٦٦ . وقد ذكر المصادر الموردة للحديث .

(٣) الفتوح لابن أعثم الكوفي ٢ : ٥٥٧ ، الغدير ٧ : ٣٤٨ . وقد ذكر المصادر الموردة للحديث ثمّ قال : «قال الأميني : أترىٰ أنّ أبا طالبٍ يروي ذلك عن أبيه مطمئناً به ، وينشط رسول اللّه صلى الله عليه وآله هذا التنشيط لأوّل يومه ، ويأمره بإرشاد أمره والإشادة بذكر اللّه ، وهو مخبت بأنّه هو ذلك النّبي الموعود بلسان أبيه والكتب السالفة ، ويتكهن بخضوع العرب له ؛ أتراه سلام اللّه عليه يأتي بهذه كلّها ثُمّ لا يؤمن به؟! إنّ هذا إلّا اختلاق .

ولم تجهل لديه صفات النّبي المبعوث .

وعلىٰ هذا الأساس أخبر بعض أهلِّ العلم من الأحبار حينّما أسرّ إليه بأنّ ابن أخيه محمّد الروح الطيّبة ، والنّبي المطهّر علىٰ لسان التوراة والانجيل ، فاستكتمه أبو طالب الحديث كي لا يفشوا الخبر ، ثمّ قال له : «إنّ أبي أخبرني أنّه النّبي المبعوث ، وأمر أنّ أستر ذلك لئلا يغرىٰ به الأعادي» .

ولو لم يكن معتقداً صدق الدعوة لما قال لأخيه حمزة لما أظهر الإسلام .

فصَبْر أبا يَعلىٰ علىٰ دينِ أحمدٍ
وكُن مظهراً للدين وُفّقت صابراً

وحطْ من أتىٰ بالدين من عندِ ربِّه
بصدق وحقّ لا تكن حمز كافراً

فقد سرّني إذ قلت إنّك مُؤمن
فكنْ لرسولِ اللّهِ في اللّهِ ناصراً

ونادِ قُريشاً بالذي قَدْ أتيته
جهاراً وقُلْ ما كان أحمدَ ساحراً[1]

وقال راداً علىٰ قريش :

أَلَمْ تَعْلَموا أنّا وجدنا محمّداً
نبيّاً كموسىٰ خطَّ في أوّل الكتُب[2]

---

(١) مناقب آل أبي طالب ١ : ٥٦ ، كنز الفوائد للكراجكي : ٧٩ ، الغدير ٧ : ٣٥٧ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٤ : ٧٦ .

(٢) مناقب آل أبي طالب ١ : ٥٧ ، كنز الفوائد للكراجكي : ٧٩ ، البداية والنهاية لابن كثير ٣ : ١٠٨ ، السيرة النبوية لابن هشام ١ : ٢٣٥ .

وقال :

وأَمسىٰ ابنُ عبدِ اللّهِ فينا مُصدّقاً

علىٰ سخطٍ من قَومنا غيرَ معتّب[١]

وقال :

أمينٌ محبّ في العبادِ مسوّم ... بخاتمِ ربٍّ قاهرٍ للخواتمِ

يرىٰ الناسَ بُرهاناً عليه وهيّبة ... وما جاهل في فعلهِ مثل عالمِ

نبيّ أتاه الوحي من عندِ ربِّه ... فمَن قال لا يقرع بها سنّ نادم[٢]

وممّا خاطب به النجاشي :

تَعلّم خيارُ الناسِ أنّ محمّداً ... وزيرٌ لموسىٰ والمسيّح بن مريّم

أتىٰ بالهدىٰ مثْلَ الذي أتيَا بهِ ... فكُلّ بأمرِ اللّه يهدّي ويَعصِمُ

وإنّكم تتلونه في كتابكم ... بِصدقِ حديثٍ لا حديثَ المُترجم

فلا تجعلوا للّهِ نداً وأسلموا ... فإنّ طريق الحقّ ليس بمُظلِمِ

وقال :

اذهب بُنيّ فمَا عليكَ غَضاضَة ... اذهب وقرّ بذاك مِنك عيوناً

واللّه لن يَصلوا إليكَ بجمعهِم ... حتّىٰ أُوسدَ في التّراب دفيناً

ودعوتني وعلمتُ أنّكَ ناصحي ... ولقد صدقتَ وكُنتَ قَبلُ أميناً

---

(١) مناقب آل أبي طالب ١ : ٥٨ ، سيرة ابن إسحاق : ١٤٥ ، الدر النظيم للعاملي : ٢١٦ .

(٢) كنز الفوائد للكراجكي : ٧٩ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٤ : ٧٣ .

وذكــرتَ ديــناً لا مــحالة أنّــه ... مــن خــير أديــانِ البــريّة ديـناً[1]

وبعد هذه المصارحة هل يخالج أحداً الريبُ في إيـمان أبـي طالب؟

وهل يجوز علىٰ من يقول: «إنّا وجدنا محمّداً كموسىٰ نبياً» إلّا الاعتراف بنبوته والإقرار برسالته كالأنبياء المتقدّمين؟

وهل يكون إقرار بالنبوّة أبلغ من قوله: «فأمسىٰ ابن عبد اللّـه فينا مصدقاً»؟

وهل فرق بين أن يقول المسلم: أشهد أن لا إله إلّا اللّه وبين أن يقول:

وإن كـانَ أحـمد قَدْ جـاءَهم ... بصدقٍ ولم يتهم بالكذبٌ[2]

أو يعترف الرجل بأنّ محمّداً كموسىٰ وعـيسىٰ جـاء بـالهدىٰ والرشاد مثل ما أتيا به ثُمّ يحكم عليه بالكفر؟!

وهل هناك جملة يعبّر بها عن الإسلام أصرح من قول المسلم:

وذكــرت ديــناً لا مــحالة أنّــه ... من خـيرِ أديّـان البـريّة ديـناً؟

كلّا! ولو لم يعرف أبو طالب من ابن أخيه الصدق فيما أخبر به لما قال له بمحضر قريش ليريهم من فضله وهـو بـه خـبير وجـنانه طامن: «يابن أخي اللّه أرسلك»؟

---

(١) مناقب آل أبي طالب ١: ٣٠١، بحار الأنـوار ٣٥: ٨٧، الغـدير ٧: ٣٣٤، فتح الباري ٧: ١٤٨، تخريج الأحاديث والآثار للزيلعي ١: ٤٣٥، الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل للزمخشري ٢: ١٢، تفسير الثعلبي ٤: ١٤١، تفسير البغوي ٢: ٩١، زاد المسير لابن القيم ٢: ١٧، تاريخ الإسلام للذهبي ١: ١٥٠، البداية والنهاية لابن كثير ٣: ٥٦، السيرة الحلبية ١: ٤٦٢، وغيرها من المصادر الكثيرة التي نقلت هذا الشعر بتمامه أو بعض المقاطع منه.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٤: ٦٢، سيرة ابن إسحاق: ١٤٤.

قال : « نعم » .

قال : « إنّ للأنبياء معجزة وخرق عادة فأرنا آية »؟

قال صلى الله عليه وآله وسلم : « يا عم ادع تلك الشجرة وقل لها : يقول لك محمّد بن عبد اللّه : أقبلي بإذن اللّه »! فدعاها أبو طالب فأقبلت حتّىٰ سجدت بين يديه ، ثُمّ أمرها بالانصراف فانصرفت ، فقال أبو طالب : « أشهد أنّك صادق » ، ثُمّ قال لابنه علي عليه السلام : « يا بنيّ ألزمه »[١] .

وقال يوماً لعلي : « ما هذا الذي أنت عليه »؟

قال : « يا أبة آمنت باللّه ورسوله ، وصدّقت بما جاء به ، ودخلت معه واتبعته » . فقال أبو طالب : « أما أنّه لا يدعك إلّا إلىٰ خير فالزمه »[٢] .

وهل يجد الباحث بعد هذا كُلّه ملتحداً عن الجزم بأنّ شيخ الأبطح كان معتنقاً للدّين الحنيف ، ويكافح طواغيت قريش حتّىٰ بالإتمام مع النّبي في صلابة ، وإن أهمله فريق من المؤرّخين رعاية لمّا هم عليه من حبّ الوقيعة في أبي طالب ورميه بالقذائف ، حنقاً علىٰ ولده (الإمام) الذي لم يتسنّ لهم أي غميزة فيه ، فتحاملوا علىٰ أُمّه وأبيه ، إيذاءً له ، واكثاراً لنظائر من يرومون إكباره وإجلاله ممّن سبق منهم الكفر ، وحيث لم يسعهم الحظّ من كرامة النّبي أو الوصيّ عمدوا إلىٰ أبويهما الكريمين فعزوا إليهما الطامات ، وربما ستروا ما يؤثر عنهما من الفضائل إيثاراً لما يروقهم اثباته!!

---

(١) بحار الأنوار ٣٥ : ١١٥ ، الغدير ٧ : ٣٩٦ .

(٢) مناقب آل أبي طالب ١ : ٣٠١ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٣ : ٢٠٠ ، تفسير الثعلبي ٥ : ٨٥ ، تاريخ الطبري ٢ : ٥٨ ، السيرة الحلبية ١ : ٤٣٦ ، سبل الهدىٰ والسلام للصالحي الشامي ٢ : ٣٠١ .

ويشهد لذلك ما ذكره بعض الكتّاب عند ذكرىٰ أسرىٰ بدر فقال: «وكان من الأسرىٰ عمّ النّبي، وعقيل ابن عمه (أخو علي)»[1].

فإنّه لو كان غرضه تعريف المأسور لكان في تعريف عقيل بأنّه ابن عمّ النّبي كفاية، كما اكتفىٰ في تعريف العبّاس بأنّه عَمُّ النّبي، ولم يحتج أن يكتب بين قوسين (أخو علي)، وأنت تعرف المراد من ذكر هذه الكلمة بين قوسين، وإلىٰ أيّ شيء يرمز بها الكاتب، ولكن فاته الغرض وهيهات الذي أراد ففشل.

ثُمّ جاء فريق آخر من المؤرّخين يحسبون حصر المصادر في ذوي الأغراض المستهدفة، وأنّ ما جاءوا به حقائق راهنة، فاقتصر علىٰ مرويّاتهم ممّا دبّ ودرّج، وفيها الخرافات وما أوحته إليهم الأهواء والنوايا السيئة، ومن هنا أُهملت حقائق ورويت أباطيل.

فعزوا إلىٰ أبي طالب قوله: «إنّي لا أحبّ أن تعلوني أستي»![2]

---

(١) تاريخ الأُمّة العربية: ٨٤، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٣٩م.

(٢) مسند أحمد ١: ٩٩، مجمع الزوائد للهيثمي ٩: ١٠٢ وقال: «رواه أحمد وأبو يعلىٰ باختصار، والبزار والطبراني في الأوسط وإسناده حسن»، مسند أبي داود الطيالسي: ٢٦، السيرة الحلبية ١: ٤٣٦.

والجدير بالذكر أنّ الحديث ورد عن طريق يحيىٰ بن سلمة بن كهيل، عن أبيه، عن حبّة العرني، عن علي وعليه فالكلام يقع في مقامين:

الأوّل: في سند الحديث

والثاني: في متن الحديث.

أمّا سند الحديث فلا يحتاج إلىٰ كثير مؤونة؛ لأنّ يحيىٰ بن سلمة بن كهيل ضعيف، قال الذهبي في ميزان الاعتدال ٤: ٩٥٢٧/٣٨١: «يحيىٰ بن سلمة بن كهيل عن أبيه:

قال أبو حاتم وغيره: منكر الحديث.

=

ثُمّ رووا عنه أنّه قال لرسول اللّه : «ما هذا الدّين»؟

قال رسول اللّه : «دين اللّه ، ودين ملائكته ورسله ، ودين أبينا إبراهيم ، بعثني اللّه به إلىٰ العباد ، وأنت أحقّ من دعوته إلىٰ الهدىٰ وأحقّ من أجابني» .

= وقال النسائي : متروك .

وقال عباس عن يحيىٰ : ليس بشيء ، لا يكتب حديثه .

وقال محمّد بن إبراهيم بن أبي العنس : أخبرني يحيىٰ بن سلمة قال : كان سفيان الثوري يجيء إلىٰ أبي وهو غلام عليه أقبية يسمع منه ، فكان أبي يعيّرني به ويقول : أُنظر إلىٰ هذا الغلام يجيء من بني ثور رغبة في الحديث ، وأنت هاهنا لا ترغب فيه . . .» .

وارجع إلىٰ غيره تجد ترجمته كما ذكرنا .

وأمّا الناحية الثانية المتعلقة بمتن الحديث ، فنقول : إنّ صاحب السيرة الحلبية ١ : ٤٣٦ قال بعد أن ذكر الحديث : «وهذا ـ كما لا يخفىٰ ـ ينبغي أن يكون صدر منه قبل ما تقدّم من قوله لابنه جعفر : صل جناح ابن عمك ، وصل علىٰ يساره ، لما رأىٰ النّبي صلى الله عليه وآله وسلم يصلّي وعلي علىٰ يمينه . .» .

فاذن لا بدّ من تخطّي هذا الأمر وإثبات أنّ هذا القول صدر بعد ما أوصىٰ جعفر بالصلاة مع النّبي صلى الله عليه وآله وسلم وأنىٰ له إثبات ذلك ، مع ما عرفته من حال السند .

أضف إلىٰ ذلك أنّه قال : «وذكر أنّ أبا طالب قال لعلي : أي بني ما هذا الذي أنت عليه؟

فقال : يا أبتِ آمنت باللّه ورسوله ، وصدّقت ما جاء به ، ودخلت معه واتبعته!

فقال : إما إنّه لم يدعك إلّا إلىٰ خير فالزمه» .

وعليه فيكون الحديث المتقدّم باطلاً ؛ لأنّ المعروف خلافه .

يضاف إلىٰ ذلك تناقض آخر ؛ إذ ذكروا أنّ أبا طالب مات مشركاً ، لا لأجل هذه المقوله : «إنّي لا أحبّ أن تعلوني أُستي» ، بل لأجل ما ذكروا من قول أبي طالب : «إنّي لا أعلم أنّ ما يقوله ابن أخي لحقّ ، ولولا أنّي أخاف أن تعيّرني نساء قريش لاتبعته» .

فيكون عدم الاتباع لأجل هذا ، لا ما تقدّم .

فاذن الحديث ضعيف سنداً ، ومن الجهة الأخرىٰ فيه مشاكل مقنية تأبىٰ قبوله أو التصديق به ، فيكون من مختلقات العثمانيين .

فقال أبو طالب : «إنّي لا استطيع أن أُفارق ديني ودين آبائي ، واللّه لا يخلص إليك من قريش شيء تكرهه ما حييت»[1] .

فحسبوا من هذا الكلام أنّ أبا طالب ممّن يعبد الأوثان ، كيف! وهو على التوحيد أدلّ!

وجوابه : هذا من أنفس التورية وأبلغ المحاورة ، فإنّ مراده من قوله لرسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم عقيب قوله : «أنت أحق من دعوته» : «إنّي لا أستطيع أن أفارق ديني ودين آبائي» الاعتراف بإيمانه ، وأنّه باقٍ على الملّة البيضاء ، وحنيفية إبراهيم الخليل الذي هو دين الحقّ والهدى ، وهو دينه ودين آبائه ، ثُمّ زاد أبو طالب في تطمين النّبي بالمدافعة عنه مهما كان باقياً في الدنيا .

نعم ، من لا خبرة له بأساليب الكلام وخواصّ التورية يحسب أنّ أبا طالب أراد بقوله : «إنّي لا أُفارق ديني . . . إلى آخره» الخضوع للأصنام ، فصفق طرباً ، واختال مرحاً .

وجاء الآخر يعتذر عنه بأنّه كان يراعي بقوله هذا الموافقة لقريش ، ليتمكّن من كلائة النّبي وتمشية دعوته .

نحن لا ننكر أنّ شيخ الأبطح كان يلاحظ شيئاً من ذلك ويروقه مداراة القوم في ما يمسّ بكرامة الرسول للحصول على غايته الثمينة ، لكنّا لا نصافقهم في كلّ ما يقولون : من انسلاله عن الدّين الحنيف إنسلالاً باتاً ، فإنّه خلاف الثابت من سيرته حتّى عند رواة تلكم المخزيات ، ومهملي الحقائق الناصعة ، حذراً عمّا لا يلائم خطتهم ، فلقد كان يراغم أُولئك الطواغيت بما هو أعظم من التظاهر بالإيمان والائتمام بالصلاة مع النّبي .

---

(١) تاريخ الطبري ٢ : ٥٨ ، الكامل في التاريخ ٢ : ٥٨ .

وإنّ شعره الطافح بذكر النبوّة والتصديق بها سرت به الركبان ، وكذلك أعماله الناجعة حول دعوة الرسالة :

ولولاَ أبُــو طَــالبٍ وابـنِهِ ... لمّا مَثُلَ الدِّين شَخصاً فَقامَا
فَــذاكَ بِــمَكةَ آوىٰ وحَــامَا ... وهذا بـيثرِبَ جَسَّ الحِمامَا
تَكــفَّل عَــبدُ مُــنافٍ بِأمــرٍ ... وأُودىَ فَكَــان عــليٌ تَـمامَا
فــللّه ذا فَــاتِحُ للــهُدَىٰ ... وللّــه ذا للــمَعالِي خِــتامَا
وما ضَيرّ مَجدُ أبـي طَـالبٍ ... عَدو لغا أو جَهولٍ تـعامى[1]

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٤ : ٨٤ ، قال ابن أبي الحديد المعتزلي : «وصنّف بعض الطالبيين في هذا العصر كتاباً في إسلام أبي طالب وبعثه إليّ ، وسألني أن أكتب عليه بخطي نظماً أو نثراً ، أشهد فيه بصحة ذلك وبوثاقة الأدلّة عليه ، فتحرّجت أن أحكم بذلك حكماً قاطعاً ، لمّا عندي من التوقّف فيه ، ولم استجز أن أقعد عن تعظيم أبي طالب ، فإنّي أعلم أنّه لولاه لما قامت للإسلام دعامة ، وأعلم أنّ حقّه واجب علىٰ كلّ مسلم في الدنيا إلىٰ أن تقوم الساعة ، فكتبت علىٰ ظاهر المجلد : ولولا أبو طالب وابنه . . .» .
علىٰ أنا نقول : إن الأدلّة علىٰ إيمانه كثيرة ، بينما الأدلّة المنقولة عن عدم إيمانه فيها ما هو مرفوض ؛ لأنّ في أسانيدها من كان يبغض علي بن أبي طالب عليه السلام ، كحديث الضحضاح من النار ؛ فإنّه رواية المغيّرة بن شعبة ، وهو معلوم البغض والعداوة لأهل البيت عليهم السلام ولعلي عليه السلام بالخصوص ، حيث كان يسبّه علىٰ المنابر ، ويقيم خطباء علىٰ سبّه ، فمثل هذا الشخص لا تحلّ عنه الرواية مطلقاً فضلاً عن روايته عن حال أهل البيت عليهم السلام .
والخلاصة : إنّ أبا طالب مؤمن بالله وبرسوله لعدة أدلّة لا مطعن لها ، ولا تحتاج إلىٰ تأويل وهي كالتالي :
١ ـ الأشعار الكثيرة التي أطلقها أبو طالب في حقّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، والذي فيها الصريح بإيمانه وتصديقه برسالة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .
٢ ـ إنّ فاطمة بنت أسد زوجة أبي طالب من المسلمات الأوليات وقد بقيت علىٰ نكاح أبي طالب ، إلىٰ أن مات ، ولم يفرقها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولا أمر بتفريقهما .
٣ ـ بعض الأحاديث المنقولة عن أبي طالب والتي تدلّ علىٰ إسلامه .

=

وأمّا أمير المؤمنين فيخرس البليغ عن أن يأتي علىٰ صفاته، ويقف الكاتب متردّداً وما عساه أن يقول في من قال فيه أبوه أبو طالب، لمّا فزعت قريش إليه ليلة ولادة أمير المؤمنين إذا أبصروا عجائب لم يروها ولم يسمعوا بها:

«أيّها الناس سيظهر في هذه الليلة ولّي من أولياء اللّه، يكمّل فيه خصال الخيّر، ويتمّ به الوصيّين، وهو إمام المتقين، وناصّر الدّين، وقامع المشركين، وغيّظ المنافقين، وزيّن العابدين، ووصيّ رسول ربِّ العالمين، إمام هدىً، ونجمٍ علا، ومصباح دجىً، ومبيد الشرك والشبهات، وهو نفسّ اليقيّن».

= ٤ ـ محبة الرسول ﷺ لأبي طالب معلومة مشهورة، فهذا يدلّ علىٰ إيمانه لأنّ اللّه تعالىٰ أمرّ ببغض المشركين والتبري منهم، فلو كان مشركاً لابغضه.

السنن الكبرىٰ للبيهقي ٩: ١٣١، مجمع الزوائد للهيثمي ٦: ١٥٠ و١٥١ وقال عقيبه: «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح»، و٩: ١٢٠ و١٢٣ و١٢٤ و٣٧١، مسند أبي داود الطيالسي: ٣٢٠، المصنّف للصنعاني ١١: ٢٢٨، ح٢٠٣٩٥، المصنّف لابن أبي شيبة الكوفي ٧: ٤٩٦، ح ١٥ و٥٠٠، ح ٣٣ وح ٣٥ وح ٣٧ و٥٠٤، ح ٥٦ و٨: ٥٢٠، ح ٢ وح ٧ و٥٢٢، ح ١٠ وح ٢٢، مسند ابن راهويه ١: ٢٥٣، ح ٢١٩، مسند سعد بن أبي وقاص: ٥١، ح ١٩، كتاب السنّة لابن عاصم: ٥٩٤، ح ١٣٧٩ وح ١٣٨٠، السنن الكبرىٰ للنسائي ٥: ٤٦، ح ٨١٤٩ و٨١٥١ و١٠٨، ح ٨٣٩٩ وح ٨٤٠٠ وح ٨٤٠١ وح ٨٤٠٢ وح ٨٤٠٣ وح ٨٤٠٤ وح ٨٤٠٥ وح ٨٤٠٦ وح ٨٤٠٧ وح ٨٤٠٨ وح ٨٤٠٩ و١٢٣، ح ٨٤٣٩ و١٤٥، ح ٨٥١١، و١٧٢، ح ٨٥٨٧ و١٧٨، ح ٨٦٠١ و١٧٩، ح ٨٦٠٢ و١٨٠، ح٨٦٠٣، خصائص أمير المؤمنين للنسائي: ٤٩ و٥٠ و٥١ و٥٢ و٥٣ و٥٥ و٥٦ و٥٧ و٥٨ و٥٩ و٦٠ و٦١ و٦٢ و٨٢ و١١٦، صحيح ابن حبان ١٥: ٣٧٩ و٣٨٠ و٣٨٢، المعجم الأوسط للطبراني ١: ٢٣٩، و٦: ٥٩، المعجم الصغير للطبراني ٢: ١١، المعجم الكبير للطبراني ٦: ١٢٧ و٧: ١٣ و١٧ و٣٥ و٧٧، الاستيعاب لابن عبد البر ٢: ٧٨٧ و٣: ١٠٩٩، الدرر في اختصار المغازي والسير لابن عبد البر: ١٩٨ و١٩٩ و٢٠٠، رياض الصالحين للنووي: ١٠٨ و١٤٥.

ولم يزل يكرّر هذا القول وهو يتخلّل سكك مكة وأسواقها حتّىٰ أصبح(١).

ويقول رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم : «ضربة علي عمرو بن ود تعدل عِبادة الثقلين»(٢).

وقال يوم خيبر : «لأعطينّ الراية رجلاً يُحبّ اللّه ورسوله ويحبّه اللّه ورسوله ، لا يرجع حتّىٰ يفتح فأعطاها لعلي عليه السلام ، وكان الفتح علىٰ يده»(٣).

وبعد هذا فلنقف عن الاتيان بما أودع اللّه فيه من نفسيات وغرائز ، شكرها لَهُ الإسلام.

نعم ، يجب أن نلفت القارئ إلىٰ شيء أكثر البحث فيه رواة الحديث وهو : الإسلام حال الصغر ، وتردّدت الكلمة في الجوامع ، وتضاربت فيها الأقوال ، ولا يهمنا إطالة القول فيها :

---

(١) روضة الواعظين للنيسابوري : ٧٨ ، بحار الأنوار ٣٥ : ١٠٢.

(٢) ورد بهذا اللفظ في عوالي اللئالئ لابن جمهور الاحسائي ٤ : ٨٦ ، وورد بلفظ : «ضربة علي يوم الخندق أفضل من أعمال أُمتي إلىٰ يوم القيّامة» وفي المستدرك علىٰ الصحيحين للحاكم ٣ : ٣٢ ، شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ٢ : ١٤ ، تاريخ بغداد للبغدادي ١٣ : ١٩ ، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٥٠ : ٣٣٣.
وكلا الحديثين معناهما واحد ؛ لأنّ الأفضليّة في الأعمال تعني المعادلة إن لم تكن أكثر ، والأُمّة شاملة للثقلين معاً : الإنس ، والجنّ.

(٣) ورد الحديث بألفاظ مختلفة في : مسند أحمد ١ : ١٨٥ و٣٣١ و٢ : ٣٨٤ و٤ : ٥٢ و٥ : ٣٣٣ و٣٥٨ ، صحيح البخاري ٤ : ١٢ و٢٠ و٢٠٧ و٥ : ٧٦ ، كتاب المغازي ، باب غزوة خيبر ، كتاب الجهاد والسير ، باب دعاء النّبي صلى الله عليه وآله وسلم ، صحيح مسلم ٥ : ١٩٥ ، كتاب الجهاد والسير ، باب غزوة خيبر ، و٧ : ١٢٠ و١٢١ و١٢٢ ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل علي عليه السلام ، سنن ابن ماجه ١ : ٤٤ ، ح١١٧ ، سنن الترمذي ٥ : ٣٠٢ ح٣٨٠٨ ، فضائل الصحابة للنسائي : ١٥ و١٦ ، المستدرك علىٰ الصحيحين للحاكم ٣ : ٣٨ و١٠٩ و١٣٢ و٤٣٧.

١ ـ فإنّا لا نقول : إنّ أمير المؤمنين أوّل من آمن وإن كان هو أوّل من وافق الرسول علىٰ مبدأ الإسلام لمّا صدع بالأمر ، ولكنّا نقول : متىٰ « كفر » علي حتّىٰ يؤمن!! وإنّما كان هو وصاحب الدعوة الإلهية عارفين بالدّين وتعاليمه ، معتنقين له ، منذ كيانهما في عالم الأنوار قبل خلق الخلق ، غير أنّ ذلك العالم مبدأ الفيض الأقدس ووجودهما الخارجي مجراه ، فمحمّد نبيّ وعلي وصيّ وآدم بين الماء والطين صلّىٰ اللّه عليهم أجمعين.

٢ ـ علىٰ أنّ نبيّ الإسلام ، وهو العارف بأحكامه ، والذي خطّط لنّا التكاليف قبل إسلام ابن عمّه ، وأنجز له جميع ما وعده به من الإخوّة والوصاية والخلافة ، يوم أجاب دعوته وآزره علىٰ هذا الأمر وقد أُحجم عنه عندما نزلت آية : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾[1].

وهل ترىٰ أنّ النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم كان يومئذ يجد في شريعته عدم

---

(١) الشعراء : ٢١٤ . وحديث الإنذار ورد في مصادر متعدّدة ، وبأسانيد لابأس بها ، فورد بلفظ : « إنّ هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم ، فاسمعوا له وأطيعوه » في : شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٣ : ٢١١ ، شواهد التنزيل للحسكاني ١ : ٤٨٦ ، تفسير البغوي ٣ : ٤٠٠ ، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٤٢ : ٤٩ ، مناقب علي بن أبي طالب وما نزل من القرآن في علي لابن مردويه الاصفهاني : ٢٩٠ ، تاريخ الطبري ٢ : ٦٣ ـ وقد حذفه في تفسير فقال في جامع البيان ١٩ : ١٤٩ : « فأيكم يؤازرني علىٰ هذا الأمر ، علىٰ أن يكون أخي وكذا وكذا »!! وكذلك فعل ابن كثير في البداية والنهاية ٣ : ٥٣ ـ ، الكامل في التاريخ لابن الأثير ٢ : ٦٣ .
وبلفظ : « فأيّكم يبايعني علىٰ أن يكون أخي وصاحبي .. » في : مسند أحمد ١ : ١٥٩ ، مجمع الزوائد للهيثمي ٨ : ٣٠٢ وقال : « رواه أحمد ورجاله ثقات » ، السنن الكبرىٰ للنسائي ٥ : ١٢٦ ، خصائص أمير المؤمنين للنسائي : ٨٦ ، تفسير ابن كثير ٣ : ٣٦٣ ، الطبقات الكبرىٰ لابن سعد ١ : ١٨٧ ، تهذيب الكمال المزي ٩ : ١٤٧ ، أمتاع الاسماع للمقريزي ٥ : ١٧٨ .

الجدوىٰ بإسلام مثل علي عليه السلام لصغره، إلّا أنّه حاباه، كلّا وحاشا...!

وإنّما قابله بكلّ ترحيب، وخوّله ما لا يخوّل أحداً صحة إسلامه عنده، بحيث كان علىٰ أساس رصين، فاتخذه ردءاً، كمن اعتنق الدين عن قلبٍ شاعر، ولبّ راجح، وعقلية ناضجة يغتنم بذلك محاماته ومرضاة أبيه في المستقبل:

وإذا أكبرنا النّبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم عن كلّ مداهنة ومصانعة، فلا نجد مسرحاً في المقام لأيّ مقال إلّا أن نقول: إنّ إسلام علي عليه السلام كان عن بصيرة وثبات مقبول عند اللّه ورسوله وكان ممدوحاً منهما عليه.

كما تمدّح بذلك أمير المؤمنين عليه السلام غير مرّة وهو أعرف الأُمّة بتعاليم الدّين بعد النّبي الكريم فقال: «أنا الصدّيق الأكبر، لا يقولها بعدي الّا كاذب مفترٍ، صلّيت مع رسول اللّه قبل الناس بسبع سنين»[1].

---

(١) سنن ابن ماجه ١: ٤٤، وقال محقق السنن الشيخ محمّد عبد الباقي: «في الزوائد: إسناده صحيح. رواه الحاكم في المستدرك عن المنهال، وقال: صحيح علىٰ شرط الشيخين»، المستدرك للحاكم ٣: ١١٢، المصنف لابن أبي شيبة ٧: ٤٩٨، كتاب السنة لابن أبي عاصم: ٥٨٤، السنن الكبرىٰ للنسائي خصائص أمير المؤمنين للنسائي: ٤٦، تفسير الثعلبي ٥: ٨٥.
ومن يقول بأن علياً أسلم صغيراً؟!
نرد عليه فنقول: قد رووا كما في صحيح مسلم ١: ١٣٣، وفتح الباري ١٠: ٣٥٤ أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما نزلت عليه ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ دعا رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم قريشاً وقال: يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار..
يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة أنقذي نفسك من النار فإنّي لا أملك لكم من اللّه شيئاً..» مع أن فاطمة سلام اللّه عليها كانت صغيرة، إذ هذه الآية في بدء الدعوة العلنية، وفاطمة سلام اللّه عليها لا =

وقال له رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم : « أنت أوّل المؤمنين إيماناً واسلاماً »[١] .

كما مدحته الصحابة بذلك ، وهم أبصر من غيرهم يوم كانوا يغترفون من مستقىٰ العلم ومنبع الدين .

وعلىٰ هذا الأساس تظافر الثناء عليه من العلماء والمؤلّفين والشعراء وسائر طبقات الأُمّة بأنّه أوّل من أسلم ، لكن هناك ضالع في سيره حسب شيئاً فخانته هاجسته وهوىٰ إلىٰ مدحره الباطل فقال : إنّ علياً أسلم وهو صغير!! يريد بذلك الحطّ من مقامه وليس هناك .

٣ ـ ولو تنازلنا عن جميع ذلك فمن أين علمنا أن اشتراط البلوغ في التكليف كان مشروعاً في أوّل البعثة ، فلعلّه كبقية الأحكام التدريجية نزل به الوحي فيما بعد ، ولقد حكىٰ الخفاجي في شرح الشفا ج٣ ص١٢٥ في باب دعاء النّبي علىٰ صبي عن البرهان الحلبي والسبكي : أنّ اشتراط الأحكام بالبلوغ إنّما كان بعد واقعة أحد ، وعن غيرهما أنّه بعد الهجرة ، وفي السيرة الحلبية ج١ ص٣٠٤ أنّ الصبيان يومئذٍ مكلّفون وإنّما رفع القلم عن الصبي عام خيبر . وعن البيهقي أنّ

= يتجاوز عمرها ثمان سنين ، ومع ذلك دعاها النّبي صلى الله عليه وآله وسلم إلىٰ الإسلام وهي لم تكلف بعد ، وتصحيح دعوتها بإعتبار كونها مميزة تفهم فلذلك خاطبها ، فكذلك علي بن أبي طالب فاسلم وهو يعرف ما يقول فلذلك يصح إسلامه ويكون أوّل المسلمين ، وإلّا أن رفض ذلك ، فيلزم سقوط رواية الصحاح حول فاطمة سلام اللّه عليها ، إذ كيف يقبل مخاطبتها ودعوتها إلىٰ الإسلام وهي صغيرة ، ولا يقبل إسلام علي ابن أبي طالب لكونه صغيراً ، فإنّ ذلك قسمة ضيزىٰ .

ومن هذا تندفع جميع الإشكالات الموجودة علىٰ صغر إسلام علي بن أبي طالب عليه السلام .

(١) الأمالي للشيخ الصدوق : ٢٥ .

الأحكام إنّما تعلّقت بالبلوغ في عام الخندق أو الحديبية وكانت قبل ذلك منوطة بالتمييز[(١)(٢)].

٤ ـ علىٰ أنّا معاشر الإمامية نعتقد في أئمة الدّين بأنّهم حاملون أعباء الحجّة، متحلّون بحلّي الفضائل كُلّها، منذ الولادة، كما بعث عيسىٰ في المهد نبيّاً، وأُوتي الحكم يحيىٰ صبيّاً، غير أنّهم بين مأمور بالكلام أو مأمور بالسكوت حتّىٰ يأتي أوانه، فلهم أحكام خاصّة غير أحكام الرعيّة، ومن أقلّها قبول إجابة الدعوة ونحوها.

---

(١) هامش مصباح الفقاهة للسيد الخوئي ٢ : ٥١١.

(٢) السيرة الحلبية ١ : ٤٣٥ وقال عقيب هذا الكلام: «وقد ذكروا أنّ الزبير بن العوام أسلم وهو ابن ثمان سنين، وقيل: ابن خمس عشرة سنة، وقيل: ابن اثنتي عشرة شنة، وقيل: ابن ستة عشرة سنة.

وممّا يدل للأوّل ما جاء عن بعضهم كان علي والزبير وطلحة وسعد بن أبي وقاص ولدوا في عام واحد..

وممّا يدلّ ـ أيضاً ـ ما جاء في كلام بعض آخر: أسلم علي بن أبي طالب والزبير بن العوام وهما ابنا ثمان سنين، وإجماعهم علىٰ أنّ علياً لم يكن يبلغ الحلم برد القول بأنّ عمره كان إذ ذاك عشر سنين، أي بناءً علىٰ أنّ سن إمكان الاحتلام تسع سنين كما تقول به أئمتنا.

ثمّ قال: أقول: قال بعض متأخري أصحابنا: وإنّما صحت عبادة الصبي المميز ولم يصح إسلامه؛ لأنّ عبادته نفل والإسلام لا يتنفل به، وعلىٰ هذا مع ما تقدّم يشكل ما في الامتاع.

وأمّا علي بن أبي طالب فلم يكن مشركاً باللّه أبداً؛ لأنّه كان مع رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم في كفالته، كأحد أولاده، يتبعه في جميع أُموره، فلم يحتج أن يدعي الإسلام، فيقال: أسلم.

ثُمّ رأيت في الحديث ما يدلّ لما في الامتاع وهو: ثلاثة ما كفروا باللّه قط: مؤمن آل ياسين، وعلي بن أبي طالب، وآسية إمرأة فرعون.

والذي في العرائس روي عن النّبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: سباق الأمم ثلاثة لم يكفروا باللّه طرفة عين: حزقيل مؤمن آل فرعون، وحبيب النجار صاحب ياسين، وعلي بن أبي طالب ـ رضي اللّه تعالىٰ عنهم ـ وهو أفضلهم..».

فإذن ، لا مساغ لأيّ أحدٍ البحث في المسألة .

هذه هي السلسلة الذهبية التي تحلّىٰ بها أبو الفضل وهي (آباؤه الأكارم) ، وقد اتحد مع كُلّ حلقة منها الجوهر الفرد ، لاثارة الفضائل ، فما منهم إلّا من أخذ بعضادتي الشرف ، وملك أزمة المجد والخطر ، قد ضَمّ إلىٰ طيب المحتد عظمة الزعامة ، وإلىٰ طهارة العنصر نزاهة الإيمان ، فلاترىٰ أيّاً منهم إلّا منارَ هدىً ، وبحرَ ندىً ، ومثالَ تُقىً ، وداعية إلىٰ التوحيد وإلىٰ بسالة وبطولة وإباء وشمم ، وهم الّذين عرقوا في سيّدنا العبّاس عليه السلام هذه الفضائل كُلّها ، وإن كان القلم يقف عند انتهاء السلسلة إلىٰ أمير المؤمنين ، فلا يدري اليراع ما يخطّ من صفات الجلّال والجمالّ ، وأنه كيف عرّقها في ولدِهِ المحبوب (قمر الهاشميين) .

الأعمام

هلمّ معي أيّها القارئ لنقرأ صحيفة بيضاء مختصرة من حياة أعمام أبي الفضل، الّذين هُم أغصان تلك الشجرة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء، فإنّ للعمّومة عِرقاً يضرب في نفسيّات المولّود من فضائل وفواضل، وقد جاء في الحديث: «الولّد كما يشبه أخواله يشبه أعمامه»(١).

---

(١) ورد في كمال الدين وتمام النعمة للصدوق: ٣١٤، حدّثنا أبي ومحمّد بن الحسن ـ رضي اللّه عنهما ـ قالا: حدّثنا سعد بن عبد اللّه.. عن أبي جعفر الثاني محمّد بن علي عليه السلام قال: «أقبل أمير المؤمنين عليه السلام ذات يوم ومعه الحسن بن علي وسلمان الفارسي رضي الله عنه، وأمير المؤمنين عليه السلام متكىء على يد سلمان، فدخل المسجد الحرام، فجلس، إذ أقبل رجل حسن الهيئه واللباس، فسلّم على أمير المؤمنين عليه السلام، فرد عليه السلام فجلس ثُمّ قال:
يا أمير المؤمنين أسألك عن ثلاث مسائل، إن أخبرتني بهن علمت أنّ القوم ركبوا من أمرك ما أقضي عليهم أنّهم ليسوا بمأمونين في دنياهم ولا في آخرتهم، وإن تكن الأخرى علمت أنّك وهم شرع سواء.
فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: سلني عمّا بدا لك؟
فقال: أخبرني عن الرجل إذا نام أين تذهب روحه؟ وعن الرجل كيف يذكر وينسى؟ وعن الرجل كيف يشبه ولده الأعمام والأخوال؟
فالتفت أمير المؤمنين إلى أبي محمّد الحسن فقال: يا أبا محمّد أجبه، فقال: أمّا ما سألت عنه من أمر الإنسان إذا نام أين تذهب روحه، فإنّ روحه متعلّقة بالريح والريح متعلّقة بالهواء إلى وقت ما يتحرك صاحبها لليقظة، فإن أذن اللّه =

وقبل الإتيان علىٰ ما حباهم به المولىٰ من الآلاء نستعرض اليسير من حياة عَمِّ الرسول ﷺ ، الّذي لم يزل يفتخر به في مواطن شتّى ، ألا وهو الحمزة بن عبد المطلب .

وما أدراك ما حمزة؟ وما هو! وهل تعلم ماذا عنىٰ نبيّ العظمة من وصفه «بأسد اللّه وأسد رسوله»(١)؟ وهل أنّه أراد الشدّة والبسالة فحسب؟!

لا ؛ لأنّه ﷺ أفصح من نطق بالضّاد ، وكلامه فوق كلام البلغاء ، فلو كان يريد خصوص الشجاعة لكان حق التعبير أن يأتي بلفظ «الأسد» مجرّداً عن الإضافة إلىٰ اللّه سبحانه وإلىٰ رسوله ، كما هو المطّرد في التشبيه به نظماً ونثراً .

وحيث أضافه الرسول إلىٰ ذات الجلّالة والرسالة فلا بدّ أن يكون لغاية هناك أُخرىٰ ، وليست هي إلّا إفادة أنّ ما فيه من كرّ

= عزّ وجلّ يرد تلك الروح إلىٰ صاحبها جذبت تلك الروح الريح ، وجذبت تلك الريح الهواء ، فرجعت الروح ، فاسكنت في بدن صاحبها . . .
وأمّا ما ذكرت من أمر المولود الذي يشبه أعمامه وأخواله ؛ فإنّ الرجل إذا أتىٰ أهله فجامعها بقلبٍ ساكن ، وعروق هادئة ، وبدن غير مضطرب ، فاسكنت تلك الروح النطفة في جوف الرحم خرج الولد يشبه أباه وأُمّه ، وإن هو أتاها بقلب غير ساكن وعروق غير هادئة وبدن مضطرب أضطربت تلك النطفة فوقعت في حال إضطرابها علىٰ بعض العروق ، فإنّ وقعت علىٰ عرق من عروق الأعمام أشبه الولد أعمامه ، وإن وقعت علىٰ عرق من عروق الأخوال أشبه الرجل أخواله» .

(١) الكافي للكليني ١ : ٢٢٤ ، ح٢ ، كامل الزيارات لابن قولويه : ٦٢ ، الأمالي للشيخ الصدوق : ٥٤٧ ، المستدرك للحاكم ٢ : ١١٩ و٣ : ١٩٨ ، مجمع الزوائد للهيثمي ٩ : ٢٦٨ وقال : «ورجاله إلىٰ قائله رجال الصحيح» ، فتح الباري ٧ : ٢٨٦ بلفظ : «إنّ حمزة مكتوب في السماء أسد اللّه وأسد رسوله» وغيرها من المصادر الكثيرة .

وإقدام وبطش وتنمّر مخصوص في نصرة كلمة اللّه العليا ودعوة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وهذا أربىٰ من غيره وأرقى ، فكان سلام اللّه عليه من عمد الدّين ، وأعلام الهداية ، ولذلك وجب عليه الاعتراف بفضله ، وبما حباه المولىٰ سبحانه من النزاهة التي لا ينالها أحد من الشهداء ، وكان ذلك من مكمّلات الإيمان ، ومتمّمات العقائد الحقّة .

يشهد له ما في كتاب «الطرف» للسيد ابن طاووس : أنّ رسول اللّه قال لحمزة في الليلة التي أُصيب في يومها : «إنّك ستغيب غيبة بعيدة ، فما تقول لو سألك اللّه عن شرائع الإسلام وشروط الإيمان»؟

فبكىٰ حمزة وقال : أرشدني وفهّمني .

فقال النّبي : «تشهد للّه بالوحدانية ، ولمحمّد بالرسالة ، ولعليّ بالولاية ، وأنّ الأئمة من ذرية الحسين ، وأنّ فاطمة سيدة نساء العالمين ، وأنّ جعفر الطيار مع الملائكة في الجنّة ابن أخيك ، وأنّ محمّداً وآله خير البريّة» .

قال حمزة : آمنت وصدّقت .

ثُمّ قال رسول اللّه : «وتشهد بأنّك سيّد الشهداء ، وأسد اللّه وأسد رسوله» .

فلمّا سمع ذلك حمزة أدهش وسقط لوجهه ، ثُمّ قبّل عيني رسول اللّه وقال : أشهدَك علىٰ ذلك وأُشهِدُ اللّه وكفىٰ باللّه شهيداً[١] .

وإنّ التأمّل في الحديث يفيدنا منزلة كبرىٰ لحمزة من الدين والإيمان لا تحدّ ، وإلّا فما الفائدة في هذه البيعة والاعتراف بعد ما صدر منه بمكة من الشهادة للّه بالوحدانية ولرسوله بالنبوّة؟!

---

(١) بحار الأنوار ٦٥ : ٣٩٥ .

ولكنه صلى الله عليه وآله وسلم أراد لهذه الذات الطاهرة، التي حلّقت بصاحبها إلىٰ ذروة اليقين التحلّي بأفضل صفات الكمال، وهو التسليم لأمير المؤمنين بالولاية العامّة، ولأبنائه المعصومين بالخلافة عن جدّهم الأمين.

وهناك مرتبة أُخرىٰ لا يبلغ مداها أحد، وهي اعتراف حمزة وشهادته بأنّه سيّد الشهداء، وأنّه أسد اللّه وأسد رسوله، وأنّ ابن أخيه الطيار مع الملائكة في الجنّة. وهذه خاصّة لم يكلّف بها العباد فوق ما عرفوه من منازل أهل البيت المعصومين، وإنّما هي من مراتب السلوك والكشف واليقين.

وإذا نظرنا الىٰ إكبار الأئمة لمقامه ـ وهم أعرف بنفسيات الرجال، حتّىٰ إنّهم احتجوا علىٰ خصومهم بعمومته وشهادته دون الدين، كما احتجّوا بنسبتهم إلىٰ الرسول الأقدس، مع أنّ هناك رجالاً بذلوا أنفسهم دون مرضاة اللّه تعالىٰ. استفدنا درجة عالّية تقرب من درجاتهم عليهم السلام فهذا أمير المؤمنين يقول: «إنّ قوماً استشهدوا في سبيل اللّه من المهاجرين، ولكلّ فضل، حتّىٰ إذا استشهد شهيدنا قيل: سيّد الشهداء، وخصّه رسول اللّه بسبعين تكبيرة عند صلاته عليه»[١].

وفي يوم الشورىٰ احتجّ عليهم به فقال: «أنشدكم اللّه هل فيكم أحد له مثل عمّي حمزة أسد اللّه وأسد رسوله»[٢]؟!

---

(١) الاحتجاج ٣: ٢٥٩، بحار الأنوار ٢٢: ٢٧٢ و٢٣: ٥٨ و٧٨: ٣٤٨، نهج السعادة للمحمودي ٤: ١٩٢، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٥: ١٨١، جواهر المطالب في مناقب الإمام علي بن أبي طالب: ٣٧٢، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ٣: ٤٤٦.

(٢) الخصال للشيخ الصدوق: ٥٥٥، الأمالي للشيخ الطوسي: ٥٥٤، بحار

وقال الإمام المجتبىٰ في بعض خطبه : «وكان ممّن استجاب لرسول اللّه عمّه حمزة وابن عمّه جعفر ، فقتلا شهيدين في قتلىٰ كثيرة معهما من أصحاب رسول اللّه ، فجعل حمزة سيّد الشهداء»[1] .

وقال سيّد الشهداء أبو عبد اللّه يوم الطفّ : «أوليس حمزة سيّد الشهداء عمّ أبي»[2]؟!

إلىٰ غير ذلك ممّا جاء عنهم في الإشادة بذكره حتّىٰ إنّ رسول اللّه لم يزل يكرّر الهتاف بفضله ، ويعرّف المهاجرين والأنصار بما امتاز به أسدُ اللّه وأسد رسوله من بينهم ، كي لا يقول قائل ولا يتردّد مسلم عن الإذعان بما حبا اللّه تعالىٰ سيّد الشهداء من الكرامة ، فيقول صلى الله عليه وآله وسلم :

«يا معشر الأنصار ، يا معشر بني هاشم ، يا معشر بني عبد المطلب ، أنا محمّد رسول اللّه ، ألا أنّي خلقت من طيّنة مرحومة في أربعة من أهل بيتي : أنا ، وعلي ، وحمزة ، وجعفر»[3] .

= الأنوار ٢٢ : ٢٨٠ ، المناقب للخوارزمي : ٣١٤ ، الدر النظيم : ٣٣ ، كتاب الولاية لابن عقدة : ١٦٣ ، الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف لابن طاووس : ٤١٢ ، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٤٢ : ٤٣٤ ، ميزان الاعتدال للذهبي ١ : ٤٤٢ ، لسان الميزان لابن حجر ٢ : ١٥٧ ، وغيرها من المصادر .

(١) الأمالي للشيخ الطوسي : ٥٦٣ ، حلية الأبرار للبحراني ٢ : ٧٤ ، بحار الأنوار ١٠ : ١٤١ و٢٢ : ٢٨٣ ، كتاب الولاية لابن عقدة : ١٨٥ .

(٢) الإرشاد للشيخ المفيد ٢ : ٩٧ ، مثير الأحزان للحلي : ٣٧ ، تاريخ الطبري ٤ : ٣٢٢ ، الكامل في التاريخ لابن الأثير ٤ : ٦٢ ، الدر النظيم : ٥٥٢ .

(٣) الأمالي للشيخ الصدوق : ٢٧٥ ، التوحيد للشيخ الصدوق : ٢٠٤ ، الأمالي للشيخ الطوسي : ٤١٠ ، بحار الأنوار ١١ : ٣٨٠ و٢٢ : ٣٧٤ ، غاية المرام للبحراني ٥ : ١١٧ .

والغرض من هذا ليس إلّا التعريف بخصوص فضلّ عمّه وابن عمّه، فلذلك لم يتعرّض لخلق الأئمة، بل ولا شيعتهم المخلوقين من فاضل طينتهم ـ كما في صحيح الآثار ـ وإنّما ذكر نفسه ووصيّه لكونهما من أُصولّ الإسلام والإيمان.

كما أنّ أمير المؤمنين يوم فتح البصرة لمّا صرّح بفضل سبعة من ولد عبد المطلب قال: «لا ينكر فضلهم إلّا كافر، ولا يجحده إلّا جاحد، وهم: النّبي محمّد، ووصيّه، والسبطان، والمهدي، وسيّد الشهداء حمزة، والطيّار في الجنان جعفر»[1]، لم يقصد بذلك إلّا التنويه بفضل عمّه وأخيه، فقرن شهادتهما بمن نهض في سبيل

---

(١) الكافي ١: ٤٥٠، ح٣٤، عنه بحار الأنوار ٢٢: ٢٨٢، ح٤١.
والمؤلّف نقل مضمون الرواية ونصّ الرواية كالتالي: «عن أصبغ بن نباته الحنظلي، قال: رأيت أمير المؤمنين عليه السلام يوم افتتح البصرة، وركب بغلة رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم، ثمّ قال: «أيها الناس ألا أخبركم بخير الخلق يوم يجمعهم اللّه»؟
فقام إليه أبو أيوب الأنصاري فقال: بلىٰ يا أمير المؤمنين حدّثنا، فإنّك كنت تشهد ونغيب.
فقال: «إنّ خير الخلق يوم يجمعهم اللّه تعالىٰ سبعة من ولد عبد المطلب، لا ينكر فضلهم إلّا كافر، ولا يجحد به إلّا جاحد».
فقام عمّار بن ياسر رحمه الله فقال: يا أمير المؤمنين، سمّهم لنا لنعرفهم!
فقال: «خير الخلق يوم يجمعهم اللّه الرُسّل، وإنّ أفضل الرسل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، وإنّ أفضل كُلّ أُمة بعد نبيّها وصيّ نبيّها حتّىٰ يدركه نبي، ألا وإنّ أفضل الأولياء وصيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، ألّا وإنّ أفضل الخلق بعد الرسل الشهداء، ألّا وإنّ أفضل الشهداء حمزة بن عبد المطلب وجعفر ابن أبي طالب، له جناحان يطير بهما في الجنّة، لم ينحل أحد من هذه الأمّة جناحان غيره. شيء أكرم اللّه به محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم وشرّفه، والسبطان الحسن والحسين والمهدي عليهم السلام، يجعله اللّه من شاء منّا أهل البيت». ثمّ تلا هذه الآية: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَـٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـٰئِكَ رَفِيقاً * ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيماً﴾ النساء: ٦٩.

الدّعوة الإلهية وهم أركان الإسلام والإيمان.

ولو لم تكن لسيّد الشهداء حمزة وابن أخيه الطيار كلّ فضيّلة سوىٰ شهادتهما للأنبيّاء بالتبلّيغ وأداء الرسالة، لكفىٰ أن لا يتطلب الإنسان غيرهم.

قال أبو عبد اللّه الصادق عليه السلام: «إذا كان يوم القيامة وجمع اللّه ـ تبارك وتعالىٰ ـ الخلائق كان نوح (صلّىٰ اللّه عليه) أوّل من يدعىٰ به فيقال له: هل بلّغت؟

فيقول: نعم.

فيقال له: من يشهد لك؟!

فيقول: محمّد بن عبد اللّه صلى الله عليه وآله وسلم.

قال: فيخرج نوح (صلّىٰ اللّه عليه) ويتخطّىٰ الناس حتّىٰ يأتي إلىٰ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، وهو علىٰ كثيّب المسّك، ومعه علي عليه السلام، وهو قول اللّه عزّ وجلّ: ﴿**فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾[١]، فيقول نوح لمحمّد صلى الله عليه وآله وسلم: يا محمّد إنّ اللّه ـ تبارك وتعالّىٰ ـ سألني هل بلغت؟ فقلت: نعم، فقال: من يشهد لك؟ قلت: محمّدا! فيقول: يا جعفر، يا حمزة اذهبا واشهدا أنّه قد بلّغ.

فقال أبو عبد اللّه عليه السلام فحمزة وجعفر هما الشاهدان للأنبياء عليهم السلام بما بلّغوا».

فقال الراوي: جعلت فداك فعلي عليه السلام أين هو؟

فقال: هو «أعظم منزلة من ذلك»[٢].

وهذه الشهادة لا بدّ أن تكون حقيقية، بمعنىٰ أنّها تكون عن

---

(١) الملك: ٢٧.

(٢) الكافي للكليني ٨:٢٦٧، ح ٣٩٢، وعنه بحار الأنوار للمجلسي ٧:٢٨٣، ح ٤.

وقوف بمعالّم دين نوح عليه السلام وأديان الأنبياء الّذين هما الشاهدان لهم بنصّ الحديث ، وإحاطة شهودية بها ، وبمعارفها ، وبمواقعها ، وبوضعها في الموضع المقرّر له ، وإلّا لما صحّت الشهادة . وهذا المعنىٰ هو المتبادر إلىٰ الذهن من الشهادة عند إطلاقها ، فهي ليست شهادة علميّة ، بمعنىٰ حصول العلم لهما من عصمة الأنبياء بأنّهم وضعوا ودائع نبواتهم في مواضعها ، ولو كان ذلك كافياً لما طُولبوا بمن يشهد لهم ، فإنّ جاعل العصمة فيهم ـ جلّ شأنه ـ أعرف بأمانتهم ، لكنّه لضرب من الحكمة أراد سبحانه وتعالىٰ أن يجري الأمر علىٰ أُصول الحكم يوم فصل القضاء .

ثُمّ إنّ هذه الشهادة ليست فرعيّة ، بمعنىٰ إنّهما يشهدان عن شهادة رسول اللّه ، فإنّ المطلوب في المحاكم هي الشهادة الوجدانية فحسب .

فإذا تقرّر ذلك فحسب حمزة وجعفر من العلم المتدفق خبرتهما بنواميس الأديان كُلّها ، والنواميس الإلّهية جمعاء ، أو وقوفهما بحقِّ اليقين ، أو بالمعايّنة في عالم الأنوار ، أو المشاهدة في عالم الأظلة والذكر لها في عالم الشهود والوجود ، ومن المستحيل بعد تلك الإحاطة أن يكونا جاهلين بشيء من نواميس الإسلام .

طالب

إنّ الثابت عند المحقّقين إسلام طالب بن أبي طالب من أوّل الدعوة ، فإنّ المتأمّل إذا نظر بعين البصيرة إلىٰ أبي طالب ، وقد ضمّ أولاده أجمع والنّبي صلى الله عليه وآله وسلم معهم ، لا يفارقونه في جميع الأحوال ، مع ما يشاهدونه منه صلى الله عليه وآله وسلم من الآيات الباهرات ؛ لا يرتاب في صدق الدعوىٰ ، وقد أفصح عنه شعره[1] :

إذا قِيلَ مَنْ خَيرُ هذا الوَرىٰ	قَبيلاً وأكرَمَهم أُسرَة
أنافِ بعَبدِ مُنافِ أبٌ	وفَضلّه هَاشِمُ الغَرة
لَقَد حَلّ مَجدُ بَنِي هَاشِمٍ	مَكانَ النَعائِمِ والنَثرةِ
وخَيرُ بَنِي هَاشِمٍ أحمد	رَسولُ الإلهِ عَلىٰ فَترةِ

(١) إيمان أبي طالب للشيخ المفيد : ٣٥ ، بحار الأنوار ٣٥ : ١٦٥ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٤ : ٧٨ .

وإنّ في حديث جابر الأنصاري ما يفيد منزلة أرقىٰ من مجرّد الإسلام يقول قلت لرسول اللّه : أكثر الناس يقولون : إنّ أبا طالب مات كافراً ؟

قال : « يا جابر ، ربّك أعلم بالغيّب ، إنّه لمّا كانت اللّيلة التي أُسرِيَ بِي فيها إلىٰ السماء انتهيت إلىٰ العرش ، فرأيت أربعة أنوار ، فقلت : إلهي ما هذه الأنوار؟

فقال : يا محمّد ، هذا عبد المطلب ، وهذا أبو طالب ، وهذا أبوك عبد اللّه ، وهذا أخوك طالب .

فقلت : إلهي وسيدي ، فِيم نالوا هذه الدرجة؟

قال : بكتمانهم الإيمان والصبر علىٰ ذلك حتّىٰ ماتوا »[١] .

ورویٰ الكليني في روضة الكافي عن الصادق عليه السلام : «كان طالب مسلماً قبل بدر ، وإنّما أخرجته قريش كرهاً ، فنزل رجّازوهم يرتجزوُن ، ونزل طالب يرتجز :

يـا ربِّ إمّـا يـغزونَ بـطالبِ ... فـي مـقنبٍ مـنَ هـذهِ المقانبِ

فـي مَـقنَبٍ المُـحاربُ المُـغالبِ ... يَجعلهُ المَسلُوبَ غَيرَ السالبِ[٢]

---

(١) روضة الواعظين : ٨١، وعنه في بحار الأنوار ٣٥ : ١٦ ، ح١٢ ، الدر النظيم للعاملي : ٢٣٤ .

(٢) روضة الكافي للكليني ٨ : ٣٧٥ ، عمدة الطالّب لابن عنية : ٣٠، وعن =

وروىٰ محمّد بن المثنىٰ الحضرمي أنّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم لقي أبا رافع مولىٰ العبّاس ابن عبد المطلب يوم بدر، فسأله عن قومه؟ فأخبره أنّ قريشاً أخرجوهم مكرهين(١).

ويشهد له ما رواه ابن جرير أنّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم قال يوم بدر: «إنّي لأعرف رجالاً من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرهاً، لا حاجة لهم بقتالنا، فمن لقي منكم أحداً منهم فلا يقتله، ومن لَقِيَ العبّاس بن عبد المطلب فلا يقتله، إنّما خرج مستكرهاً»(٢).

وقد اختلف في موت طالب فقيل: إنّه لمّا خرج إلىٰ بدر فُقد

= الكافي في بحار الأنوار ١٩: ٢٩٤، ح٣٨، المجدّ في أنساب الطالبيين للعلوي: ٣١٨، تاريخ الطبري ٢: ١٤٤، الكافي في التاريخ ٢: ١٢١، الوافي بالوفيات ١٦: ٢٢٢، البداية والنهاية ٣: ٣٢٥، السيرة النبّوية لابن هشام الحميري ٢: ٤٥١، السيرة النبوية لابن كثير ٢: ٤٠٠.

(١) الأصول الستة عشر من الأصول الأولية: ٢٥٩، وفي مجمع الزوائد للهيثمي ٧: ١٠: «عن ابن عباس ـ رضي اللّه عنهما ـ قال: كان ناس من أهل مكة قد أسلموا، وكانوا مستخّفين بالإسلام، فلمّا خرج المشركون إلىٰ بدرٍ أخرجوهم مكرهين..

قلت: أخرج البخاري بعضه، رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح غير محمّد بن شريك، وهو ثقة»

أقول: وفي إخفاء الأسماء عادة قديمة عند القوم، ولهم تضلّع كبير فيها يعرفها من سير كلماتهم، ولاحظ أقوالهم. وللّه مع ما يسمّون بـ (أهل السنّة والحديث) شؤون لا تخفىٰ.

(٢) بحار الأنوار ١٩: ٣٠٤، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٤: ١٨٣، تفسير القرطبي ٨: ٤٩، تفسير ابن كثير ٢: ٣٤٠، الطبقات الكبرىٰ لابن سعد ٤: ١٠، تاريخ الطبري ٢: ١٥١، الكامل في التاريخ ٢: ١٢٨، تاريخ الإسلام ٢: ٥٨ و١٢٠، البداية والنهاية ٣: ٣٤٨، السيرة النّبوية لابن هشام الحميري ٢: ٤٥٨، السيرة النّبوية لابن كثير ٢: ٤٣٦، سبل الهدىٰ والرشاد للصالحي الشامي ٤: ٤٩، السيرة الحلبية للحلبي ٢: ٤١٣.

ولم يعرف خبره ، وقيل : أقحمه فرسه في البحر فغرق . وليس من البعيد أنّ قريشاً قتلته حينما عرفت منه الإسلام ، وعرفت مصارحته بالتفاؤل بمغلوبيتهم ، وكان حاله كحال سعد بن عبادة لمّا رماه الجن ـ لو صدقت الأوهام ـ[1] .

---

(١) لم يُعرف حال طالب بن أبي طالب بشيء ، غير ذكر له من خرج مكرها من بني هاشم إلىٰ معركة بدر ، وأمّا حاله بعدها فهو مجهول عند المحدّثين والمؤرّخين .

قال ابن سعد في الطبقات الكبرىٰ ١ : ١٢١ : «كان اسم أبي طالب عبد مناف ، وكان له من الولد طالب بن أبي طالب ، وكان المشركون أخرجوه وسائر بني هاشم إلىٰ بدر كرهاً . . فلمّا انهزموا لم يوجد في الأسرىٰ ، ولا في القتلىٰ ولا رجع إلىٰ مكة ، ولا يدرىٰ ما حلّ به ، وليس له عقب» .

ومثله في تاريخ الطبري ٢ : ١٤٣ ، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢ : ١٢١ .

وقال ابن عبد البرّ في الاستيعاب ٢ : ٨١٧ : «وذكروا أنّ ثلاثة نفر ذهبوا علىٰ وجوههم فهاموا ، ولم يوجد ولم يسمع لهم بأثر : طالب بن أبي طالب» .

ومثله في أُسد الغابة ٣ : ١١٢ ، وغيرها من المصادر الكثيرة التي اتفقت علىٰ جهالة حال طالب بعد معركة بدر ، وهذا شيء غريب ملفت للنظر ، خصوصاً وأنّ المؤرّخين ركزوا علىٰ بني هاشم وذكر أخبارهم وسيرهم .

ثُمّ إنّ المؤلّف شبهه ـ علىٰ بعد ـ بسعد بن عبادة الأنصاري ، المعروف في وقعة السقيفة ، وموقفه من أبي بكر وعمر ، من معارضته وعدم مبايعته لهم ، وهذا الصحابي اختلف في موته .

قال ابن عبد البرّ في الاستيعاب ٢ : ٥٩٩ : «ولم يختلفوا أنّه وجد ميتاً في مغتسله ، وقد اخضر جسده ، ولم يشعروا بموته حتّىٰ سمعوا قائلاً ـ ولا يرون أحداً ـ :

قتلنا سيد الخزرج سعد بن عباده ... رميناه بسهم فلم يخطئ فؤاده

ويقال : إن الجنّ قتلته»

قال السيّد الأمين في أعيان الشيعة ٧ : ٢٢٥ : «وقيل : إن الذي رماه المغيّرة بن شعبة ، وقيل : شخصاً غيره ، رماه كلّ واحد بسهم . وأُشيع أنّ الجنّ رمته وقالت البيتين ، ويحكىٰ عن بعض الأنصار أنه قال :

وما ذنب سعد أنه بال قائماً ... ألّا ربما خففت فعلك بالغدر

يقولون سعد شقت الجنّ بطنه ... ولكن سعداً لم يبايع أبا بكر

وفي الاستيعاب: لم يختلفوا أنه وجد ميتاً في مغتسله وقد أخضر جسده، ولم يشعروا بموته حتىٰ سمعوا قائلاً يقول ـ ولا يرون أحد ـ: نحن قتلنا.. البيتين، ويقال:إنّ الجن قتله اهـ.

وياليت شعري وما ذنبه إلىٰ الجن حتّىٰ تقتله الجنّ؟!

وينقل عن محمّد بن جرير الطبري ، وكأنه الشيعي ، وفي مؤلّفه عن أبي علقمة ، قلت لابن عبادة ، وقد مال الناس إلىٰ بيعة أبي بكر : ألا تدخل فيما دخل فيه المسلمون؟

=

عقيل

كان عقيل بن أبي طالب أحد أغصان الشجرة الطيّبة، وممّن رضي عنهم الرسول ﷺ، فإنّ النظرة الصحيحة في التاريخ تفيدنا اعتناقه الإسلام أوّل الدعوة، وكان هذا مجلبة للحبّ النبوي حيث اجتمعت فيه شرائط الولاء من: رسوخ الإيمان في جوانحه، وعمل الخيرات بجوارحه، ولزوم الطاعة في أعماله، واقتفاء الصدق في أقواله، فقول النّبي له: «إنّي أُحبّك حبين: حبّاً لك، وحبّاً لحبِّ أبي طالب لك»[1] إنّما هو لأجل هاتيك المآثر، وليس من المعقول كون

= قال: إليك عنّي، فواللّه لقد سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «إذا أنا مت تضلّ الأهواء ويرجع الناس على أعقابهم، فالحقّ يومئذٍ مع علي»، وكتاب اللّه بيده، لا نبايع أحداً غيره

فقلت له: هل سمع هذا الخبر أحد غيرك من رسول اللّه ﷺ؟ فقال: أناس في قلوبهم أحقاد وضغائن.

قلت: بل نازعتك نفسك أن يكون هذا الأمر لك دون الناس؟

فحلف أنه لم يهم بها ولم يردها، وأنّهم لو بايعو علياً لكان أول من بايعه».

(١) ورد هذا الحديث بألفاظه المختلفة في المصادر التالية: بحار الأنوار ٣٥: ١٥٧ و٤٢: ١١٥، المستدرك للحاكم ٣: ٥٧٦، مجمع الزوائد ٩: ٢٧٣، المعجم الكبير للطبراني ١٧: ١٩١، الاستيعاب ٣: ١٠٧٨، الطبقات الكبرىٰ ٤: ٤٤، معرفة الثقات للعجلي ١: ٣٨٣، تاريخ مدينة دمشق ٢٠: ٥٥ و٤١: ١٨، أُسد الغابة ٣: ٤٢٢، سير أعلام النبلاء ١: ٢١٩، تاريخ الإسلام للذهبي ٤: ٨٤، الوافي بالوفيات ٢٠: ٦٣، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١١: ٢٥ و١٤: ٧٠، السيرة الحلبية ١: ٤٣٢.

=

حُبّه لغاية شهوية أو لشيء من عرض الدنيا .

إذن ، فحسب عقيل من العظمة هذه المكانة الشامخة . وقد حدته قوة الإيمان إلىٰ أن يسلق أعداء أخيه أمير المؤمنين بلسان حديد ، خلّده عاراً عليهم مدىٰ الحقب والأعوام[1] .

علىٰ أن حُبَّ أبي طالب له لم يكن لمحض النبوّة ، فإنّه لم يكن ولده البكر ، ولا كان أشجع ولده ، ولا أوفاهم ذمّة ، ولا ولده الوحيد ، وقد كان في ولده مثل أمير المؤمنين وأبي المساكين جعفر الطيار ، وهو أكبرهم سنّاً ، وإنّما كان « شيخ الأبطح » يظهر مرتبة من الحُبِّ له مع وجود ولده (الإمام) وأخيه الطيار لجمعه الفضائل

= قال المؤلّف : ولكنّه في المجالس ـ مجلس ٢٧ ـ روىٰ عن ابن عباس : أن علياً قال لرسول الله ﷺ : « أتحب عقيلاً »؟
قال : « أي والله إني لأحبّه حبين : حبّاً لرسول الله ، وحبّاً لحبّ أبي طالب له ، وإنّ ولده لمقتول في محبّة ولدك ، فتدمع عليه عيون المؤمنين ، وتصلي عليه الملائكة المقرّبون ، ثُمّ بكىٰ رسول الله حتّىٰ جرت دموعه علىٰ صدره ، وقال : إلىٰ الله أشكو ما تلقىٰ عترتي بعدي » .
وهو في الأمالي للشيخ الصدوق : ١٩١ ح٣/٢٠١ ، وعنه بحار الأنوار ٢٢ : ٢٨٨ ، ح٥٨ .

(١) قال العلّامة الأميني في الغدير ١٠ : ٢٦١ : قال معاوية لعقيل بن أبي طالب : إنّ علياً قد قطعك ، وأنا وصلتك ، ولا يرضيني منك إلّا أن تلعنه علىٰ المنبر .
قال : أفعل ، فصعد المنبر ثُمّ قال ـ بعد أن أحمد الله ، وأثنىٰ عليه ، وصلّىٰ علىٰ نبيّه ﷺ : أيّها الناس إنّ معاوية بن أبي سفيان قد أمرني أن العنّ علي بن أبي طالب فالعنوه ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .
ثُمّ نزل فقال له معاوية : إنّك لم تبيّن من لعنت منهما ، بيّنه .
فقال : والله لا زدت حرفاً ولا نقصت حرفاً ، والكلام إلىٰ نيّة المتكلّم .
العقد الفريد ٢ : ١٤٤ ، المستطرف ١ : ٥٤ .
والكلام فيه تورية لطيفة ولعن لمعاوية من قبل عقيل .

والفواضل، موروثة ومكتسبة.

وبعد أن فرضنا أنّ أبا طالب حجّة وقته، وأنّه وصيّ من الأوصياء لم يكن يحابي أحداً بالمحبّة، وإن كان أعزّ ولده، إلّا أن يجده ذلك الإنسان الكامل الّذي يجبَ في شريعة الحقِّ ولاءه.

ولا شكّ أنّ عقيلاً لم يكن علىٰ غير الطريقة التي عليها أهل بيته أجمع من الإيمان والوحدانية للّه تعالىٰ، وكيف يشذّ عن خاصته وأهله وهو وإيّاهم في بيت واحد، وأبو طالب هو المتكفل تربيته وإعاشته، فلا هو بطارده عن حوزته، ولا بمبعده عن حومته، ولا بمتضجّر منّه علىٰ الأقل؟

وكيف يتظاهر بحُبِّه ويدنيه منه ـ كما يعلمنا النصّ النبوّي السابق ـ لو لم يتوثق من إيمانه، ويتيقّن من إسلامه، غير أنّه كان مبطناً له، كما كان أبوه من قبل وأخوه طالب؟، وان كُنّا لا نشكّ في تفاوت الإيمان فيه وفي أخويه الطيّار وأمير المؤمنين.

وحينئذٍ لم يكن عقيل بدعاً من هذا البيت الطاهر الّذي بني الإسلام علىٰ علاليه، فهو مؤمن بما صدع به الرسول منذ هتف داعية الهدىٰ.

كما لبّت هذا الهتاف أُختهم أُم هاني، فكانت من السابقات إلىٰ الإيمان، كما عليه صحيح الأثر، وفي بيتها نزل النّبي عن معراجه، وهو في السنّة الثالثة من البعثة، وحدّثها بأمره قبل أن يخرج إلىٰ الناس، وكانت مصدّقة له غيّر أنّها خشيت تكذيب قريش إياه، وعليه فلا يعبأ بما زعم من تأخّر إسلامها إلىٰ عام الفتح سنة ثمان من

الهجرة[١] .

وما عسىٰ أن يقول القائل في أُمهم ، زوج شيخ الأبطح ، بعد شهادة الرسول الأمين بأنّها من الطاهرات الطيّبات المؤمنات في جميع أدوار حياتها .

والعجب! ممّن اغتر بتمويه المبطلين فدوّن تلك الفرية ، زعماً منه أنّها من فضائل سيّد الأوصياء وهي : إنّ فاطمة بنت أسد دخلت البيت الحرام وهي حاملة بعلي عليه‌السلام فأرادت أن تسجد لهبل فمنعها علي وهو في بطنها[٢] .

وقد فات المسكين أنّ في هذه الكرامة طعناً بتلك الذات المبرّأة من رجّس الجاهلية ودنس الشرك .

وكيف يكون أشرف المخلوقات بعد خاتم الأنبيّاء المتكوّن من النور الإلهي مودعاً في وعاء الكفر والجحود؟!

---

(١) «في مناقب ابن شهرآشوب ١ : ١١٠ أنّها ماتت في أيام النّبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ، ولكن ابن حجر في تقريب التهذيب ٢ : ٨٨٢١/٦٧٣ نصّ علىٰ وفاتها في خلافة معاوية ، وعليه فليست هي المعنيّة بما في كامل الزيارة : ١٩٥ واقبلت إليه بعض عمّاته تقول : أشهد يا حسين لقد سمعت قائلاً يقول :

وإن قَتيلَ الطَفِ مِن آلِ هَاشمٍ ... أذَلَ رِقَاباً مِنَ قُريشٍ فَذلَتِ

انتهىٰ كلام المؤلف .

أقول : مضافاً إلىٰ ذلك ، فإنّ المحدّثين ذكروا أنّ قائل هذه الأبيات سليمان بن قتة الخزاعي ، وارجع إلى : مناقب آل أبي طالب ٣ : ٢٦٣ ، ومثير الاحزان لابن نما الحلّي : ٨٩ ، الإستيعاب عبد البرّ ١ : ٣٩٤ ، نظم درر السمطين : ٢٢٦ ، تاريخ مدينة دمشق ١٤ : ٢٥٩ ، أُسد الغابة ٢ : ٢٢ ، تهذيب الكمال ٦ : ٤٤٧ ، سير أعلام النبلاء ٣ : ٣١٨ ، تاريخ الإسلام ٥ : ١٠٨ ، البداية والنهاية ٨ : ٢٣٠ .

(٢) السيرة الحلبية للحلبي ١ : ٤٢٢ ، شرح احقاق الحق للمرعشي ٨ : ٧٠ .

كما أنّهم أبعدوها كثيراً عن مستوىٰ التعاليم الإلهية، ودروس خاتم الأنبياء الملقاة عليها كُلّ صباح ومساء، وفيها ما فرضه المهيمن ـ جلّ شأنه ـ علىٰ الأُمّة جمعاء من الإيمان بما حبىٰ ولدها والوصي بالولاية علىٰ المؤمنين حتّىٰ أختصّ بها دون الأئمة من أبنائه، وإن كانوا نوراً واحداً وطينة واحدة، ولقد غضب الإمام الصادق عليه السلام علىٰ من سمّاه أمير المؤمنين وقال: «مه لا يصلح هذا الاسم إلّا لجدّي أمير المؤمنين».

فرووا أنّ النّبي صلى الله عليه وآله وسلم وقف علىٰ قبرها وصاح: «ابنك علي لا جعفر ولا عقيل» ولما سُئل عنه أجاب: «أنّ الملك سألها عمّن تدين بولايته بعد الرسول، فخجلت أن تقول ولدي»[١].

أمن المعقول أن تكون تلك الذات الطاهرة الحاملة لأشرف الخلق بعد النبوّة بعيدة عن تلك التعاليم المقدّسة؟ وهل في الدين حياء؟

نعم أرادوا أن يزحزحوها عن الصراط السوي ولكن فاتهم الغرض وأخطأوا الرمية، فإن الصحيح من الآثار ينصّ علىٰ أنّ النّبي لمّا أنزلها في لحدها ناداها بصوت رفيع: «يا فاطمة أنا محمّد سيّد ولد آدم ولا فخر، فإذا أتاك منكر ونكير فسألاك من ربّك فقولي: اللّه ربّي، ومحمّد نبيّي، والإسلام ديني، والقرآن كتابي، وابني إمامي ووليّي»، ثمّ خرج من القبر وأهال عليها التراب»[٢].

(١) الفضائل لابن شاذان: ١٠٣، مستدرك الوسائل ٢: ٣٤٢.
(٢) روضة الواعظين للنيسابوري: ١٤٢، بحار الأنوار ٧٨: ٣٥١، ح ٢٢ عن مجالس الصدوق، بشارة المصطفىٰ للطبري: ٣٧٢.

ولعلّ هذا خاصّ بها ومن جرىٰ مجراها من الزاكـين الطـيّبين، وإلّا فلم يعهد في زمن الرسالة تلقين الأموات بمعرفة الولّي بـعده، فإنّه كـتخصيصها بـالتكبير أربـعين، مـع أنّ التكـبير عـلىٰ الأمـوات خمس.

وبالرغم من هاتيك السفاسف التي أرادوا بها الحـطّ مـن مـقام والدة الإمام، أظهر الرسول أمام الأُمّة مـا أعـرب عـن مكـانتها مـن الّدين، وأنّها بعين فاطر السماء حين كفّنها بقميصه الذي لا يـبلىٰ، لتكن مستورة يوم يعرى الخلق، وكان الاضطجاع في قـبرها إجـابة لرغبتها فيه عند ما حدثها عن أهوال القبر وما يكون فيه من ضغطة ابن آدم.

فتحصّل: إنّ هذا البيت الطاهر (بيت أبي طالب) بيت توحيد وإيمان وهدىٰ ورشاد، وإنّ من حواه البيت رجالاً ونساء كُلّهم علىٰ دينٍ واحدٍ منذ هتف داعية الهُدىٰ وصَدعَ بأمر الرسالة، غير أنّهم بين من جاهر باتّباع الدعوة، وبين من كتم الإيمان لضرب من المصلحة.

السفر إلىٰ الشام

لقد كانت الروايات في سفر عقيل إلىٰ الشام ، في أنّه علىٰ عهد أخيه الإمام أو بعده متضاربة ، واستظهر ابن أبي الحديد في شرح النهج ج٣ ص٨٢ أنّه بعد شهادة أمير المؤمنين، وجزم به العلّامة الجليل السيّد علي خان في الدرجات الرفيعة ، وهو الذي يقوي في النظر بعد ملاحظة مجموع ما يؤثر في هذا الباب ، وعليه تكون وفادته كوفود غيره من الرجال المرضيين عند أهل البيت إلىٰ معاوية في تلك الظروف القاسية بعد أن اضطرتهم إليه الحاجة ، وساقهم وجه الحيلة في الإبقاء علىٰ النفس والكف من بوادر الرجل ، فلا هم بملومين بشيء من ذلك ، ولا يحطّ من كرامتهم عند الملأ الديني ، فإنّ للتقية أحكاماً لا تنقض ولا يلام المضطرّ علىٰ أمر اضطرّ إليه .

علىٰ أنّ عقيلاً لم يؤثر عنه يوم وفادته علىٰ معاوية إقرار له بإمامة ولا خضوع له عند كرامة ، وإنّما المأثور عنه الوقيعة فيه ، والطعن في حسبه ونسبه ، والحطّ من كرامته ، والإصحار بمطاعنة ، مشفوعة بالإشارة إلىٰ فضل أخيه أمير المؤمنين.

من ذلك أنّ معاوية قال له : يا أبا يزيد أخبرني عن عسكري وعسكر أخيك؟

فقال عقيل : أخبرك ، مررت واللّه بعسكر أخي فإذا ليل كليل

رسول اللّـه صلى الله عليه وآله وسلم ونـهار كـنهار رسـول اللّـه صلى الله عليه وآله وسلم ، إلّا أن رسـول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم ليس في القوم ، ما رأيت إلّا مصلياً ، ولا سمعت إلّا قارئاً . ومررت بعسكرك فاستقبلني قوم من المنافقين ممّن نفر برسول اللّـه ليلة العقبة[١] .

وقال له معاوية : إنّ علياً قطع قرابتك وما وصلك؟

فقال له عقيل : واللّه لقـد أجـزل العـطية وأعـظمها ، ووصـل القرابة وحفظها ، وحسن ظنّه باللّه إذ ساء به مثلك ، وحفظ أمـانته ، وأصلح رعيته إذ خنتم وأفسدتم وجرتم ؛ فاكفف لا أباً لك ؛ فـإنّه عمّا تقول بمعزل[٢] .

ثُمّ صاح : يا أهل الشام ، عنّي فاسمعوا لا عن مـعاوية ، إنـي أتيت أخي علياً فوجدته رجلاً قد جعل دنياه دون دينه ، وخشي اللّه علىٰ نفسه ، ولم تأخذه في اللّه لومة لائم . . . وإنّـي أتـيت مـعاوية فوجدته قد جعل دينه دون دنـياه ، وركب الضـلالة ، واتـبع هـواه ، فأعطاني ما لم يعرق فيه جبينه ، ولم تكدح فيه يمينه ، رزقاً أجراه اللّه علىٰ يديه ، وهو المحاسب عليه دوني ، لا محمود ولا مشكور .

ثُمّ التفت إلىٰ معاوية فقال : أما واللّه يابن هند ما تـزال مـنك سوالف يمرها منك قول وفعل ، فكأنّي بك وقد أحاط بك ما الذي منه تحاذر .

فأطرق معاوية ساعة ثُمّ قال : من يعذرني من بني هاشم ، ثُـمّ أنشد يقول :

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢ : ١٢٥ .
(٢) الدرجات الرفيعة : ١٦١ .

أُزيدهم الإكرام كي يشعبوا العصا
فـيأبوا لدىٰ الإكـرام أن لا يكـرموا

وإذا عـطفتني رقـتان عـليهم
نأوا حسـداً عـنّي فكـانوا هـم هـم

وأعـطيهم صـفو الإخـا فكأنّـني
مـعاً وعـطاياي المـباحة عـلقم

وأغضي عـن الذنب الذي لا يـقيله
مـن القـوم إلّا الهـزبري المـقمم

حـبّاً واصـطباراً وانـعطافاً ورقـةً
وأكظم غيظ القـلب إذ ليس يكـظم

أمّا واللّه يابن أبي طالب لولا أن يقال: عجّل معاوية لخرق ونكل عن جوابك، لتركت هامتك أخف علىٰ أيدي الرجال من حواي الحنظل.

فأجابه عقيل:

عـذيركَ مـنهم مـن يـلوم عـليهم
ومـن هـو مـنهم فـي المـقالة أظـلم

لعـمرك مـا أعـطيتهم منك رأفة
ولكـن لأسـباب وحـولك عـلقم

أبـىٰ لهـم أن يـنزل الذلّ دارهـم
بـنو حـرّة مـزهر وعـقل مسـلم

وإنّـهم لم يـقبلوا الذلّ عـنوة
إذا مـا طـغا الجـبّار كـانوا هـم هـم

فدونك مـا أسـديت فأشـدد يـداً بـه
وخيركم المبسوط والشـرّ فـالزموا

ثُمّ رمىٰ المائة ألف درهم ونفض ثوبه وقام ومضىٰ، فلم يلتفت إليه. فكتب إليه معاوية:

أمّا بعد؛ يابني عبد المطلب أنتم واللّه فروع قصي، ولباب

عبد مناف ، وصفوة هاشم ، فأين أحلامكم الراسية ، وعقولكم الكاسية ، وحفظكم الأواصر ، وحبكم العشائر ، ولكم الصفح الجميل ، والعفو الجزيل ، مقرونان بشرف النبوّة وعزّ الرسالة ، وقد واللّه ساءني ما كان جرىٰ ولن أعود لمثله إلىٰ أن أغيب في الثرىٰ .

فكتب إليه عقيل :

صدقتَ وقلتَ حقّاً غير أنّي أرىٰ ألا أراك ولا تراني

ولستُ أقول سوءاً في صديقي ولكنّي أصدّ إذا جفاني

فكتب إليه معاوية وناشده في الصفح وأجازه مئة ألف درهم حتّىٰ رجع[1] .

فقال له معاوية : لِمَ جفوتنا يا أبا يزيد؟

فأنشأ عقيل :

وإنّي امرؤ منّي التكرّم شيمةً إذا صاحبي يوماً علىٰ الهون أضمرا

ثُمّ قال : أيم اللّه يا معاوية ، لئن كانت الدنيا أفرشتك مهادها ، وأظلّتك بسرادقها ، ومدّت عليك أطناب سلطانها ، ما ذاك بالذي يزيدك منّي رغبة ولا تخشعاً لرهبة .

فقال معاوية : لقد نعتها أبو يزيد نعتاً هشّ له قلبي ، وأيم اللّه يا أبا يزيد لقد أصبحت كريماً وإلينا حبيباً وما أصبحت أضمر لك إساءة[2] .

---

(١) الدرجات الرفيعة : ١٦٣ ـ ١٦٤ .
(٢) الدرجات الرفيعة : ١٦٤ .

هذا حال عقيل مع معاوية ، وحينئذٍ فأيّ نقص يلمّ به والحالة هذه؟!

وعلىٰ الوصف الذي أتينا به تعرف أنّه لا صحة لما رواه المتساهلون في النقل من كونه مع معاوية بصفين ، فإنّه ممّا لم يتأكد إسناده ، ولا عرف متنه ، ويضاده جميع ما ذكرناه ، كما يبعده كتابه من مكة إلىٰ أمير المؤمنين حين أغار الضحّاك علىٰ الحيرة وما والاها ، وذلك بعد حادثة صفين ، وهذه صورة الكتاب :

لعبد اللّه أمير المؤمنين ، من عقيل بن أبي طالب :

سلام عليك ، فإني أحمد إليك اللّه الذي لا إله إلّا هو ، أما بعد ؛ فإنّ اللّه حارسك من كُلّ سوء ، وعاصمك من كُلّ مكروه ، وعلىٰ كُلّ حال فإنّي خرجت إلىٰ مكة معتمراً فلقيت عبد اللّه بن أبي سرح مقبلاً من « قديد » ، في نحو من أربعين شاباً من أبناء الطلقاء ، فعرفت المنكر في وجوههم ، فقلت : إلىٰ أين يا أبناء الشانئين ، أبمعاوية لاحقون عداوة للّه منكم غير مستنكرة تريدون إطفاء نور اللّه وتبديل أمره؟

فأسمعني القوم وأسمعتهم ، فلمّا قدمت مكة سمعت أهلها يتحدّثون أنّ الضحّاك بن قيس أغار علىٰ الحيرة فاحتمل من أموالها ما شاء ، ثُمّ انكفأ راجعاً سالماً ، وإنّ الحياة في دهر جرّأ عليك الضحّاك لذميمة ، وما الضحّاك إلّا فقع بقرقر ، وقد توهّمت حيث بلغني ذلك أن شيعتك وأنصارك خذلوك ، فاكتب إليّ يابن أبي برأيك ، فإن كنت الموت تريد تحملت إليك ببني أخيك وولد

أبيك ، فعشنا معك ما عشت ، ومتنا معك إذا متّ ، فواللّه ما أحبّ أن أبقىٰ في الدنيا بعدك فواق ناقة ، وأُقسم بالأعزّ الأجلّ أن عيشاً نعيشه بعدك لا هنأ ولا مرأ ولا نجيع والسلام .

فكتب إليه أمير المؤمنين عليه السلام :

« من عبد اللّه علي أمير المؤمنين إلىٰ عقيل بن أبي طالب :

سلام عليك ، فإنّي أحمد إليك اللّه الذي لا إله إلّا هو ، أما بعد ؛ كلأنا اللّه وإياك كلأة من يخشاه بالغيب إنّه حميد مجيد .

وقد وصل إليّ كتابك مع عبد الرحمن بن عبيد الأزدي تذكر فيه أنّك لقيت عبد اللّه بن أبي سرح مقبلاً من « قديد » ، في نحو من أربعين فارساً من أبناء الطلقاء ، متوجّهين إلىٰ جهة المغرب ، وإن ابن أبي سرح طالما كاد اللّه ورسوله وكتابه ، وصدّ عن سبيله ، وبغاها عوجاً ، فدع عنك ابن أبي سرح ، ودع عنك قريشاً وتركاضهم في الضلال ، وتجوالهم في الشقاق ، ألّا وإنّ العرب قد أجمعت علىٰ حرب أخيك اليوم إجماعها علىٰ حرب النّبي قبل اليوم ، فأصبحوا قد جهلوا حقّه ، وجحدوا فضله ، وبادروه بالعداوة ، ونصبوا له الحرب ، وجهدوا عليه كُلّ الجهد ، وجروا إليه جيش الأحزاب . اللهمّ فاجز قريشاً عنّي الجوازي ، فقد قطعت رحمي ، وتظاهرت عليّ ، ودفعتني عن حقّي ، وسلبتني سلطان ابن أُمي ، وسلّمت ذلك إلىٰ من ليس مثلي في قرابتي من الرسول ، وسابقتي في الإسلام ، ألا يدّعي مدّع ما لا أعرفه ، ولا أظنّ اللّه يعرفه ، والحمد للّه علىٰ كُلّ حال .

فأمّا ما ذكرته من غارة الضحّاك علىٰ أهل الحيرة ، فهو أقلّ

وأزل من أن يلم بها أو يدنو منها ، ولكنّه قد أقبل في جريدة خيل ، فأخذ علىٰ السماوة حتّىٰ قربوا من واقصة[١] وشراف[٢] والقطقطانة[٣] وما وإلىٰ ذلك الصقع ، فوجّهت إليه جنداً كثيفاً من المسلمين ، فلمّا بلغه ذلك فرّ هارباً ، فاتبعوه ولحقوه ببعض الطريق وقد أمعن ، وكان ذلك حين طفلت الشمس للإياب ، فتناوشوا القتال قليلاً ، فلم يبصر إلّا بوقع المشرفية ، وولىٰ هارباً ، وقتل من أصحابه بضعة عشر رجلاً ونجا مريضاً بعد ما أخذ منه المخنق ، فلأيّ بلاء ما نجا .

فأمّا ما سألتني أن أكتب إليك برأيي فيما أنا فيه ، فإنّ رأيي جهاد المحلين حتّىٰ ألقىٰ اللّه ، لا تزدني كثرة الناس عزّة ، ولا تفرقّهم عنّي وحشة ، لأني محقّ واللّه مع الحقّ ، وواللّه ما أكره الموت علىٰ الحقّ ، وما الخير كُلّه إلّا بعد الموت لمن كان محقّاً .

وأمّا ما عرضت به من مسيرك إلىٰ بنيك وبني أبيك ، فلا حاجة لي في ذلك ، فأقم راشداً محموداً ، فواللّه ما أحبّ أن تهلكوا معي إن هلكت ، ولا تحسبن ابن أبيك لو أسلمه الناس متخشّعاً ولا متضرّعاً ، إنّه لكما قال أخو بني سليم :

فإن تسأليني كيف أنت فإنّني صبور علىٰ ريب الزمان صليب

(١) منزل في طريق مكة .
(٢) شراف موضع قريب من مكة .
(٣) موضع قرب الكوفة .

يـعزّ علـيّ أن تـرىٰ بـي كآبـة   فيشمت باغ أو يساء حبيب»[١]

وهذا الكتاب من عقيل المروىٰ بطرق متعدّدة ، يدلّنا علىٰ أنّه كان مع أخيه الإمام في حياته غير مفارق له ، فإنّ الكتاب الذي كتبه إليه بعد غارة الضحّاك علىٰ أطراف أعماله وذلك قرب شهادة أمير المؤمنين.

اذن فالقول بأنّ وفادة عقيل علىٰ معاوية بعد أخيه متعيّن ، كما اختاره السيّد المحقّق في الدرجات الرفيعة ، وجعله ابن أبي الحديد الأظهر عنده ، وقد وضح من ذلك أنّه لم يكن مع معاوية بصفين.

---

(١) شرح نهج البلاغة ٢ : ١٢٠ ، الإمامة والسياسة : ٥٤ ، بحار الأنوار ٣٤ : ٢٤ ، جواهر المطالب ١ : ٣٦٦ .

الحديدة

أما حديث الحديدة المحماة التي أدناها منه أمير المؤمنين عليه السلام ، فليس فيها ما يدلّ علىٰ اقترافه إثماً أو خروجاً عن طاعة ، فإنّ أمير المؤمنين عليه السلام أراد بذلك تهذيبه بأكثر ممّا تتهذّب به العامّة ، كما هو المطلوب من مثل عقيل والمناسب لمقامه .

فعرّفة «سيّد الأوصياء» أنّ إنساناً بلغ من الضعف إلىٰ أن يئنّ من قرب الحديدة المحماة بنار الدنيا من دون أن تمسّه ، كيف يتحمّل نار الآخرة في لظىٰ نزّاعة للشوىٰ وهو مضطرم بين أوارها ، فمن واجب الإنسان الكامل التبعّد منها بكبح النهمة وكسر سورة الجشع والمكابدة للملمّات القاسية ، فهي مجلبة لمرضاة الربِّ ومكسبة لغفرانه ، وإن كان غيره من أفراد الرعية يتبعّد عنها بترك المحرّمات فحقيق بمثله ـ وهو ابن بيت الوحي ورجالات عصبة الخلافة ـ التجنّب حتّىٰ عن المكروهات ، وما لا يلائم مقامه من المباحات ، ويروّض نفسه بترك ذلك كُلّه حتّىٰ تقتدي به الطبقات الواطئة بما يسعهم ، أو يسلون أنفسهم بمقاسات مثل عقيل الشدائد في دنياه ، فلا يبهضهم الفقر الملم والكرّب المدّلهم فربّ مباح ينقم عليه من مثله ولا يلام من هو دونه بارتكابه فإنّ «حسنات الأبرار سيئات المقرّبين» .

وأمير المؤمنين أراد أن يوقف أخاه علىٰ هذا الخطر الممنع الذي حواه ، وقد ذهل عنه في ساعته تلك .

افتراء

قال الصفدي : «لقد بغض عقيل إلىٰ الناس ذكره مثالب قريش ، وما أُوتي من فضل وعلم بالنسب والسرعة في الجواب ، حتّىٰ قالوا فيه الباطل ونسبوه إلىٰ الحمق»[1].

واختلقوا عليه أحاديث كان بعيداً عنها ، فوضعوا علىٰ لسان أمير المؤمنين ما ينقص من قدره ويحطّ من كرامته ، زعماً منهم أنّ في ذلك تشويهاً لأهل هذا البيت الطاهر ـ بيت أبي طالب ـ بإخراجهم عن مستوىٰ الإنسانية فضلاً عن الدين ، بعد أن أعوزتهم الوقيعة في سيّد الأوصياء بشيء من تلك المفتريات ، فطفقوا يشوّهون مقام أبيه وحامته ، ولكن لا ينطلي ذلك علىٰ الجيل المنقب ، حتّىٰ كشف عن تلك النوايا السيئة ، وعرف الملأ افتعال الحديث وبعده عن الصواب .

قالوا في الرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام : «ما زلت مظلوماً منذ ولدتني أُمي ، حتّىٰ إن كان عقيل ليصيبه رمد فيقول : لا تذروني حتّىٰ تذروا علياً ، فيذروني وما بي رمد»[2].

---

(١) نكت الهميان : ٢٠٠ .

(٢) علل الشرائع ١ : ٤٥ .

لا أقرأ هذا الحديث إلّا ويأخذني العجب، كيف رضي المفتعل بهذه الفريّة البيّنة! فإنّ أمير المؤمنين ولد ولعقيل عشرون سنة، وهل يعتقد أحد أو يظنّ أنّ إنساناً له من العمر ذلك المقدار، إذا اقتضىٰ صلاحه شرب الدواء، يمتنع منه إلّا إذا شرب مثله أخوه البالغ سنة واحدة أو سنتين؟! كلّا لا يفعله أي أحد وإن بلغ الغاية في الخسّة والضعف، فكيف بمثل عقيل المتربّي بحجر أبي طالب والمرتضع درّ المعرفة! خصوصاً مع ما يشاهد من الآيات الباهرة من أخيه الإمام منذ ولادته.

نعم، الضغائن والأحقاد حبّذت لمن تخلّق بها التردّد في العمي والخبط في الضلال من دون رويّة أو تفكير **﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾**[١].

نعم، كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول غير مرّة: «ما زلت مظلوماً»[٢] من دون تلك الزيادة، يعني بذلك دفعه عن حقّه الواجب علىٰ الأُمّة القيام به والميل عنه، وتعطيل أحكام اللّه بالأخذ من غيره، وتقديم من ليس له قدم ثابت في كُلّ مكرمة، ولا نصّ من صاحب الشريعة، ولا فقه ناجع ولا إقدام في الحروب.

وحيث إنّ في هذه الكلمة حطّاً بمن ناوأه، زحزحوها عنهم وألصقوها بذلك السيّد الكريم، وما أسرع أن عاد السهم فكان كالباحث عن حتفه بظلفه.

---

(١) المجادلة: ١٩.

(٢) علل الشرائع ١: ٤٥، الاعتقادات في دين الامامية للصدوق: ١٠٥، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٩: ٣٠٦.

الخلف عن عقيل

الخلف الصالح يخلّد ذكر سلفه ، فلا يزال ذكـره حـيّاً بـعمره الثاني من ذكر جميل ، وثناء جزيل ، وترحّم متواصل ، واستغفار له منه وممّن تعرف به ، وفي الحديث : إن ابن آدم إذا مات انقطع عمله من الدنيا إلّا من ثلاث ، وعدّ منها الولد الصالح .

ومن أجلىٰ الواضحات أنّ هذا التذكير يـختلف حسب تـدرّج الأولاد في المآثر ، فمهما كان قسطهم منها أكثر فهم لمجد آبائهم أخلد ، وكذلك الأسلاف فكُلّما كانوا فـي الشـرف والسـؤدد أقـرب فانتشار فضلهم بصالحي خلفهم أسرع .

إذاً فما ظنّك بمثل عقيل بن أبي طالب ذلك الشريف المبجّل ، وقد خلّفه «شهيد الكوفة» وولده الأطايب «شهداء الطفّ»[1] ، الذين لم يسبقهم ولا يلحقهم لاحق ، فلو لم يكن لعقيل شيء من الخـطر والعظمة لتسنم بهؤلاء الأكارم أوج العلىٰ والرفعة .

وكَم أبٍ قد عَلا بابنِ ذُرىٰ شَـرفٍ　　　كَـما عَـلا بـرسُولِ اللّـه عَـدنانِ

وكيف به وهو من أشرف عنصر في العالم كُلّه؟!

---

(١) في كامل الزيارة : ٢٤١ : كان علي بن الحسين يميل إلىٰ ولد عقيل فقيل له : «ما بالك تميل إلىٰ بني عمّك هؤلاء دون آل جعفر؟
فقال عليه السلام : «إنّي لاذكر يومهم مع أبي عبد اللّه الحسين عليه السلام فأرقّ لهم» .

ولم يزل له ذكر خالد في أحفاده المتعاقبين، فإنّهم بين علماء أعاظم، وفقهاء مبرزين، وشعراء، ومحدّثين، وأُمراء صالحين، ونسّابين، وقد انتشروا في مصر ونصيبين واليمن وحلب وبيروت والمدينة والكوفة والحلّة وطبرستان وخراسان وجرجان وكرمان وقم وإصفهان.

وكان القاسم بن محمّد بن عبد اللّه بن محمّد بن عقيل بن أبي طالب فاضلاً تقياً

وأخوه عقيل جليل ثقة ثبت صاحب حديث، وعمّهما عقيل بن عبد اللّه نسابةً مشجّراً، وحفيد عقيل هذا جعفر بن عبد اللّه الأصفهاني عالم نسّابة شيخ شبل ابن نكبن مات سنة ٣٣٤ هـ.

ومحمّد بن مسلم بن عقيل بن عبد اللّه بن محمّد بن عقيل بن أبي طالب، يعرف بابن المزينة، كان أمير المدينة قتله ابن أبي الساج.

وابنه أبو القاسم أحمد بن محمّد المذكور كان له أدب وفضل، مات سنة ٣٣٠ هجرية.

والعبّاس بن عيسىٰ الأوقص، ولي القضاء للداعي الكبير الحسن بن زيد علىٰ جرجان، وقد أولد بكرمان[1].

ومن أحفاد عقيل العلّامة الجليل السيّد إسماعيل بن أحمد النوري الطبرسي، من علمائنا الأعاظم، شارح نجاة العباد لشيخ الطائفة المحقّق الحجة «صاحب الجواهر» رحمه الله، طبع منها جزءان إلىٰ آخر الزكاة، وله كفاية الموحدين مطبوعة.

وكان في كربلاء المشرّفة بيت كبير وطائفة جليلة يعرفون بالعقيليين، لهم أوقاف كثيرة، وقد انقرضوا وبقي منهم رجل واحد.

---

(١) أُنظر ذلك في عمدة الطالب: ٣٥.

الطيّار

وأما جعفر بن أبي طالب ، فحسبه من العظمة شهادة الرسول الأقدس بأنّه يشبهه خلقاً وخلقاً ، ذلك الخلق الكريم الموصوف في الذكر الحكيم بقوله عز شأنه : **﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾**[1] . وحيث لم ينصّ النّبي ﷺ علىٰ صفة خاصة من أخلاقه ، فلا جرم من شمول تلك الكلمة الذهبية : « أشبهت خَلقي وخُلقي » لجميع ما اتصف به الرسول حتّىٰ الدنس من الرِّجس والآثام .

ولو تنازلنا عن القول بعموم التشبيه لهذه الخاصة فلا بدّ من القول بتحقّق أظهر صفات المشبّه به للمشبه ، ولا شكّ في أنّ ذلك المعنىٰ أظهر ما في خلقه الكريم ﷺ .

وغير خاف أنّ هذه الكلمة قالها النّبي لما تنازع عنده أمير المؤمنين وجعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة في ابنة حمزة بن عبد المطلب ، وكان كُلّ منهم يريد القيام بتربيتها .

وذلك أن النّبي ﷺ لما خرج من مكة بعد انقضاء الأجل بينه وبين أهل مكة في عمرة القضاء الواقعة في السنة السابعة للهجرة ، تبعته ابنة حمزة تقول : يا عم خذني معك ، فأخذها أمير المؤمنين ودفعها إلىٰ فاطمة عليها السلام ، وفي المدينة جرىٰ ذلك النزاع بينهم ، فقال

(١) القلم : ٤ .

رسول اللّه لزيد: «أنت أخوها ومولانا»، وقال لجعفر: «اشبهت خَلقي وخُلقي»، وقال لأمير المؤمنين: «أنت منّي وأنا منّك»، ثُمّ قضىٰ بها للخالة وهي أسماء بنت عميس[١].

هذا هو الحديث المذكور في الجوامع، والنظرة الصادقة فيه تفيدنا معرفة السرّ في اختلاف خطاب النّبي مع ابني عمّه، وكُلّ منهما نصح له في التلبية علىٰ الدعوىٰ الإلٰهية، وأخلص في المفاداة في سبيل تبليغ الرسالة خصوصاً مع معرفته بأساليب المحاورة؛ لأنّه سيّد البلغاء ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾[٢]، فلا جرم حينئذٍ من كون الوجه فيه هو الإشارة إلىٰ صفة سامية تحلّىٰ بها أمير المؤمنين وتخلّىٰ عنها جعفر، وليست هي إلّا خلافة اللّه الكبرىٰ، فإنّ علياً عليه السلام حامل ما عند رسول اللّه الأعظم من علم متدفّق، وفقه ناجع، وخبرة شاملة، وتأمّل فيّاض، وخلق عظيم لا يستطيع البشر القيام به.

وهذا هو الذي تفيده المنزلة في قوله: «أنت منّي وأنا منك»، بعد فرض المباينة بينهما في الحدود الشخصية. والنّبي لا ينطلق ساهياً ولا لاهياً، فلا بدّ أن يكون قاصداً تلك المنزلة الكبرىٰ التي لم يحوها جعفر وإن بلغ في خدمة الدين كُلّ مبلغ.

وهذا النزاع إنّما هو في الحضانة التي هي سلطنة وولاية علىٰ تربية الطفل وإدارة شؤونه، وقد كان لابنة حمزة يومئذ أربع سنين.

وهذا القضاء ـ كما يفيدنا سقوط حضانة الأُم إذا تزوجت ـ

---

(١) صحيح البخاري ٣: ١٦٨، كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا علىٰ صلح جور فالصلح مردود، المستدرك للحاكم ٣: ١٢٠، السنن الكبرىٰ للنسائي ٨: ٥، مجمع الزوائد للهيثمي ٩: ٢٥٨.

(٢) النجم: ٣.

يُفيدنا أولوية الخالة علىٰ العمّة ، فإنّ عمّتها صفية كانت موجودة يومئذ وأُمها سلمىٰ متزوجة بشداد بن الهادي الليثي حليف بني هاشم .

ويرشدنا طلب أمير المؤمنين الحضانة إلىٰ أنّ أولوية الخالة علىٰ غيرها من الأقارب إنّما هو عند المخاصمة ، وإلّا فلم يخفِ الحكم علىٰ سيّد الوصيين ، وهو مستقىٰ الأحكام وينبوعها ، وقد امتزجت ذاته المقدّسة بالمعارف الإلهية والأسرار الربوبية واستمدّ من اللوح المحفوظ .

ولعلّ السرّ الدقيق في مخاصمته معهما تعريف الأُمة مقامه الرفيع ومنزلته الكبرىٰ التي لا يدانيها كُلّ أحد ، والواجب عليه ـ بما أنّه المنقذ الأكبر وإمام الأُمة ـ إرشادها إلىٰ الطريق اللاحب بأيّ نحو من أنحاء الكلام .

لقد كان جعفر ملازماً لصاحب الرسالة ملازمة الظلّ لديه ، يرقب أفعاله وتروكه ، ويسمع تعاليمه وعظاته ، ويبصر أعماله وحكمه ، ويقتصّ أثره منذ كان يصل جناح الرسول الأيسر في الصلاة بعد أمير المؤمنين وخديجة الكبرىٰ .

وكانت قريش تخبط في غلواء جحودها ، وتغلي مراجل بغضائها علىٰ الصادع بالدين الحنيف ، وعلىٰ كُلّ ذلك تمرّنه التعاليم النبويّة الخاصّة به ، وتكهَربه تهذيبات المشرّع الأطهر ، ولا تدعه جاذبة الدعوة الإلهية يلوي يميناً ولا شمالاً .

ومن هنا أئتمنه صاحب الرسالة علىٰ نشر كلمة التوحيد وعلىٰ ضعفاء المسلمين يوم بعثه إلىٰ الحبشة في السنة الخامسة من الهجرة ، فأدّىٰ النصيحة ، ونهض بالدعوة حتّىٰ استمال النجاشي إلىٰ

الإسلام ، فآمن غير أن منيته حالت دون أُمنيته .

ولو لم يكن جعفر بتلك المنزلة الرفيعة لما تعاقبت مفاخرات أئمة الدين به ، كما افتخروا بعمّه أسد اللّه وأسد رسوله في كثير من مفاخراتهم :

ففي احتجاج الطبرسي : أنّ أمير المؤمنين احتجّ علىٰ أهل الشورىٰ بأنّ أخاه جعفر المزيّن بجناحين في الجنّة ، يحلّ فيها حيث شاء ، فلم يردّ عليه أحد ، بل قابلوه بالتسليم والقبول .

وفي نهج البلاغة فيما كتب به إلىٰ معاوية : أنّ قوماً قطعت أيديهم في سبيل اللّه ، ولكُلّ فضل ، حتّىٰ إذا فعل بواحدنا ما فعل بواحدهم قيل له : الطيار في الجنّة وذو الجناحين.

فلو لم يكن كفاحه عن الدين عن بصيرة نافذة ويقين ثابت لما افتخر به المعصومون والعارفون بمآل العباد ، حتّىٰ جعلوا مواقفه في الدين ذريعة إلىٰ التوسّل إلىٰ مطلوبهم .

ولحزمه الثابت ، ومواقفه المحمودة ، وإصابته في الرأي ، وقديم إيمانه أمّره النّبي صلى الله عليه وآله في غزوة مؤتة علىٰ المسلمين، ولم يجعل عليه أميراً ، فإذا قتل فالأمير زيد بن حارثة ، فإن قتل فالأمير عبد اللّه بن رواحة[1] .

فما ذهب إليه فريق من المؤرّخين من تقديم زيد وابن رواحة عليه ، يدفعه صحيح الأثر والاعتبار الصادق .

وهذه العظمة هي التي تركت قدومه من الحبشة يوم فتح خيبر أعظم موهبة منح اللّه تعالىٰ بها نبيّه ، تعادل ذلك الفتح المبين ، حتّىٰ قال صلى الله عليه وآله : «ما أدري بأيّهما أُسرّ بقدوم جعفر أم بفتح خيبر» ، ثُمّ قال

---

(١) مناقب آل أبي طالب ١ : ١٧٦ ، إعلام الورىٰ : ٢١٢ .

له : «ألا أحبوك ، ألا أمنحك»؟ فظنّ الناس أنّه يعطيه ذهباً وفضّة ؛ لما فتح اللّه عليه من خيبر ، فقال له جعفر : بلىٰ يا رسول اللّه ، فعلّمه صلاة التسبيح وهي المعروفة بصلاة جعفر[١] .

وهذه الحبوة من الرسول الكريم لابن أخيه حيث علم أنّ من فرط قداسته لا يروقه إلّا ما كان من عالم القدس ، فخلع عليه بها ، وجعله وسام شرف له ، وهي من المتواترات بين العامّة والخاصّة ، كما نصّ عليه المجلسي في البحار[٢] .

ولكن شرذمة من مناوئي أهل البيت لم يرق لهم ثبوت تلك المنحة لأخي أمير المؤمنين ، وحيث لم يسعهم أن يلصقوها بواحد منهم زحزحوها إلىٰ العبّاس بن عبد المطلب كما في شفاء السقام للسيّد جعفر الكتاني صفحة ٢٠ .

وقد كشفت الحقيقة عن نفسها ، وأماطت ستار التمويه بافتعال هذه النسبة من عكرمة مولىٰ ابن عباس الكذّاب بنصّ الذهبي في الميزان ، وياقوت في المعجم ، وابن خلكان في الوفيات بترجمته[٣] .

---

(١) الكافي ٣ : ٣٦٥ ، من لا يحضره الفقيه ١ : ٥٥٢ ، النوادر : ١٦٠ ، جمال الاسبوع : ١٨٢ .

(٢) بحار الأنوار ٨٨ : ٢١٢ .

(٣) ميزان الاعتدال ٣ : ٩٤ ، ضعفاء العقيلي ٣ : ٣٧٣ ، تاريخ الإسلام ٧ : ١٨ ، وغيرها من المصادر .

أخوته

إنّ حاجة الباحث في تاريخ أبي الفضل عليه السلام ماسّة إلىٰ معرفة أُخوته الأكارم لمناسبات هناك، فإنّ منهم من يعدّ قربه منه فضيلة رابية وشرفاً باذخاً فضلاً عن الأُخوة، وهما الإمامان علىٰ الأُمة إن قاما وإن قعدا[1].

وإذا كانت بنوتهما لأمير المؤمنين معدودة من فضائله، مع ما له من الفضائل التي لا يأتي عليها الحصر، كما يظهر من قوله عليه السلام يوم الشورىٰ: «أنشدكم باللّه هل فيكم أحد له سبطان مثل سبطاي الحسن والحسين ابني رسول اللّه، وسيّدي شباب أهل الجنّة غيري»؟ قالوا: لا[2].

كما أنّه عليه السلام افتخر بهما يوم كتب إليه معاوية أنّ لي فضائل؛ كان أبي سيّداً في الجاهلية، وصرت ملكاً في الإسلام، وأنا صهر رسول

---

(١) كشف الغمة ٢: ١٥٦، إعلام الورىٰ: ٤٠٧، روضة الواعظين: ١٥٦، الإرشاد ٢: ٣٠.

(٢) الخصال: ٥٥٥.

اللّه ، وخال المؤمنين، وكاتب الوحي .

فكتب إليه أمير المؤمنين أبياتاً سبعة ذكر فيها مصاهرته من رسول اللّه ، وأن عمّه سيّد الشهداء ، وأخاه الطيّار مع الملائكة في الجنان ، وسبقه إلىٰ الإسلام ، وأخذ البيعة له (يوم الغدير) ، وأن ولديه سبطا رسول اللّه ﷺ[1] .

وحينئذ فأخوة العبّاس لهما أولىٰ أن تعقد منهما مآثره وفضائله . أضف إلىٰ ذلك ما استفاده منهما من العلوم والمعارف الإلهية .

ومنهم من يجمعه وإياه جامع العقب ، فإنّ المعقّبين من أولاد أمير المؤمنين الإمامان والعبّاس ومحمّد بن الحنفية وعمر الأطرف .

ومنهم من شاركه في موقف الطفّ .

ومنهم من يعدّ هو وإياه تحت جامع الأمومة .

ومنهم من شاركه في الاسم .

وعليه فأولاد أمير المؤمنين الذكور ستة عشر :

الحسن والحسين والمحسن، أُمهم سيّدة نساء العالمين.

محمّد بن الحنفية ، أُمّه خولة .

العبّاس وعبد اللّه وجعفر وعثمان ، أُمّهم أُم البنين.

عمر الأطرف والعبّاس الأصغر ، أُمهما الصهباء .

محمّد الأصغر ، أُمه إمامة بنت أبي العاص .

يحيىٰ وعون ، أُمهما أسماء بنت عميس .

---

(١) روضة الواعظين : ٨٧، الاحتجاج ١ : ٢٦٥ ، مناقب آل أبي طالب ٢ : ١٩ ، الغدير ٢ : ٢٦ ، تاريخ مدينة دمشق ٤٢ : ٥٢١ ، الوافي بالوفيات ٢١ : ١٨٤ ، البداية والنهاية ٨ : ٩.

عبد اللّه وأبو بكر ، أُمهما ليلىٰ بنت مسعود .
محمّد الأوسط ، أُمّه أُم ولد[١] .

أمّا الإمامان فالأحرىٰ أن نجعجع اليراع عن التبسّط في فضلهما وموقفهما من القداسة ومحلهما من الزلفىٰ ، وما أُوتيا من حول وطول ، والبسطة في العلم ، فإن الوقوف علىٰ كنه ذلك فوق مرتكز العقول .

وأما المُحَسّن ـ بتشديد السين كما في تاج العروس بمادة شبر[٢] ، والإصابة بترجمته[٣] ـ وضمّ الميم ، وسكون الحاء كما في حاشية السيّد محمّد الحنفي علىٰ شرح ابن حجر لهمزية البويصري ص ٢٥١ .

فعند الإمامية أنّ النبي صلى الله عليه وآله سمّاه باسم ابن هارون مشبر كمحدث كما في القاموس[٤] وغيره ، وكان حملاً ، وبعد وفاته أسقطته فاطمة الزهراء لستة أشهر ، والروايات التي ذكرها ابن طاووس في (الطرف)[٥] وغيره في غيرها تساعدهم .

---

(١) تاريخ الطبري ٤ : ١١٩ ، الكامل في التاريخ ٣ : ٣٩٨ ، مع تفاوت يسير في بعض الابناء واسمائهم .
(٢) تاج العروس ٣ : ٢٨٩ .
(٣) الإصابة ٦ : ١٩١ .
(٤) القاموس ٢ : ٥٥ .
(٥) الطرف ١ : ٣٣٥ .

ابن الحنفية

وأمّا محمّد الأكبر ، الذي يجمعه وإياه جامع العقب ، فيكنّىٰ بابن الحنفية ، وهي أُمه خولة بنت جعفر بن قيس من بني الدئل بن حنيفة بن لجيم ، وأُمها بنت عمرو بن أرقم الحنفي .

واختلف في أمرها أنّها سبية أيام رسول اللّه صلى الله عليه وآله ، لما بعث علياً إلىٰ اليمن فأصاب خولة في بني زبيد ، وقد ارتدّوا مع عمرو بن معد يكرب ، وكانت زبيد سبتها من بني حنيفة في غارة لهم عليهم .

وقيل : إنّ خالد بن الوليد قاتل أهلها أيام أبي بكر فسباهم ، فهي من جملة السبايا ، فدفعها أبو بكر من سهمه في المغنم .

وقيل : إنّ بني أسد أغارت علىٰ بني حنيفة أيام أبي بكر فسبوا خولة وباعوها من علي عليه السلام ، فبلغ قومها خبرها فجاءوا إلىٰ علي عليه السلام فعرّفوه أنّها ابنتهم ، فاعتقها وأمهرها وتزوّجها[1] .

وقيل : إنّها سبيت أيام أبي بكر ، فاشتراها أُسامة بن زيد وباعها من علي عليه السلام .

وفي حديث أسماء بنت عميس : أنّ أمير المؤمنين عليه السلام اشتراها

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١ : ٢٤٤ .

من سوق ذي المجاز أوان مقدمه من اليمن، فوهبها فاطمة عليها السلام، فباعتها من مكمل الغفاري، فولدت منه عونة، ثُمّ باعها من علي عليه السلام.

ويحكي ابن خلكان في الوفيات قولاً أنّها سندية، أمة لبني حنيفة، سوداء[١].

وحكاه الشيخ الجليل ابن إدريس الحلّي في مزار السرائر عن ابن حبيب النسابة وقال: إنّه جهل منه وقلّة تأمل[٢].

ويروي القطب الراوندي في الخرائج: أنّها سبيت أيام أبي بكر، وأنّ الزبير وطلحة طرحا عليها ثوبيهما طلباً للاختصاص بهما، فصاحت: لا يملكني إلّا من يخبرني بالرؤيا التي رأتها أُمي، وعن اللوح الذي كتبت فيه الرؤيا، وما قالته لي، فعجزوا عن معرفته إلّا أمير المؤمنين أوضح لها في ملأ من المسلمين أمراً غيبياً، عجب منه الحاضرون، فعندها قالت: من أجلك سُبينا ولحبّك أصابنا ما أصابنا[٣].

ولم يعبأْ السيّد المرتضىٰ في (الشافي) بجميع ذلك فقال: «لم تكن الحنفية سبية علىٰ الحقيقة، ولم يستبحها عليه السلام بالسبا؛ لأنّها بالإسلام قد صارت حرّة مالكة أمرها، فأخرجها من يد من استرقها، ثُمّ عقد عليها عقد النكاح»[٤].

---

(١) وفيات الأعيان ٤: ١٦٩.

(٢) السرائر ١: ٦٥٧ والعبارة: «وهذا خطأ منه، وتغفيل، وقلة تحصيل».

(٣) الخرائج والجرائح للراوندي ٢: ٥٦٤، والكلام منقول بالمعنىٰ في عامة الفاظه.

(٤) الشافي للسيّد المرتضىٰ ٣: ٣٧١.

وما ذكره هو الصحيح المقبول ، فإنّ الردّة المزعومة لا توجب أحكام الكفر ومنع الزكاة وأمثالها علىٰ التأويل ، فليس فيه خروج عن ربقة الإسلام .

وأمّا ولادة محمّد فقيل : إنّها أيام أبي بكر ، وقيل : أيام عمر ، وخصّها ابن خلكان بأوّل المحرم لسنتين بقيتا من خلافة عمر[١] . وإذا علمنا أنّ عمر مات سنة ثلاث وعشرين ، كانت ولادته سنة إحدىٰ وعشرين .

وأمّا علىٰ رأي ابن كثير في البداية ج٩ ص٣٨ وسبط ابن الجوزي في التذكرة من وفاته سنة أحدىٰ وثمانين عن خمس وستين تكون ولادته سنة ستة عشر للهجرة[٢] .

وأما قبره فعند ابن قتيبة بالطائف[٣] ، وفي تذكرة الخواص بايلة مدينة مما يلي الشام ، وفي حلية الأولياء ج٣ ص١٧٣[٤] وتهذيب التهذيب ج٩ ص٣٥٥[٥] بالمدينة المنورة وعينه ابن كثير بالبقيع[٦] .

وفي معجم البلدان ج٣ ص٣٨٧[٧] : إن أهل جزيرة خارك ـ التي هي في وسط البحر الفارسي ـ يزعمون أنّ بها قبر محمّد بن الحنفية يقول الحموي : وقد زرت هذا القبر فيها ولكن التواريخ تأباه .

---

(١) وفيات الأعيان ٤ : ١٧٢ .
(٢) البداية والنهاية ٩ : ٤٦ .
(٣) المعارف : ٩٥ .
(٤) حلية الأولياء ٣ : ٢٠٥ .
(٥) تهذيب التهذيب ٩ : ٣٥٤ .
(٦) البداية والنهاية لابن كثير ٩ : ٣٢ .
(٧) معجم البلدان ٢ : ٣٣٧ .

واعتقاد الكيسانية حياته في جبل رضوىٰ يأتيه رزقه وله عودة ، من الخرافات ؛ للاتفاق علىٰ موته .

وإنّ كلمة الإمام الحسن السبط تدلّنا علىٰ فضله الشامخ ، وورعه الثابت ، ونزاهته عن كُلّ دنس ، ومعرفته بالإمام الواجب اتباعه قال الشيخ الجليل الطبرسي من أعلام القرن السادس في (أعلام الورىٰ) :

« أرسل الحسن بن أمير المؤمنين قنبراً خلف محمّد بن الحنفية ، فلمّا مثل بين يديه قال له : « اجلس » فليس يغيب مثلك عن سماع كلام يحييٰ به الأموات ويموت به الاحياء ؛ كونوا أوعية العلم ومصابيح الدجىٰ ، فإنّ ضوء النهار بعضه أضوء من بعض ، أما علمت أنّ اللّه عزّ وجلّ جعل ولد إبراهيم عليه السلام أئمة ، وفضّل بعضهم علىٰ بعض ، وآتىٰ داوود زبوراً ، وقد علمت بما استأثر اللّه تعالىٰ محمّد صلى الله عليه وآله ؟!

يا محمّد بن علي ، لا أخاف عليك الحسد ، وإنّما وصف اللّه به الكافرين فقال تعالى : ﴿ **كُفَّاراً حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ** ﴾[1] ولم يجعل اللّه للشيطان عليك سلطاناً .

يا محمّد بن علي ، ألا أخبرك بما سمعت من أبيك عليه السلام فيك؟ قال : بلى .

فقال : سمعت أباك يقول يوم البصرة : من أحبّ أن يبرّني في الدنيا والآخرة فليبرّ محمّداً .

---

(١) البقرة : ١٠٩ .

يا محمّد بن علي ، لو شئت أن أُخبرك وأنت في ظـهر أبـيك لأخبرتك .

يا محمّد بن علي ، أما علمت أنّ الحسين بن عـلي بـعد وفـاة نفسي ومفارقة روحي جسمي إمام من بعدي عند اللّه في الكتاب ، وراثة النبي أضافها في وراثة أبيه وأُمه ، علم اللّه أنكم خيرة خلقه فـاصطفىٰ مـنكم مـحمّداً ، واخـتار مـحمّد عـلياً ، واخـتارني عـلي للإمامة ، واخترت أنا الحسين» .

فقال له محمّد بن عـلي : أنت إمـامي وسـيدي ، ألا وإنّ فـي رأسي كلاماً لا تنزفه الدلاء ، ولا تغيّره الرياح ، كالكتاب المعجم في الرقّ المنمنم ، أهم بـابدائـه ، فأجـدني سـبقت إليـه سـبق الكـتاب المنزل ، وما جاءت به الرسل ، وإنه لكلام يكُلّ به لسان الناطق ويد الكاتب حتّىٰ لا يـجد قـلماً ، ويـؤتوا بـالقرطاس حـمماً ، ولا يـبلغ فضلك وكذلك يجزي المحسنين ولا قوة إلّا باللّه ؛ الحسين أعلمنا علماً ، واثقلنا حلماً ، وأقربنا من رسول اللّه رحماً ، كان إماماً قبل أن يخلق ، وقرأ الوحي قبل أن ينطق ، ولو علم اللّه أنّ أحداً خيراً منّا ما اصطفىٰ محمّداً ، فلمّا اختار اللّـه مـحمّداً واخـتار مـحمّداً عـلياً إماماً ، واختارك عليّ بعده واخترت الحسين بعدك ، سلمنا ورضـينا بمن هو الرضا وممّن نسلم به من المشكلات[1] .

وهذه الوصية تفيدنا عظمة ابن الحنفية من ناحية الإيمان وأنّـه من عياب العلم ومناجم التقىٰ ، فأيّ رجل يشهد له إمام وقته بأنّ اللّه لم يجعل للشيطان عليه سلطاناً ، وأنّـه لا يـخشىٰ عـليه مـن نـاحية

---

(١) إعلام الورىٰ بأعلام الهدىٰ : ٤٢٣ .

الحسد الذي لا يخلو منه أو من شيء من موجباته ، أيّ أحد لم يبلغ درجة الكمال ثُمّ أي رجل أناط أمير المؤمنين البرّ به بالبرّ بنفسه التي يجب علىٰ كافة المؤمنين أن يبرّوا بها .

علىٰ أنّ الظاهر من قول المجتبىٰ : «أما علمت أنّ الحسين» هو أنّ علم محمّد بالإمامة لم يكن بمحض النصّ المتأخّر وإن أكده ذلك ، وإنّما هو بعلم مخصوص برجالات بيت الوحي ، مكنون عندهم بالإحاطة بالكتاب الماضي والقدر الجاري . ويرشدنا إلىٰ هذا قول ابن الحنفية : «إنّ في رأسي . . .» ، فإنّه أظهر من سابقه فيما قلنا ، وكلماته الذهبية في الاعتراف بحقّ الإمامين تدلنا علىٰ ثباته المستقىٰ من عين صافية بارشية من الحقّ ، وما هي إلّا ذلك اللوح المحفوظ .

أضف إلىٰ ذلك ما جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام من قوله : «تأبىٰ المحامدة أن يعصىٰ اللّه ، وهم : محمّد بن الحنفية ، ومحمّد بن جعفر الطيار ، ومحمّد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، وهو ابن خال معاوية بن أبي سفيان»[1] .

(١) رجال الكشي ١ : ٢٢٦ النصّ منقول بالمعنىٰ . وفيه إنّ محمّد بن أبي حذيفة كان من أنصار علي وخيار الشيعة ، وبعد شهادة علي حبسه معاوية دهراً حيث لم يتبرأ من المشايعة لعلي وولده ، وبعد أنّ أخرجه حمله علىٰ البراءة منه والموالاة لعثمان فقال له : إنّي لا أعلم أحداً شرك في دم عثمان غيرك حيث استعملك وخالف المسلمين في رأيهم عليه بعزلك حتّىٰ جرىٰ عليه ما كان ، وإنّ طلحة والزبير وعائشة هم الذين ألّبوا عليه وشهدوا عليه بالجريمة ، وإنّي أشهد أنّك منذ عرفت في الجاهلية والإسلام لعلىٰ خلق واحد ما زاد الإسلام فيك شيئاً ، وعلامته أنّك تلومّني علىٰ حبّي لعلي وقد خرج معه كُلّ صوّام قوّام =

وهذه شهادة من سيّد الأوصياء في حقّ ولده الكريم محمّد ، قد أخذت مأخذها من الفضيلة وأحلّت محمّداً المحلّ الأرفع من الدين ، وأقلّته سنام العزّ في مستوىٰ الإيمان .

وإن شهادة أمير المؤمنين بأنّه ممّن يأبىٰ أن يُعصىٰ اللّه ، تعرّفنا عدم ادعائه الإمامة لنفسه بعد الحسين ، فإنّ تسليمه الإمامة للسجاد لا يختلف فيه اثنان ، واستدعاؤه الإمام للمحاكمة عند الحجر الأسود من أكبر الشواهد علىٰ تفننه في تنبيه الناس لمن يجب عليهم الانقياد له .

وعدم حضوره مشهد الطفّ : إمّا لما يقوله العلّامة الحلّي في أجوبة المسائل المهنائية من المرض ، أو لما يروي محمّد بن أبي طالب في المقتل من إذن الحسين له في البقاء بالمدينة ، يعرّفه بما يحدث هناك ، فهو معذور مقبول .

ولبسالته المعلومة وموقفه من الحقّ أنزله أبوه يوم (الجمل) منزلة يده ، فكان يخوض الغمرات أمامه ويمضي عند مشتبك الحرب قدماً ، وكان يقول له عند أمره لمنازلة الأقران دون الإمامين : إنّهما عيناي وأنت يدي ، أفلا أدفع بيدي عن عيني[1] .

= من المهاجرين والأنصار ، كما خرج معك أبناء المنافقين والطلقاء . واللّه يا معاوية ما خفي عليك ما صنعت ولا خفي عليهم ما صنعوا ، إذ أحلوا أنفسهم سخط اللّه بطاعتك ، وإنّي لا أزال أحبّ علياً للّه ورسوله وأبغضك في اللّه ورسوله أبداً ما بقيت ، ثُمّ ردّه إلىٰ السجن فمات فيه . رجال الكشي ١ : ٢٢٨ والنصّ منقول بالمعنىٰ .

(١) في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١ : ٢٤٤ : «قيل لمحمّد : لم يغرر =

وناهيك من بلاغته المزيجة بالشجاعة خطبته يوم صفين، وقد برز بين الصفين فأومىٰ إلىٰ عسكر معاوية وقال :

« يا أهل الشام اخسئوا يا ذرية النفاق وحشو النار وحطب جهنم . . . »[1] إلىٰ آخر كلامه المروي في تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي ص١٦٧ ، ومناقب الخوارزمي ص١٣٤[2] .

فكان لهذه الخطبة البليغة موقع تام في ذلك الجيش اللجب والجمع المتكاثف ، ولم يبق في الفريقين إلّا من اعترف بفضله .

= بك أبوك في الحرب ، ولا يغرر بالحسن والحسين عليهما السلام؟ فقال : إنّهما عينّاه وأنا يمينه ، فهو يدفع عن عينيه بيمينه » .

(١) والنصّ باختلاف ألفاظه موجود في مناقب آل أبي طالب ٣ : ٣٣٤ ، وعنه بحار الأنوار ٤٦ : ٣١٨ .

(٢) المناقب للخوارزمي : ٢١٠ .

الأطرف

وأما عمر الأطرف ، فكما شاركه في العقب ، وقع الخلاف من أهل النساء في أيهما أسبق في الولادة ، فالذي عليه ابن شهاب العكبري وأبو الحسن الاشناني وابن جداع تقدّم ولادة عمر ، وعند شيخ الشرف العبيدلي والبغدادي وأبي الغنائم العمري تقدّم ولادة العبّاس عليه السلام[1] .

ولا يمكننا الحكم بشيء بعد جهالة السنة التي توفّي فيها ، وذكرها علىٰ الإجمال في زمن عبد الملك أو ابنه الوليد لا يغني ، وإن عرفوا مقدار عمره بخمس وثمانين أو خمس وسبعين.

نعم ، يظهر من المؤرّخين عند ذكر أولاد أمير المؤمنين عليه السلام أنّ العبّاس أكبر منه ؛ لأنّهم يقدّمون ذكر العبّاس وأخوته علىٰ عمر ، علىٰ أن الداودي في العمدة ص٣٥٤ يقول : كان عمر آخر من ولد من بني علي عليه السلام .

وعلىٰ كُلّ حال فالوجه في تسميته بالأطرف إنّما هو بعد ولادة عمر الأشرف ابن الإمام السجّاد عليه السلام أخو زيد الشهيد لأُمه ، فإنّه سُمّي بالأشرف لجمعه الفضيلة من ولادة علي وفاطمة عليهما السلام ، والأطرف حاز الفضل من طرف أبيه[2] .

---

(١) عمدة الطالب : ٣٢٨ .

(٢) عمدة الطالب : ٢٨١ .

ولم يحضر مع الحسين في الطفّ ، ولا مع مصعب بن الزبير ، وقد وهم من ذكره في المستشهدين يوم الطفّ ، كما أخطأ الدينوري في الأخبار الطوال ص٢٩٧ في عدّه من جملة من قُتل مع مصعب في الحرب القائمة بينه وبين المختار .

وأغرب منه عدّ اليافعي له في مرآة الجنان ج١ ص١٤٣ في جملة المقتولين مع المختار ؛ لأنّ المشهور بين المؤرّخين بقاؤه إلىٰ بعد الحسين حتّىٰ نازع السجّاد في الصدّقات إلىٰ عبد الملك ، فلم ينجح ، كما نازع الحسن المثنى فيها عند الحجاج فطرده عبد الملك عنها[1] .

ويروي السيّد ابن طاووس أنّه أشار علىٰ الحسين بالبيعة ليزيد ، فقال له : إنّ أبي حدّثني عن رسول اللّه بقتله وقتلي ، وإنّ تربتي إلىٰ جنب تربته ، أتظنّ أنك تعلم ما لم أعلمه ، فواللّه لا أعطي الدنيّة من نفسي[2] .

ولا أعلم السبب في تأخّره عن الطفّ ، والظنّ لا يغني عن الحقّ شيئاً ، وليس لنا إلّا التسليم ما لم يقم دليل قطعي علىٰ المعاندة والمخالفة ، خصوصاً بعد ما جاء الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام ، وفيه : «لا يخرج أحدنا من الدنيا حتّىٰ يقرّ لكُلّ ذي فضل فضله ولو بفواق ناقة »[3] .

فإنّه صريح في توبة من كان ظاهره الخلاف لأهل البيت عليهم السلام عند

---

(١) عمدة الطالب (عند ذكر الحسن المثنىٰ) : ٩٠ .

(٢) اللهوف في قتلىٰ الطفوف : ٢٠ ، والنصّ منقول بالمعنىٰ .

(٣) هذان حديثان ملفقان منقولان بالمعنىٰ وهما في كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق : ٦٠٢ ، وقرب الإسناد للحميري : ٢٤ .

الممات ، ولا إشكال في أنّ التوبة مكفّرة لما صدر من العصيان كما في صريح الكتاب المجيد وإجماع المسلمين والأخبار المتواترة التي توجب القطع بمضمونها ، فالتهجّم علىٰ آل النّبي ﷺ بمجرد تلك الأحاديث التي لا يعرف مأخذها ، خروج عن طريقة الأئمة الطاهرين.

وأمّا عبيد اللّه بن النهشلية فلم يحضر الطفّ وجاء إلىٰ المختار يطلب الرفد فلم يصله ، فالتحق بمصعب ، وجاء معه ، فلمّا وصل المنار من سواد البصرة وجد في فسطاطه مذبوحاً ولم يعلم قاتله[1] .

والمشارك معه في يوم الطفّ أبو بكر ، وأُمه ليلىٰ بنت مسعود النهشلية ، قال ابن جرير : وابن الأثير شكّ في قتله[2] .

وفي نفس المهموم ص١٧٣ : وجد في ساقية قتيلاً لا يعلم قاتله[3] .

وكأنّه لمّا حمل آل أبي طالب بعد قتل عبد اللّه بن مسلم بن عقيل جملة واحدة فصاح بهم الحسين: «صبراً علىٰ الموت يا بني عمومتي ، فواللّه لا رأيتم هواناً بعد هذا اليوم أبداً»[4] .

سقط فيهم عون بن الطيار ، وأَخوه محمّد وعبد الرحمن بن عقيل ، وأَخوه جعفر ومحمّد بن مسلم بن عقيل وأبو بكر هذا ،

---

(١) قال ابن إدريس الحلّي في السرائر ١ : ٦٥٦ : «وقد ذهب أيضاً شيخنا المفيد في كتاب الإرشاد إلىٰ أنّ عبيد اللّه بن النهشلية قتل بكربلاء مع أخيه الحسين عليه‌السلام . وهذا خطأ محض بلا مراء ؛ لأنّ عبيد اللّه بن النهشلية كان في جيش مصعب بن الزبير ، ومن جملة أصحابه ، قتله أصحاب المختار .

(٢) تاريخ الطبري ٤ : ٣٥١ ، الكامل في التاريخ ٤ : ٩٢ .

(٣) مقاتل الطالبيين : ٥٧ .

(٤) بحار الأنوار ٤٥ : ٣٦ والعبارة : «صبراً يا بني عمومتي ، صبراً يا أهل بيتي ، لا رأيتم هواناً بعد هذا اليوم أبداً» .

فلذلك لم يعرف قاتله .

ومحمّد الأوسط ، وأُمه أم ولد ، قتله رجل من بني أبان بن دارم واحتزّ رأسه[١] .

وعبد اللّه المولود سنة ٣٦ هـ ، وجعفر المولود سنة ٣٣ هـ ، وعثمان المولود سنة ٤٠ هجرية ، فقتل هاني بن ثبيت الحضرمي عبد اللّه وجعفر ، ورمى خولي بن يزيد الأصبحي عثمان واحتزّ رأسه رجل من بني أبان بن دارم[٢] وهؤلاء جمعهم وإياه الأُمومة أيضاً .

والمشارك له في الاسم عباس الأصغر ، نصّ عليه النسابة السيّد محمّد كاظم اليماني في النفحة العنبرية ، قال : وكان شقيقاً لعمر الأطرف ، وفي ناسخ التواريخ ذكر العبّاس الشهيد والعبّاس الأصغر ، ويؤيّده أنّ النسابة العمري في المجدي وابن شهرآشوب في المناقب والشبلنجي في نور الأبصار والمحبّ الطبري في ذخائر العقبىٰ وصفوا الشهيد بالعبّاس الأكبر[٣] .

وهذا التعبير في عرف النسّابين يقع لمن يكون له أخ أصغر منه شاركه في الاسم لا فيمن هو أكبر أُخوته مطلقاً ولو لم يشاركه في الاسم ، والظاهر أنّ العبّاس الأصغر درج في أيام أبيه ؛ لأنّه ليس له ذكر في الوارثين لأمير المؤمنين من ولده .

---

(١) الكامل في التاريخ ٤ : ٩٢ .

(٢) مقاتل الطالبيين : ٥٥ .

(٣) أنساب الأشراف : ١٩٢ ، المجدي في أنساب الطالبيين : ٢٣٢ ، الجريرة في أصول أنساب العلويين : ١٢ .

أخواته

كانت أخوات العبّاس من أبيه ثمان عشرة[1] ، فمنهنّ من توفّيت أيام أبيهنّ كزينب الصغرىٰ ، وجمانة ، وأُمامة ، وأُم سلمة ، ورملة الصغرىٰ[2] .

ومنهنّ من لم يُذكر خروجهن إلىٰ أزواج .

والذين خرجن إلىٰ أزواج : فالعقيلة زينب الكبرىٰ كانت عند عبد اللّه بن جعفر الطيّار ، فأولدت له جعفر الأكبر ، وعباساً ، وعلياً المعروف بالزينبي ، وعوناً الأكبر قُتل يوم الطفّ في حملة آل أبي طالب .

وأُمّ كلثوم ، وهي التي زوّجها الحسين من ابن عمّها القاسم ابن محمّد الطيّار وأنحلها البغيبغات[3] .

ورقيّة عند ابن عمّها الشهيد مسلم بن عقيل ، ولدت له عبد اللّه وعلياً ومحمّداً .

وفي العمدة تزوّج مسلم أُم كلثوم بنت علي عليه السلام فولدت له

---

(١) مطالب السؤول في مناقب آل الرسول : ٣١٣ .

(٢) مناقب السروي ٢ : ٧٦ .

(٣) المصدر السابق ٢ : ١٧١ .

حميدة[١]، تزوجها الفقيه الجليل عبد اللّه بن محمّد بن عقيل بن أبي طالب، أولدها محمّداً منه العقب.

ولا يتمّ هذا إلّا بعد وفاة إحداهنّ؛ إذ لا يجوز الجمع بين الأُختين.

وكانت فاطمة عند أبي سعيد بن عقيل، ولدت له حميدة.

وخديجة كانت عند عبد الرحمن بن عقيل، ولدت له سعيداً.

وأُم هاني تزوّجها عبد اللّه الأكبر بن عقيل، ولدت له عبد الرحمن ومحمّداً.

وأُمّ الحسن خرجت إلىٰ جعدة بن هبيرة المخزومي.

وأُمامة كانت عند الصلت بن عبد اللّه بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، ولدت له نفيسة[٢].

---

(١) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب: ٣٢.

(٢) بحار الأنوار ٤٢: ٩٣، المجدي في أنساب الطالبيين: ١٨، إعلام الورىٰ بأعلام الهدىٰ: ٣٩٨.

العقيلة

وكيف ما كان ، فالمهم في هذا العنوان النظر في العقيلة الكبرىٰ التي هي أعظمهنّ قدراً ، وأجلّهن شأناً ، فإنّها شظية من شظايا النبوّة ، وفلذة من أفلاذ الإمامة ، وهي الجوهرة الفردة التي ضمّها إليه صدف القداسة (الزهراء الطاهرة عليها السلام وأنجب بها سيّد الأوصياء .

بجِلالِ أحمدَ فِي مهابةِ حَيدرٍ   قَدْ أنجبتِ أُم الأَئِمةِ زَينباَ

فكانت شريكة الإمامين سيّدي شباب أهل الجنّة في ذلك المرتكض الطاهر ، والحجر الزاكي ، والصلب القادس ، واللبان السائغ ، والتربية الإلهية .

أضف إلىٰ ذلك العلم المتدفّع والفقه الناجع ، وقد شهد لها ابن أخيها السجّاد عليه السلام : «بأنّها عالمة غير معلّمة ، وفاهمة غير مفهّمة»[1] ، وحسبها من الخطر أن ما انحنت عليه الأضالع هو ذلك العلم المفاض عليها من ساحة القدس الإلهي ، لا بإرشاد معلّم أو تلقين مرشد ، مع البلاغة في المنطق ، والبراعة في الإفاضة ، كأنّها تفرغ عن لسان أبيها الوصي :

وعن الوصي بلاغة خصّت بها

أعيت برونقها البليغ الأخطبا

---

(١) الاحتجاج ٢ : ٣١ ، في أنساب الطالبيين : ٤٨ ، بحار الأنوار ٤٥ : ١٦٤ .

مـا استرسلت إلّا وتحسب أنّها
تستلُ من غُرر الخطابة مقضبا

أو أنّها اليزني في يد باسل
أخلا به ظهراً وأوهى منكبا

أو أنّها تقتاد منها فيلقا
وتسوق من زمر الحقائق موكبا

أو أنّ فِي غاب الإمامة لبوة
لزئيرها عنت الوجوه تهيّبا

أو أنّها البحر الخضم تلاطمت
أمواجُه علماً حجى بأساً أبا

أو أنّ من غضب الإله صواعقاً
لم تلف عنها آل حرب مهربا

أو أنّ حيدرة علىٰ صهواتها
يفنيِ كراديس الضلال ثباثبا

أو أنّه ضمّته ذروة منبر
فأنار نهجاً للشريعة ألحبا

أو أنّ في اللاؤي عقيلة هاشم
قد فرّقت شمل العمى أيدي سبا(١)

ولم تكن هذه البراعة والاسترسال في القول إلّا عمّا انطبع فيها من النفسيات القوية ، والملكات الفاضلة ، ممتزجة بثبات جأش وطمأنية نفس وشجاعة ، إن شئت فسمّها بالأديبة ، وإلّا فهي فوق

---

(١) من قصيدة للعلّامة ميرزا محمّد علي الأوردبادي طُبعت في كتاب (زينب الكبرىٰ) .

ذلك ، وكانت تلقي خواطرها بين تلك المحتشدات الرهيبة ، أو فقل بين الناب المخلب ، غير متعتعة ، ولا متلعثمة ، وتقذفها كالصواعق علىٰ مجتمع خصومها ، فكانت أعمالها وخطبها الجزء الأخير للعلّة من نهضة السبط الشهيد ، وأصبحت تمام الفضيحة للأمويين بما نشرته بين الملأ من صحيفتهم السوداء ، حتّىٰ ضعضعت عرش دولتهم ، وفكّكت عرىٰ سلطانهم ، وألصقت بهم العار من كُلّ النواحي ، فكانت شريكة الإمام الشهيد في هذه الفضيلة :

وتشاطرت هي والحسين بدعوة

حتم القضاء عليهما أن يندبا

هذا بمشتبك النصول وهذه

في حيث معترك المكاره في السبا[1]

وهذه النفسية التي حوتها والثبات الذي انطوى عليه أضالعها ، أوجب لأخيها الشهيد أن يصحبها في سفره إلىٰ مشهد الطفّ ، علماً منه بلياقتها ، لتلقّي الأسرار كما هي ، وأدائها في مورد الأداء كما يجب ، وهذا هو الذي أهّلها لتحمّل شطر ممّا يحمله الإمام بعد حادثة الطفّ ، حفظاً للسجّاد عن عادية الأعداء ، فكان يُرجع إليها في معرفة الأحكام الشرعية ، وإن كان المرجع إليها زين العباد عليه‌السلام .

ففي الحديث عن أحمد بن إبراهيم قال : دخلتُ علىٰ حكيمة بنت الجواد[2] أُخت أبي الحسن الهادي . . ، فكلّمتها من وراء حجاب ، وسألتها عن دينها ، فسمّت لي من تأتم به ، ثمّ قالت : فلان بن الحسن بن علي ، فسمّته .

---

(١) ليلة عاشوراء في الحديث والأدب : ١٥٦ .

(٢) في المصدر : «بنت محمّد بن علي الرضا» .

فقلت لها : جعلني اللّه فداك معاينة أو خبراً؟

فقالت : خبراً عن أبي محمّد عليه السلام كتب به إلىٰ أُمه .

فقلت لها : فأين المولود؟

فقالت : مستوراً .

فقلت : إلىٰ من تفزع الشيعة؟

فقالت : إلىٰ الجدّة أُمّ أبي محمّد عليه السلام .

فقلت لها : اقتدي بمن وصيّته إلىٰ المرأة؟

فقالت : اقتداء بالحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام ، إنّ الحسين بن علي عليهما السلام أوصى إلىٰ أُخته زينب بن علي بن أبي طالب عليه السلام في الظاهر ، وكان ما يخرج عن علي بن الحسين من علم ينسب إلىٰ زينب بنت علي تستّراً على علي ابن الحسين[1] .

ولليقين الثابت والبصيرة النافذة لم تكترث بشيء من الأهوال ولا راعها الهزاهز ، منذ مشهد الطفّ إلىٰ حين وصولها المدينة ، وكان بمنظر منها مصارع آلِ اللّه نجوم الأرض من آل عبد المطلب ، وبينهم سيّد شباب أهل الجنّة ، بحالة تنفطر لها السموات ، وتنشق الأرض ، وتخرّ الجبال هدّا .

وليس معها من حماتها حميّ ، ولا من رجالها وليّ غير الإمام المضني ، الذي أنهكته العلل ، ونسوة في الأسر ، مكتنفة بها ، بين شاكية وباكية ، وطفل كظّه العطش ، إلىٰ أُخرىٰ أقلقها الوجل .

وأمامها الجيش الفاتح الجذر ، بسكرة الظفر ، وبشر الشماتة ، ودعة السلام ، والفرح بالغنيمة ، ومخيم آل بيت اللّه طنّبت عليه الكوارث والمحن ، فقد الحماة ، والخوف من الأعدا ، والأوام

(١) كمال الدين وتمام النعمة : ٥٠١ ، الغيبة للشيخ الطوسي : ٢٣٠ .

المبرح ، ونحيب ونشيج ، وشراخ وعولة .

والعقيلة في كُلّ هذه الأحوال هي المُهدّئة لفورتهن ، والمُسّكنة لروعتهنّ ، فلم يشاهد منها عزم خائر ، ولا جأش مائر ، ولا صرخة عالية ، ولا ذهول عن أمر الحرم .

كيف وهي بقية أمير المؤمنين ، ونائبة الحسين علىٰ تلكم الأحوال ، والناهضة الكريمة إلىٰ مغزىٰ أخيها ، والمتمّمة لقصده الراقي وأمره الرشيد .

نعم ، أهمها من بين ذلك شيء رأته ؛ نظرت إلىٰ ابن أخيها السجّاد يجود بنفسه حينما شاهد تلك الجثث الزواكي تصهرها الشمس ، فعظم عليها أمر الإمام ، فأخذت تصبّره وتسلّيه ، وهو الذي لا توازن بصبره الجبال ، وفيما قالت له :

«مالي أراك تجود بنفسك يا بقية جدّي وأبي وإخوتي؟

فقلت : وكيف لا أجزع ولا أهلع وقد أرىٰ سيّدي وإخوتي وعمومتي وولد عمّي وأهلي مصرّعين بدمائهم ، مرمّلين بالعراء ، مسلّبين لا يكفنون ولا يوارون ، ولا يعرج عليهم ولا يقربهم بشر ، كأنهم أهل بيت من الديلم والخزر .

فقالت : لا يجزعنك ما ترىٰ ، فواللّه إنّ ذلك لعهد من رسول اللّه ﷺ إلىٰ جدّك وأبيك وعمّك ، ولقد أخذ اللّه ميثاق أُناس من هذه الأُمة لا تعرفهم فراعنة هذه الأرض ، وهم معروفون في أهل السماوات ، إنّهم يجمعون هذه الأعضاء المتفرّقة فيوارونها وهذه الجسوم المضرّجة ، وينصبون لهذا الطف علماً لقبر أبيك سيّد الشهداء عليه‌السلام ، لا يدرس أثره ، ولا يعفو رسمه علىٰ كرور الليالي والأيام ، وليجتهدنّ أئمة الكفر وأشياع الضلالة في محوه وتطميسه ،

فلا يزداد أثره إلّا ظهوراً، وأمره إلّا علوّاً»[١].

وهل بعد هذا يبقى مجال للشكّ في موقفها من الثبات، ومحلّها من الطمأنينة، ومبوئها من العظمة؟!

وإنّ حديث الرواة لمّا وقفت علىٰ جسد أخيها وقالت: «اللهمّ تقبّل منّا هذا القربان»[٢] يدلّنا علىٰ تبوّئها عرش الجلالة، وأنّها المأخوذ عليها الميثاق بتلك النهضة المقدّسة كأخيها الحسين، وإن كان التفاوت محفوظاً بينهما، حتّىٰ إنّ أحدهما لمّا أتمّ النهوض بالعهد وخرج عن العدة بإزهاق نفسه المطهّرة، نهض الآخر بما وجب عليه ومنه تقديم (الذبيح) إلىٰ ساحة الجلال الربوبي والتعريف به، ثُمّ طفقت سلام اللّه عليها ناهضة ببقية الشؤون التي وجبت عليها، ولا استبعاد في ذلك بعد وحدة النور، وتفرّد العنصر.

ثُمّ هلمّ معي لنقرأ موقفها أمام ابن مرجانة، وقد احتشد المجلس بوجوه الكوفة وأشرافها، وهي امرأة عزلاء ليس معها إلّا مريض يعاني ألم القيود، ونساء ولهى، وصبية تئن، فأفرغت عن لسان أبيها بكلام أنفذ من السهم وأحدّ من شبا السيوف، وألقمت ابن مرجانة حجراً إذ قالت له: «هؤلاء قوم كتب اللّه عليهم القتل.. وسيجمع اللّه بينك وبينهم فتُحاج وتُخاصم، فانظر لمن الفلج يومئذٍ، هبلتك أُمك يابن مرجانة»[٣].

وأوضحت للملأ المتغافل خبثه ولؤمه، وأنّه لن يرحض عنه

---

(١) بحار الأنوار ٢٨: ٥٧ نقلاً عن كامل الزيارات.
(٢) شجرة طوبىٰ: ٣٩٣، حياة الإمام الحسين عليه السلام للقرشي: ٣٠١.
(٣) مثير الأحزان لابن نمّا الحلّي: ٧١.

عارها وشنارها ، كما أنّها أدهشت العقول وحيّرت الفكر في خطبتها بالناس ، والناس يومئذٍ حيارىٰ يبكون لا يدرون ما يصنعون ، وأنى يرحض عنهم العار بقتلهم سليل النبوّة ، ومعدن الرسالة ، وسيّد شباب أهل الجنّة ، وقد خاب السعي ، وتبّت الأيدي ، وخسرت الصفقة ، وباؤوا بغضب من اللّه وخزي في الآخرة ، ولعذاب اللّه أكبر لو كانوا يعلمون .

كما أنّها أظهرت أمام ابن ميسون أسرار نهضة أخيها الحسين ، وعرّفت الأُمة طغيان يزيد ، وضلال أبيه ، وفظاعة أعمالهم ، وعظيم ما اقترفوه ، وفيما قالت له : «أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض ، وآفاق السماء ، فأصبحنا نساق كما تُساق الأُسارىٰ ، أنّ بنا علىٰ اللّه هواناً وبك عليه كرامة»[1] إلىٰ آخر كلامها .

ولهذه الفصاحة الدقيقة جاء بها شهيد العزّ والإباء إلىٰ العراق ، لعلمه أنّ الغاية التي يُضحّي بنفسه لأجلها ستذهب أدراج السلطة الغاشمة ، وتبقى الحقيقة مستورة علىٰ السذج لو لم يتعقّبها لسان ذرب ، وأنّ كُلّ أحد لا يستطيع في ذلك الموقف الحرج الذي تحفّه سيوف الظلم أن يتكلّم بالحقيقة ، مهما بلغ من المنعة في عشيرته إلّا العقيلة ، فإنّها التي تعلن بموبقات ابن مرجانة وابن معاوية ، وإنّ ما جرىٰ علىٰ ابن عفيف الأزدي شاهد له .

كما أنّه عليه‌السلام كان علىٰ يقين وثقة بإخبار جدّه الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله أنّ القوم ـ وإن بلغوا الخسّة والغواية وتناهوا في الخروج عن سبيل الحميّة ـ لا يمدّون إلىٰ النساء يد السوء ، وقد أنبأ سلام اللّه عليه عن هذا بقوله لهنّ ساعة الوداع :

---

(١) بحار الأنوار ٤٥ : ١٣٣ ، مقتل الحسين للخوارزمي ٢ : ٤٧ .

«البسوا أزركم ، واستعدوا للبلاء ، واعلموا أنّ اللّه حاميكم وحافظكم ، وسينجيكم من شرّ الأعداء ، ويجعل عاقبة أمركم إلىٰ خير ، ويعذّب أعاديكم بأنواع العذاب ، ويعوّضكم عن هذه البلية بأنواع النعم والكرامة ، فلا تشكوا ولا تقولوا بألسنتكم ما ينقص من قدركم»[١] .

فكان في مجيء الحسين عليه السلام بالعقيلة فوائد أهمها : تنزيه دين النّبي صلى الله عليه وآله عمّا ألصقوه بساحته من الأباطيل ، ولا قبح فيه عقلاً ، كما لا يستهجنه العرف ويساعد عليه الشرع .

والمرأة وإن وضع اللّه عنها الجهاد ومكافحة الأعداء ، وأمرها سبحانه أن تقرّ في بيتها ، فذلك فيما إذا قام بتلك المكافحة ودافع عن قدس الشريعة غيرها من الرجال ، وأمّا إذا توقّف إقامة الحقّ ونصرة الدين عليها فقط ، كان الواجب النهوض بعبء ذلك كُلّه ؛ كي لا تندرس آثار الحقّ ، وتذهب تضحية أُولئك الصفوة دونه أدراج التمويهات ، ولذلك نهضت سيّدة نساء العالمين للدفاع عن خلافة اللّه الكبرىٰ حين أُخذ العهد علىٰ سيّد الأوصياء بالسكوت .

علىٰ أنّ الخضوع لناموس عصمة الإمام في جميع أقواله وأفعاله الصادرة عنه طيلة حياته يُحتّم علينا الإذعان بأنّ ما صدر منه منبعث عن حكم إلهي ، قرأه في الصحيفة الخاصّة به التي يخبر الصادق عليه السلام عنها : «إنّ لكُلّ واحد منّا صحيفة يعمل بما فيها»[٢] .

ويقول الإمام الباقر عليه السلام : «فبتقدم علم إليهم من رسول اللّه صلى الله عليه وآله

---

(١) الدمعة الساكبة ٤ : ٣٤٦ .

(٢) الكافي ١ : ٢٨٣ ، ح٤ .

قام علي والحسن والحسين، وبعلم صمت من صمت منّا . . »[١] .

كما أنّه ﷺ أعلم بذلك جابر الأنصاري حين قال له : ألا تصالح كما صالح أخوك الحسن؟ فقال : «إنّ أخي فعل بأمر من اللّه ورسوله ، وأنا أفعل بأمر من اللّه ورسوله »[٢] .

فهذه الأحاديث تفيدنا نموذجاً من الاهتداء إلىٰ معرفة سير الإمام في جميع أفعاله ، وأنّها ناشئة عن حكم ربانية لا يتطرّق إليها الشكّ والريب ، وليس الواجب علينا إلّا التصديق بكُلّ ما يصدر منه ، من دون أن يلزمنا الشرع أو العقل بمعرفة المصالح الباعثة علىٰ تلك الأفعال الصادرة منه ، سواء كانت الأفعال في العرف والعادة فظيعة جداً أم لا .

---

(١) الكافي ١ : ٢٦٢ ، ح٤ .
(٢) الثاقب في المناقب لابن حمزة الطوسي : ٣٢٢ ، مع اختلاف بعض الألفاظ .

أمّ البنين

هي فاطمة بنت حزام بن خالد بن ربيعة بن الوحيد بن كعب بن عامر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بـن بكـر بـن هوازن[١] .

١ ـ وأُمّها ثمامة[٢] بنت سهيل بن عامر بن مالك بن جـعفر بـن كلاب .

٢ ـ وأُمّها عمرة بنت الطفيل بن مـالك الأخـرم بـن جـعفر بـن كلاب .

٣ ـ وأُمّها كبشة بنت عروة الرحّال بن جعفر بن كلاب

٤ ـ وأُمّها أُمّ الخشف بنت أبي معاوية فارس الهرّار بن عبادة بن عقيل بن كلاب

٥ ـ وأُمّها فاطمة بنت جعفر بن كلاب[٣] .

٦ ـ وأُمّها عاتكة بنت عبد شمس بن عـبد مـناف بـن قـصي ، وسمّاها في العمدة فاطمة[٤] .

---

(١) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب : ٣٥٦ ، قاموس الرجال ١٢ : ١٩٥ .

(٢) سمّاها الوافي بالوفيات ١٨ : ٣٤٤ (ليلىٰ) .

(٣) سمّاها في إكمال الاكمال ٧ : ١١١ (خالدة) .

(٤) عمدة الطالب لابن عنبة : ٣٥٦ .

٧ ـ وأُمّها آمنة بنت وهب بن عمير بن نصر بن قعين بن الحرث بن ثعلبة بن ذودان بن أسد بن خزيمة .

٨ ـ وأُمّها بنت جحدر بن ضبيعة الأغر بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن ربيعة بن نزار .

٩ ـ وأُمّها بنت ملك بن قيس بن ثعلبة .

١٠ ـ وأُمّها بنت ذي الرأسين، وهو خشين بن أبي عصم بن سمح بن فزارة ، وفي القاموس : خشين بن لاي[١] ، وفي تاج العروس[٢] : لاي بن عصيم .

١١ ـ وأُمّها بنت عمر بن صرمة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن الريث بن غطفان .

هذا ما ذكره أبو الفرج في المقاتل[٣] من جدّات أُمّ البنين والدة العبّاس عليه السلام ، ومنه عرفنا آباءها وأخوالها ، ويعرّفنا التاريخ أنّهم فرسان العرب في الجاهلية ، ولهم الذكريات المجيدة في المغازي بالفروسية والبسالة ، مع الزعامة والسؤدد ، حتّىٰ أذعن لهم الملوك ، وهم الذين عناهم عقيل بن أبي طالب بقوله : «ليس في العرب أشجع من آبائها»[٤] ولا أفرس .

وذلك مراد أمير المؤمنين من البناء علىٰ امرأة ولدتها الفحولة من العرب ، فإنّ الآباء لا بدّ وأن تعرف في البنين ذاتياتها وأوصافها ، فإذا كان المولود ذكراً بانت فيه هذه الخصال الكريمة ، وإن كانت

---

(١) القاموس المحيط ٢ : ٢١٨ .

(٢) تاج العروس ٨ : ٢٩٨ ولا خلاف بينهما بعد المراجعة .

(٣) مقاتل الطالبيين : ٥٣ .

(٤) عمدة الطالب لابن عنبة : ٣٥٧ .

أُنثىٰ بانت في أولادها ، وإلىٰ هذا أشار صاحب الشريعة الحقّة بقوله : «الخال أحد الضجيعين ، فتخيّروا لنطفكم»[(١)].

وقد ظهرت في أبي الفضل الشجاعتان الهاشمية التي هي الأربى والأرقى ، فمن ناحية أبيه سيّد الوصيّين ، والعامرية فمن ناحية أُمّه أُمّ البنين.

فإنّ من قومها أبا براء عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب ، جدّ ثمامة والدة أم البنين ، وهو الجدّ الثاني لأُمّ البنين ، قيل له : ملاعب الأسنّة ، لفروسيته وشجاعته ، لقّبه بذلك حسّان لما رآه يقاتل الفرسان وحده وقد أحاطوا به قال : ما هذا إلّا ملاعب الأسنة . وقيل : إنّ أوس بن حجر قال فيه :[(٢)]

يلاعب أطراف الأسنّة عـامرٌ فَراح لَهُ حظُّ الكتائِبِ أجـمعُ

وهو الذي استعانه ابن أخيه عامر بن الطفيل علىٰ منافرة علقمة بن علاثه ابن عوف بن الأحوص ، لمّا تفاخرا علىٰ أن يسوق كُلّ منهما مائة ناقة تكون لمن يحكم له ، ووضع كُلّ منهما رهناً لمن أبنائهم علىٰ يد رجل من بني الوحيد ، فسمّي الضمين إلىٰ اليوم ، وهو الكفيل ، ولما استعانه عامر دفع إليه نعليه وقال له : استعن بهما في منافرتك ، فإنّي قد ربعت بهما أربعين مرابعاً[(٣)].

والمرباع : ما يأخذه الرئيس من ربع الغنيمة دون أصحابه ،

---

(١) الكافي ٥ : ٣٣٢ ، ح٢ والحديث : «اختاروا لنطفكم فإنّ الخال أحد الضجيعين».

(٢) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٢٦ : ١٠١ .

(٣) الأعلام للزركلي ٣ : ٣٥٥ ، الإصابة ٣ : ٤٨٥ .

خالصاً لنفسه ، وذلك عندما كانوا يغزون في الجاهلية[١] ، وهذان النعلان من مختصات الرئيس التي يخرج بها في الأيام الخاصّة ، وإلّا فلا مزية لهما حتّىٰ يستعين بهما علىٰ المنافرة .

ومنهم عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب وهو أخو عمرة ، الجدّة الأوّلىٰ لأُمّ البنين ، كان عامر أسود أهل زمانه ، وأشهر فرسان العرب بأساً ونجدة ، وأبعدها اسماً ، حتّىٰ بلغ أنّ قيصر إذا قدم عليه قادم من العرب قال : ما بينك وبين عامر بن الطفيل؟ فإنّ ذكر نسباً عظم عنده وأرفده ، وإلّا أعرض عنه .

وفد عليه علقمة بن علاثة فانتسب له ، قال له قيصر : أنت ابن عمّ عامر بن الطفيل؟ فغضب علقمة ، ثُمّ إنّه دخل علىٰ ملك الروم فقال له : انتسب؟ فانتسب له ، قال الملك : أنت ابن عمّ عامر بن الطفيل؟ فغضب وخرج عنه[٢] .

ومنهم عروة الرحّال بن عتبة بن جعفر بن كلاب ، والد كبشة ، الجدّة الثانية لأُمّ البنين ، كان وفّاداً علىٰ الملوك ، وله قدر عندهم ، ومن هنا سُمّي الرحّال ، وهو الذي أجاز لطيمة النعمان التي كان يبعث بها كُلّ عام إلىٰ سوق عكاظ ، فقتله البراض بن قيس الكناني واستاق العير ، وبسببه هاجت حرب الفجار بين حي خندف وقيس[٣] .

ومنهم الطفيل ، فارس قرزل ، وهو والد عمرة ، الجدّة الأُولىٰ

---

(١) لسان العرب ٧ : ٤١٥ ، تاج العروس ١١ : ١١٢ .
(٢) قسم من الكلام موجود في الإصابة ٤ : ٤٥٨ ، وخزانة الأدب ٣ : ٨٠ .
(٣) الطبقات الكبرىٰ ١ : ١٢٧ ، الأعلام للزركلي ٢ : ٤٧ .

لأُمّ البنين، كان معروفاً بالشجاعة والفروسية، وهو أخو ملاعب الأسنّة، وربيعة وعبيدة ومعاوية بنو جعفر بن كلاب يقال لأُمهم: أُمّ البنين، وإياها عنى لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب لما وفد بنو جعفر علىٰ النعمان بن المنذر، وكان سميره الربيع بن زياد العبسي، فاتهموه بالسعي عليهم، فلمّا غدوا علىٰ النعمان كان معهم لبيد وهو أصغرهم، فرأوا النعمان يأكل مع الربيع فقال لبيد:

يا واهبَ الخير الجزيل من سعة ... نحنُ بنو أُم البنين الأربعة

ونحنُ خير عامر بن صعصعة ... المطعمون الجفنة المدعدعة

الضاربون الهام وسط الخيضعة ... إليك جاوزنا بلاداً مُسبعة

تخبر عن هذا خبيراً فاسمعه ... مهلاً أبيتَ اللعن لا تأكل معه

إنّ أُسّته من برص ملمّعة ... وإنّه يُولج فيها إصبعه

يُولجها حتّىٰ يواري اشجعه ... كأنّما يطلب شيئاً ضيّعه

فلم ينكر عليه النعمان ولا أحد من العرب؛ لأنّ لهم شرفاً لا يدافع، ولذلك طرد النعمان الربيع عن مسامرته وقال له:

شرّد برحلك عنّي حيث شئت ولا ... تكثر عليّ ودع عنكَ الأباطيلا

قد قيل ذلك إنّ حقاً وإن كذباً ... فما اعتذارك في شيء إذا قيلا(١)

---

(١) معجم البلدان ١: ٣٨٦، خزانة الأدب ٤: ١٠.

الزواج

تزوّج أمير المؤمنين عليه السلام من فاطمة ابنة حزام العامرية ، إمّا بعد وفاة الصديقة سيّدة النساء كما يراه بعض المؤرّخين[1] ، أو بعد أن تزوّج بأُمامة بنت زينب بنت رسول اللّه كما يراه البعض الآخر[2] . وهذا بعد وفاة الزهراء عليها السلام ؛ لأنّ اللّه قد حرّم النساء علىٰ علي ما دامت فاطمة موجودة[3] .

فولدت أربعة بنين وأنجبت بهم : العبّاس ، وعبد اللّه ، وجعفر ، وعثمان ، وعاشت بعده مدّة طويلة ولم تتزوّج من غيره ، كما أنّ أُمامة وأسماء بنت عميس وليلى النهشلية لم يخرجن إلىٰ أحد بعده . وهذه الحرائر الأربع توفى عنهنّ سيد الوصيين[4] .

وقد خطب المغيرة بن نوفل أُمامة ، ثُمّ خطبها أبو الهياج بن أبي سفيان بن الحارث ، فامتنعت ، وروت حديثاً عن علي عليه السلام : إنّ

---

(١) جواهر المطالب في مناقب الإمام علي : ١٢١ ، الدر النظيم للعاملي : ٤١١ .

(٢) السيرة النبوية لابن كثير ٤ : ٥٨١ ، السيرة الحلبية ٢ : ٤٥٢ ، الكنىٰ والألقاب للقمي ١ : ١١٥ .

(٣) مناقب آل أبي طالب لابن شهراشوب ٣ : ١١٠ ، الأمالي للشيخ الطوسي : ٤٣ ، بشارة المصطفىٰ للطبري : ٣٨١ .

(٤) عمدة القارئ ٨ : ٤١ ، تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق : ٣٠٥ .

أزواج النّبي والوصيّ لا يتزوّجن بعده، فلم يتزوجن الحرائر وأُمهات الأولاد عملاً بالرواية[١].

وكانت أُمّ البنين من النساء الفاضلات العارفات بحقّ أهل البيت عليهم السلام، مخلصة في ولائهم، ممحّضة في مودّتهم، ولها عندهم الجاه الوجيه والمحلّ الرفيع، وقد زارتها زينب الكبرىٰ بعد وصولها المدينة تعزّيها بأولادها الأربعة، كما كانت تزورها أيام العيد.

وبلغ من عظمها ومعرفتها وتبصّرها بمقام أهل البيت عليهم السلام، أنّها لمّا أُدخلت علىٰ أمير المؤمنين ـ وكان الحسنان مريضين ـ أخذت تُلاطف القول معهما، وتُلقي إليهما من طيب الكلام ما يأخذ بمجامع القلوب، وما برحت علىٰ ذلك تُحسن السيرة معهما وتخضع لهما كالأُم الحنون.

ولا بدع في ذلك فإنّها ضجيعة شخص الإيمان، قد استضاءت بأنواره، وربّت في روضة أزهاره، واستفادت من معارفه، وتأدّبت بآدابه، وتخلّقت بأخلاقه.

---

(١) مناقب آل أبي طالب ٣: ٩٠.

الولادة

لقد أشرق الكون بمولد قمر بني هاشم يوم بزوغ نوره من أُفق المجد العلوي ، مرتضعاً ثدي البسالة ، متربيّاً في حجر الخلافة ، وقد ضربت فيه الإمامة بعرق نابض ، فترعرع ومزيج روحه الشهامة والإباء والنزوع عن الدنايا ، وما شوهد مشتداً بشبيبته الغضة إلّا وملء اهابه إيمان ثابت ، وحشو ردائه حلم راجح ، ولبّ ناضج ، وعلم ناجع .

فلم يزل يقتصّ أثر السبط الشهيد عليه السلام الذي خلق لأجله ، وكوّن لأن يكون ردءاً له ، في صفات الفضل ، ومخائل الرفعة ، وملامح الشجاعة ، والسؤدد والخطر . فإن خطى سلام اللّه عليه فإلىٰ الشرف ، وإن قال فعن الهُدىٰ والرشاد ، وإن رمق فإلىٰ الحقّ ، وإن مال فعن الباطل ، وإن ترفّع فعن الضيم ، وإن تهالك فدون الدين .

فكان أبو الفضل جامع الفضل والمثل الأعلىٰ للعبقرية ؛ لأنّه كان يستفيد بلج هاتيك المآثر من شمس فلك الإمامة (حسين العلم والبأس والصلاح) ، فكان هو وأخوه الشهيد عليه السلام من مصاديق قوله تعالىٰ في التأويل : **﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا * وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا﴾**[1] ، فلم يسبقه بقول استفاده منه ، ولا بعمل أتبعه فيه ، ولا بنفسية هي ظلّ

---

(١) الشمس : ١ ـ ٢ .

نفسيته ، ولا بمنقبة هي شعاع نوره الأقدس ، المنطبع في مرآة غرائزه الصقيلة .

وقد تابع إمامه في كُلّ أطواره حتّىٰ في بروز هيكله القدسي إلىٰ عالم الوجود ، فكان مولد الإمام السبط في ثالث شعبان ، وظهور أبي الفضل العبّاس إلىٰ عالم الشهود في الرابع منه[١] سنة ست وعشرين من الهجرة[٢] .

وممّا لا شكّ فيه أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لمّا أحضر أمامه ولده المحبوب ليقيم عليه مراسيم السنّة النبويّة التي تقام عند الولادة ، ونظر إلىٰ هذا الولد الجديد ، الذي كان يتحرّى البناء علىٰ أُمه أن تكون من أشجع بيوتات العرب ؛ ليكون ولدها ردءاً لأخيه السبط الشهيد يوم تحيط به عصب الضلال ، شاهد بواسع علم الإمامة ما يجري عليه من الفادح الجلل ، فكان بطبع الحال يطبق علىٰ كُلّ عضو

---

(١) أنيس الشيعة للعلّامة السيّد محمّد عبد الحسين بن السيّد محمّد عبد الهادي المدارسي الهندي قال شيخنا الحجّة في الذريعة إلىٰ مصنفات الشيعة ٢ : ٤٥ : رأيت الكتاب في النجف عند العالم السيّد اقا التستري من أحفاد السيّد نعمة اللّه الجزائري ، والكتاب في وقائع الأيام ، من موجبات السرور والأحزان ، من مواليد الأئمة ووفياتهم ومعاجزهم . . ، رتّبه علىٰ الأشهر ، بدأ بربيع الأول وختم في شهر صفر ، وله مقدّمه في نسب النّبي صلى الله عليه وآله وسلم وسنة جلوس الوصي عليه السلام وخاتمة في أحوال الحجة المنتظر عليه السلام .
وذكر العلّامة ميرزا محمّد علي الأُوردبادي أنّه قرأ بخطّ المؤلّف على ظهر الكتاب إنّه أهداه إلىٰ السلطان فتح علي شاه يوم الجمعة أول شعبان سنة ١٢٤٤ هـ ، وللمؤلّف كتب منها : زاد المؤمنين ، وتذكرة الطريق ، وعناية الرضا .

(٢) المجدي والأنوار النعمانية : ١٢٤ ، وحكاه في كتاب قمر بني هاشم : ٢٢ عن وقائع الأيام لشيخ محمّد باقر البيرجندي .

يشاهده مصيبة سوف تجري عليه ، يقلّب كفيه اللذين سيقطعان في نصرة حجّة وقته ، فتهمل عيونه .

ويبصر صدره عيبة العلم واليقين فيشاهده منبتاً لسهام الأعداء ، فتتصاعد زفرته ، وينظر إلىٰ رأسه المطهّر فلا يعزب عنه أنّه سوف يقرع بعمد الحديد ، فتثور عاطفته ، وترتفع عقيرته ، كما لا يبارح فاكرته حينما يراه يسقي أخاه الماء ما يكون غداً من تفانيه في سقاية كريمات النبوّة ، ويحمل إليهنّ الماء علىٰ عطشه المرمض ، وينفض الماء حيث يذكر عطش أخيه ، تهالكاً في المواساة ، ومبالغة في المفادات ، وإخلاصاً في الأُخوة ، فيتنفس الصعداء ، ويكثر من قول : «مالي وليزيد»[(١)] ، وعلىٰ هذا فقس كُلّ كارثة يقدر سوف تلمّ به وتجري عليه .

فكان هذا الولد العزيز علىٰ أبويه وحامته كُلّما سرّ أبوه اعتدال خلقته ، أو ملامح الخير فيه ، أو سمة البسالة عليه ، أو شارة السعادة منه ؛ ساءه ما يشاهده هنالك من مصائب يتحمّلها ، أو فادح ينوء به ، من جرح دام ، وعطش مجهد ، وبلاء مكرب .

وهذه قضايا طبيعيّة تشتدّ عليها الحالة في مثل هاتيك الموارد ، ممّن يحمل أقلّ شيء من الرقّة علىٰ أقلّ إنسان ، فكيف بأمير المؤمنين عليه السلام الذي هو أعطف الناس علىٰ البشر عامّة من الأب الرؤوف ، وأرقّ عليهم من الأُم الحنون .

إذن فكيف به في مثل هذا الإنسان الكامل (أبي الفضل) الذي

---

(١) مثير الأحزان لابن نما الحلّي : ١٢ .

لا يقف أحد علىٰ مدىٰ فضله ، كما ينحسر البيان عن تحديد مظلوميته واضطهاده .

وذكر صاحب كتاب « قمر بني هاشم » ص ٢١ أنّ أُمّ البنين رأت أمير المؤمنين عليه السلام في بعض الأيام أجلس أبا الفضل عليه السلام علىٰ فخذه ، وشمّر عن ساعديه ، وقبلهما وبكىٰ ، فأدهشها الحال ؛ لأنّها لم تكن تعهد صبيّاً بتلك الشمائل العلوية ينظر إليه أبوه ويبكي ، من دون سبب ظاهر ، ولمّا أوقفها أمير المؤمنين عليه السلام علىٰ غامض القضاء ، وما يجري علىٰ يديه من القطع في نصرة الحسين عليه السلام ؛ بكت وأعولت وشاركها مَن في الدار في الزفرة والحسرة ، غير أنّ سيّد الأوصياء بشّرها بمكانة ولدها العزيز عند اللّه جلّ شأنه ، وما حباه عن يديه بجناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنّة ، كما جعل ذلك لجعفر بن أبي طالب ، فقامت تحمل بشرىٰ الأبد ، والسعادة الخالدة .

صفاته

لقد كان من عطف المولىٰ سبحانه وتعالى علىٰ وليّه المقدّس ، سلالة الخلافة الكبرىٰ ، سيّد الأوصياء ، أن جمع فيه صفات الجلالة من بأس وشجاعة وإباء ونجدة ، وخلال الجمال من سؤدد وكرم ودماثة في الخلق ، وعطف علىٰ الضعيف ، كُلّ ذلك من البهجة في المنظر ووضاءة في المحيا من ثغر باسم ووجه طلق تتموّج عليه أمواه الحسن ، ويطفح عليه رواء الجمال ، وعلىٰ أسرة جبهته أنوار الإيمان ، كما كانت تعبق من أعراقه فوائح المجد ، متأرّجة من طيب العنصر .

ولمّا تطابق فيه الجمالان الصوري والمعنوي قيل له : « قمر بني هاشم »[1] ، حيث كان يشوء بجماله كُلّ جميل ، وينذ بطلاوة منظره كُلّ أحد ، حتّىٰ كأنّه الفذّ في عالم البهاء ، والوحيد في دنياه ، كالقمر الفائق بنوره أشعة النجوم ، وهذا هو حديث الرواة :

« كان العبّاس رجلاً وسيماً جميلاً ، يركب الفرس المطهّم

---

(١) كان يقال لعبد مناف : (قمر البطحاء) ، ولعبد اللّه والد النّبي صلى الله عليه وآله وسلم : (قمر الحرم) .

ورجلاه تخطان في الأرض ، وكان يقال له : قمر بني هاشم »[1] .

وقد وصفته الرواية المحكية في مقاتل الطالبيين بان « بين عينيه أثر السجود » ، ونصّها :

« قال المدائني : حدّثني أبو غسّان هارون بن سعد ، عن القاسم بن الأصبغ ابن نباتة ، قال : رأيت رجلاً من بني أبان بن دارم أسود الوجه ، وكنت أعرفه جميلاً شديد البياض ، فقلت له : ما كدت أعرفك؟ قال : إنّي قتلت شاباً أمرد مع الحسين ، بين عينيه أثر السجود ، فما نمت ليلة منذ قتلته إلّا أتاني ، فيأخذ بتلابيبي حتّىٰ يأتي جهنم ، فيدفعني فيها ، فأصيح فما يبقى في الحي إلّا سمع صياحي . قال : والمقتول هو العبّاس بن علي عليه السلام »[2] .

وروىٰ سبط ابن الجوزي عن هشام بن محمّد ، عن القاسم بن الأصبغ المجاشعي قال : « لما أُتي بالرؤوس إلىٰ الكوفة ، وإذا بفارس أحسن الناس وجهاً قد علق في لبب فرسه رأس غلام أمرد ، كأنّه القمر ليلة تمّه ، والفرس يمرح ، فإذا طأطأ رأسه لحق الرأس بالأرض ، فقلت : رأس من هذا؟ قال : رأس العبّاس بن علي ، قلت : ومن أنت؟ قال : حرملة بن الكاهل الأسدي[3] .

قال : فلبثت أياماً وإذا بحرملة وجهه أشدّ سواداً من القار ، فقلت : رأيتك يوم حملت الرأس وما في العرب أنظر وجهاً منك ،

---

(١) مقاتل الطالبيين : ٥٥ .

(٢) مقاتل الطالبيين : ٧٩ . الأصبغ هنا ابن نباتة ؛ لأنّ بني مجاشع بطن من حنظلة من تميم كما في نهاية الإرب للقلقشندي : ٣٣٤ ، والأصبغ ابن نباتة حنظلي تميمي كما نصّ عليه ابن حجر في تهذيب التهذيب ١ : ٣٦٢ .

(٣) في تاريخ الطبري ٤ : ٣٥٩ :حرملة بن الكاهن ، وفي الفصول المهمة لابن الصباغ : ٨٤٥ : حرملة بن الكاهل . والأمر سهل .

وما أرىٰ اليوم أقبح ولا أسود وجهاً منك؟ فبكىٰ وقال: والله منذ حملت الرأس وإلىٰ اليوم ما تمرّ عليَّ ليلة إلّا واثنان يأخذان بضبعي، ثُمّ ينتهيان بي إلىٰ نار تؤجّج، فيدفعاني فيها وأنا أنكص، فتسفعني كما ترىٰ، ثُمّ مات علىٰ أقبح حال»[1].

ويمنع الإذعان بما في الروايتين من تعريف المقتول بأنّه العبّاس بن علي عليه السلام، عدم الالتئام مع كونه شاباً أمرد، فإنّ للعباس يوم قتله أربعاً وثلاثين سنة، والعادة قاضيّة بعدم كون مثله أمرد، ولم ينصّ التاريخ علىٰ كونه كقيس بن سعد ابن عبادة لا طاقة شعر في وجهه.

وفي دار السلام للعلّامة النوري ج١ ص١١٤ والكبريت الأحمر ج٣ ص٥٢ ما يشهد للاستبعاد، واصلاحه كما في كتاب «قمر بني هاشم» ص١٢٦ بأنّه رأس العبّاس الأصغر بلا قرينة، مع الشكّ في حضوره الطفّ وشهادته، وهذا كاصلاحه بتقدير المقتول: «أخ العبّاس» المنطبق علىٰ عثمان الذي له يوم قتله إحدىٰ وعشرين سنة، أو محمّد بن العبّاس المستشهد علىٰ رواية ابن شهرآشوب، فإنّ كُلّ ذلك من الاجتهاد البحت.

ولعلّ النظرة الصادقة فيما رواه الصدوق منضماً إلىٰ رواية ابن جرير الطبري تساعد علىٰ كون المقتول حبيب بن مظاهر.

قال الصدوق: «وبهذا الاسناد عن عمرو بن سعيد، عن القاسم بن الأصبغ ابن نباتة، قال: قدم علينا رجل من بني أبان بن دارم ممّن شهد قتل الحسين، وكان رجلاً جميلاً شديد البياض، فقلت له: ما كدت أعرفك لتغير لونك؟ قال: قتلت رجلاً من أصحاب الحسين،

---

(١) تذكرة الخواص: ٢٩١.

يبصر بين عينيه أثر السجود وجئت برأسه.

فقال القاسم: لقد رأيته علىٰ فرس له مرحاً، وقد علّق الرأس بلبانها، وهو يصيبه بركبتيه، قال: فقلت لأبي: لو أنّه رفع الرأس قليلاً، أما ترىٰ ما تصنع به الفرس بيديها؟ فقال: يا بني ما يصنع به أشد، لقد حدّثني قال: ما نمت ليلة منذ قتلته إلّا أتاني في منامي حتّىٰ يأخذ بكتفي فيقودني ويقول: انطلق، فينطلق بي إلىٰ جهنم، فيقذف بي، فأصيح، قال: فسمعت جارة له قالت: ما يدعنا ننام شيئاً من الليل من صياحه، قال: فقمت في شباب من الحي فأتينا امرأته فسألناها فقالت: قد أبدىٰ علىٰ نفسه قد صدقكم»[1].

وقد اتفقت هذه الروايات الثلاث في الحكاية عن القاسم بن الأصبغ بن نباتة بما فعل بالرأس الطاهر.

وتفيدنا رواية الصدوق أنّ المقتول رجل لا شاب، وأنّه من أصحاب الحسين عليه السلام، ولا إشكال فيها، وإذا وافقنا ابن جرير علىٰ أنّ الرأس المعلّق هو رأس حبيب بن مظاهر ـ في حين أنّ المؤرّخين لم يذكروا هذه الفعلة بغيره من الرؤوس الطاهرة ـ أمكننا أن ننسب الاشتباه إلىٰ الروايتين السابقتين، خصوصاً بعد ملاحظة ذلك الاستبعاد بالنسبة إلىٰ العبّاس، وتوقّف التصحيح فيهما علىٰ الاجتهاد بلا قرينة واضحة.

قال ابن جرير في ج٦ ص٢٥٢ من التاريخ: «وقاتل قتالاً شديداً، فحمل عليه رجل من بني تميم فضربه بالسيف علىٰ رأسه فقتله، وكان يقال له: بديل بن صريم من بني عقفان، وحمل عليه

---

(١) ثواب الأعمال للشيخ الصدوق: ٢١٩.

آخر من بني تميم فطعنه ، فوقع ، فذهب ليقوم ، فضربه الحصين بن تميم علىٰ رأسه بالسيف ، فوقع ، ونزل إليه التميمي فاحتز رأسه ، فقال له الحصين : إنّي لشريكك في قتله! فقال الآخر : واللّه ما قتله غيري! فقال الحصين : أعطنيه أُعقله في عنق فرسي كيما يرىٰ الناس ويعلموا أني شركت في قتله ، ثُمّ خذه أنت بعد فامض به إلىٰ عبيد اللّه بن زياد ، فلا حاجة لي فيما تعطاه علىٰ قتلك إياه ، فأبىٰ عليه ، فأصلح قومه فيما بينهما علىٰ هذا ، فرفع إليه رأس حبيب بن مظاهر ، فجال به في العسكر ، قد علّقه في عنق فرسه ، ثُمّ دفعه بعد ذلك إليه ، فلمّا رجعوا إلىٰ الكوفة أخذ الآخر رأس حبيباً فعلّقه في لبان فرسه ، ثُمّ أقبل به إلىٰ ابن زياد في القصر ، فبصر به ابنه القاسم بن حبيب ، وهو يومئذٍ قد راهق ، فأقبل مع الفارس ، لا يفارقه كُلمّا دخل القصر دخل معه ، وإذا خرج خرج معه ، فارتاب به ، فقال : ما لك يا بني تتبعني؟ قال : لا شيء! قال : بلىٰ يا بني أخبرني؟

قال له : إنّ هذا الرأس الذي معك رأس أبي أفتعطينيه حتّىٰ أدفنه؟

قال : يا بني لا يرضىٰ الأمير أن يدفن ، وأنا أريد أن يثيبني الأمير علىٰ قتله ثواباً حسناً!

قال له الغلام : لكن اللّه لا يثيبك علىٰ ذلك إلّا أسوأ الثواب ، أما واللّه لقد قتلته خيراً منك وبكىٰ .

فمكث الغلام حتّىٰ إذا أدرك لم يكن له همة إلّا اتباع أثر قاتل أبيه ليجد منه غرة فيقتله بأبيه ، فلمّا كان زمان مصعب بن الزبير ، وغزا مصعب باجمير ادخل عسكر مصعب فإذا قاتل أبيه في فسطاطه ، فأقبل يختلف في طلبه والتماس غرته ، فدخل عليه وهو

قائل نصف النهار فضربه بسيفه حتّىٰ برد . . .»[١] .

نعم ، في رواية الصدوق أنّ القاسم يسأل أباه عمّا يفعله الفرس بالرأس فيقول : «قلت لأبي : لو أنّه رفع الرأس . . إلىٰ آخره» .

وهو يدلّ علىٰ حياة الأصبغ ذلك اليوم ، وعليه فلم يعرف الوجه في تأخّره عن حضور المشهد الكريم ، مع مقامه العالي في التشيّع ، وإخلاصه في الموالاة لأمير المؤمنين وولده المعصومين عليهم السلام ، ومشاهدته هذا الفعل من الطاغي يدلّ علىٰ عدم حبسه عند ابن زياد كباقي الشيعة الخلّص ، ولا مخرج عنه إلّا بالوفاة قبل تلك الفاجعة العظمىٰ كما هو الظاهر ممّا ذكره أصحابنا عند ترجمته ، من الثناء عليه ، والمبالغة في مدحه ، وعدم الغمز فيه .

فتلك الجملة : «قلت لأبي» ، لا يعرف من أين جاءت . ولا غرابة في زيادتها بعد طعن أهل السنّة فيه كما في اللآلئ المصنوعة ج١ ص٢١٣ ، فإنّه بعد أن ذكر حديث الأصبغ بن نباتة عن أبي أيوب الأنصاري «أنّهم أُمروا بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين مع علي» ، قال : «لا يصحّ الحديث ، لأنّ الأصبغ متروك ، لا يساوي فلساً»[٢] .

وفيه ص١٩٥ ذكر عن ابن عباس حديث الركبان يوم القيامة رسول اللّه وصالح وحمزة وعلي قال : «رجال الحديث بين مجهول

(١) تاريخ الطبري ٤ : ٣٣٥ .
(٢) اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للسيوطي ١ : ٣٧٤ ، ونصّ العبارة : «لا يصحّ ، وأصبغ متروك لا يساوي فلساً» .

وبين معروف بعدم الثقة»[١].

ولقد طعنوا في أمثاله من خواصّ الشيعة بكُلّ ما يتسنّىٰ لهم، وما ذكر في تراجمهم يشهد لهذه الدعوىٰ، ولا يتحمّل هذا المختصر التبسط في ذكرها، ومراجعة ما كتبه السيّد العلّامة محمّد بن أبي عقيل في «العتب الجميل علىٰ أهل الجرح والتعديل» ص٤٠ في الباب الثاني فيه كفاية، فإنّه ذكر جملة من أتباع أهل البيت طعنوا فيهم بلا سبب إلّا لموالاة أمير المؤمنين وولده عليهم السلام.

(١) اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للسيوطي ٤ : ٣٤٤، ونصّ العبارة: «رجاله فيهم غير واحد مجهول وآخرون معروفون بغير الثقة».

كنيته

اشتهر أبو الفضل العبّاس عليه السلام بكُنىٰ وألقاب ، وُصف ببعضها في يوم الطفّ ، والبعض الآخر كان ثابتاً له من قبل ، فمن كناه : أبو قربة[1] ؛ لحمله الماء في مشهد الطفّ غير مرّة ، وقد سدّت الشرائع ، ومنع الورود علىٰ ابن المصطفىٰ وعياله ، وتناصرت علىٰ ذلك أجلاف الكوفة ، وأخذوا الاحتياط اللازم ، ولكن أبا الفضل لم يرعه جمعهم المتكاثف ، ولا أوقفه عن الإقدام تلك الرماح المشرعة ، ولا السيوف المجرّدة ، فجاء بالماء وسقىٰ عيال أخيه وصحبه .

ولم ينصّ المؤرّخون وأهل النسب علىٰ كنيته بأبي القاسم ؛ إذ لم يذكر أحد أنّ له ولداً اسمه القاسم .

نعم ، خاطبه جابر الأنصاري في زيارة الأربعين بها قال : «السلام عليك يا أبا القاسم ، السلام عليك يا عباس بن علي»[2] ،

---

(١) تهذيب الكمال للمزي ٢٠ : ٤٧٩ ، شرح إحقاق الحق ٣٢ : ٦٧٩ .
(٢) بحار الأنوار ٩٨ : ٣٣٠ .

وبما أنّ هذا الصحابي الكبير المتربّي في بيت النبوّة والإمامة خبير بالسبب الموجب لهذا الخطاب ، فهو أدرىٰ بما يقول .

وقد اشتهر بكنيته الثالثة «أبي الفضل» من جهة أنّ له ولداً اسمه الفضل[1] ، وكان حرياً بها فإنّ فضله لا يخفىٰ ، ونوره لا يطفى . ومن فضائله الجسام نعرف أنّه ممّن حبس الفضل عليه ، ووقف لديه ، فهو رضيع لبانه ، وركن من أركانه ، وإليه يشير شارح ميمية أبي فراس :

بذلتَ أيا عباس نفساً نفيسة

لنصرِ حُسين عزّ بالنصر من مثلِ

أبيتَ التذاذ الماء قبل التذاذهِ

فحسن فعال المرء فرع عن الأصلِ

فأنتَ أخو السبطين في يوم مفخر

وفي يوم بذل الماء أنت أبو الفضلِ[2]

---

(١) الجريدة في أصول أنساب العلويين : ٣١٨ .
(٢) أعيان الشيعة ٩ : ٢٥٩ .

اللقب

اشتهر بين العامّة والخاصّة بأنّه سلام اللّه عليه باب الحوائج ؛ لكثرة ما صدر منه من الكرامات وقضاء الحاجات ومن هنا قيل فيه[1] :

للشوس عباس يريهم وجهَهُ — والوفد يَنظِرُ باسِماً محتاجَها
باب الحوائجِ مَا دَعتهُ مروعةٌ — في حاجةٍ إلّا ويُقضِي حَاجَها
بأبِي أبي الفضلِ الذِي مِنْ فَضلهِ — السامِي تَعلّمتِ الوَرىٰ منهاجَها

وقيل له : «قمر بني هاشم»[2] ؛ لوضاءته وجمال هيئته وإنّ اسرة وجهه تبرق كالبدر المنير ، فكان لا يحتاج في الليلة الظلماء إلىٰ ضياء .

وأمّا «الشهيد» فلم ينصّ عليه أحد إلّا أنّه الظاهر من عبارات أهل النسب ، ففي المجدي لأبي الحسن العمري قال ـ بعد ذكر

(١) من قصيدة لسيد الذاكرين السيّد صالح الحلّي ﷺ .
(٢) مقاتل الطالبيين : ٥٦ ، مناقب آل أبي طالب ٣ : ٢٥٦ ، بحار الأنوار ٤٥ : ٣٩ .

أولاده ـ: «هذا آخر نسب بني العبّاس الشهيد السقا ابن علي بن أبي طالب عليه‌السلام»[١].

وفي سرّ السلسلة لأبي نصر البخاري: «والشهيد أبو الفضل العبّاس بن علي أمه أُمّ البنين»[٢].

ثُمّ روىٰ عن معاوية بن عمّار الزيدي قال: «قلت للصادق عليه‌السلام: كيف قسمتم نحلة فدك بعد ما رجعت عليكم؟ قال: «أعطينا ولد عبيد اللّه بن العبّاس الشهيد الربع والباقي لولد فاطمة، فأصاب بني العبّاس بن علي أربعة أسهم، الحصة أربعة نفر، ورثوا علياً عليه‌السلام»[٣].

وكان الحريّ بأرباب المقاتل والنسب أن يدوّنوا له هذا اللقب المعرب عن أسمىٰ منزلة له، وهو «العبد الصالح» كما خاطبه الإمام الصادق في الزيارة المخصوصة به التي رواها أبو حمزة الثمالي حيث يقول: «السلام عليك أيّها العبد الصالح»[٤].

فإنّك جدّ عليم بأنّ هذه الصفة أرقىٰ مراتب الإنسان الكامل؛ لأنّها حلقة الوصل بين المولىٰ والعبد، وأفضل حالات أيّ فاضل، حيث يجد نفسه الطرف الرابط لموجد كيانه جلّ وعلا، وإن من أكمل مراتب الوجود فيما إذا التأم المنتهىٰ مع المبدأ بنحو الصلة،

---

(١) المجدي في أنساب الطالبيين: ٢٤٣.
(٢) سرّ السلسلة العلوية: ٨٨.
(٣) سرّ السلسلة العلوية: ٨٩.
(٤) كامل الزيارات: ٤٤٠.

ولم يلقبوه بذلك؛ لأن هذا المعنىٰ صفة وليست اسماً ليجعل لقباً لشخص، وأهل السير غرضهم من ذكر الألقاب التمييز لا أطلاق الأوصاف، فتدبر.

وهذا لا يكون إلّا إذا بلغ العبد أرقىٰ مراتب الإنسانية التي تلحقه بعالم البساطة ، وتنتهي به إلىٰ صقع التجرّد ، فتؤهّله لأن يتصل بالمبدأ الأعلىٰ ، فلو فقد الإنسان تلك الملاءمة دحره عن حضيرة القدّاسة انقطاع النسبة ، وبعد المرمىٰ ، وشسوع المسافة .

ولا نعني بهذه المرتبة أن يكون العبد مواظباً علىٰ العبادات البسيطة المسقطة للخطاب والرافعة للتعزير فحسب ، وإنّما نقصد منه ما إذا عبد اللّه سبحانه حقّ عبادته ، الناشئة عن فقه وبصيرة ومعرفة بالمعبود الذي يجب أن يعبد ، من دون لحاظ مثوبة أو عقوبة ، حتّىٰ يكون المولىٰ هو الذي يسمّيه عبداً له ، ويصافقه علىٰ تصديق دعواه بالعبودية له .

وما أسعد العبد حيث يبصر ما بيده من سلك الطاعة ، ويعرف أنّ مولاه قابض علىٰ طرفه الآخر ، تزلفه إليه جاذبة الصلة ، وأشعة القرب .

وعلىٰ ما قلناه كانت هذه المرتبة عند الأنبياء عليهم السلام أرقى مراتبهم ، وأرفع منصاتهم ؛ لأنّ طرف عبوديتهم أمنع وأشرف من طرف رسالتهم ، فالطرف الأعلىٰ في العبودية «مبدأ الحقّ سُبحانه وتعالى» ، والطرف الأسفل منتهٍ إلىٰ شخص النّبي صلى الله عليه وآله ، وأمّا النبوة فمبدؤها الرسول ومنتهاها الأُمة[1] .

ولولا أنّ هذه الصفة أسمىٰ الصفات التي يتصف بها العبد لما

---

(١) لكن حقيقة الرسالة راجعة إلىٰ العبودية وداخلة في ضمنها ، فهي منه وبه وإليه .

نعم ، مانعية الرسالة من جهة اشتغال الرسول بتبليغ الرسالة والدخول في عالم الكثرة ، وهذا فيه نوع حجب علىٰ النور الصافي فيما لو انقطع مع اللّه ، ولكنّه بالتالي عبادة أقلّ من غيرها ، فتدبّر .

خصّ اللّه تعالىٰ أنبياءه، بها فقال سبحانه: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾[1].

وقال تعالىٰ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى﴾[2].

وقال عزّ شأنه: ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾[3].

وقال جلّ وعلا: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾[4].

وقال تعالت أسماؤه: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾[5].

وقال عزّ سبحانه: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ﴾[6].

وقال عظم ذكره: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾[7].

وقد كان في وسع المولى تعالت أسماؤه أنّ يقول في خطاب نبيّه الكريم: «وإن كُنتم في ريبٍ ممّا نزلنا علىٰ رسولنا..» ونحوه ممّا يدل علىٰ النبوّة والرسالة، ولكن حيث كان حبيب اللّه وصفيّه

---

(١) البقرة: ٢٣.
(٢) الإسراء: ١
(٣) الأنفال: ٤١.
(٤) ص: ١٧.
(٥) ص: ٣٠.
(٦) ص: ٤٥.
(٧) ص: ٤١.

متجرّداً عمّا يحجبه عن مشاهدة المهيمن سبحانه، فانياً في سبيل خدمة المولىٰ، لا يرىٰ في الوجود غير منشئ الأكوان؛ استحقّ أن يهبه البارئ تعالىٰ أرقىٰ صفة تليق بهذا المقام.

ومن هنا نرىٰ الرسول المسيح قدّم عبوديته علىٰ رسالته فقال: ﴿**إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً**﴾[1].

وأنت لا تفتأ في جميع الفرائض والنوافل في اليوم والليل تشهد بأنّ محمّداً عبده ورسوله، ولم تقل: خاتم الأنبياء، أو علّة الكائنات، أو سرّ الموجدات، أو حبيب اللّه وصفيّه، مع أنّها صفات لا تليق إلّا بذات اشتقت من نور القدّس، ولكنّك عرفت أن أسمىٰ هذه الصفات وأجلّ ما يليق بالعبد حال اتصاله بالمبدأ الأعلىٰ هو وصفه بالعبودية لمولاه.

ومن هنا ظهر لنا أنّ من أجلىٰ الحقائق وأرقىٰ مراتب الفضل الّذي لا يُحلّق إليهِ طائر الفكر، ولا يدرك مداه أي تصوّر، غير أنّ من الواجب التصديق به علىٰ الجملة، هو وصف سيّدنا العبّاس عليه السلام بهذه الصفة الكاملة «العبد الصالح» التي أضافها اللّه تعالى إلىٰ أنبيائه، ومبلّغي شريعته، وأمنائه علىٰ وحيه، ومنحه بها الإمام الصادق عليه السلام.

(١) مريم: ٣٠.

السقا

الماء حياة العالم ، وليست حاجة أي جزء من أجزائه أمسّ من الآخر ، فلا جزء ولا جزيء في الكون إلّا وهو خاضع له ، في وجوده ، وفي نشوئه وبقائه ، وقد أعرب عنه سبحانه بقوله : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيءٍ حَيٍّ ﴾[1] .

وإليه استند ابن عباس في حلّ لغز ملك الروم ، فإنّه وجّه إلىٰ معاوية قارورة يطلب منه أن يضع فيها من كُلّ شيء ، فتحيّر معاوية واستعان بابن عباس في كشف الرمز ، لعلمه بأنّه يستقي من بحر أمير المؤمنين عليه السلام المتموّج بالحكم والأسرار ، فقال ابن عباس : «لتملأ له ماء ، فإنّ اللّه يقول ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيءٍ حَيٍّ ﴾ ، فأدهش ملك الروم وتعجّب وقال : للّه أبوه ما أدهاه»[2] .

فلا يخالج اليقين بأهمّيته الكبرىٰ في دور الحياة أي شكّ .

وإن من يكون معروفه الذي تندى به أنامله ، وتسوقه إليه جبلته ، هذه المادة الحيوية ، لعلىٰ جانب ممنع من الفضل ، وقد عرقت فيه شائج الرقة ، وتحلّىٰ بغريزة العطف ، ونبض فيه عرق الحنان ، ولا يكون إسداء مثله إلّا عن لين ورأفة علىٰ الوجود ، وإن

---

(١) الأنبياء : ٣٠ .

(٢) الكامل للمبرد ١ : ٣٠٨ ، والعبارة فيها تقديم وتأخير .

تفاوتت المراتب بالنسبة إلىٰ الموجدات الشريفة وما دونها ، ولا يعدو الشرف والشهامة هذا المتفضّل بسرّ الحياة ، فهو شريف يحب الإبقاء علىٰ مثله ، أو عطوف لا يجد علىٰ الاغاثة منه ، ولا علىٰ قدرته في الإعانة لسائر الموجودات جهداً ولا عطباً .

وإذا كانت الشريعة المطهّرة حثّت علىٰ السقاية ذلك الحثّ المتأكد ، فإنّما تلت علىٰ الناس أسطراً نوريّة ، ممّا جبلوا عليه ، وعرفت الأُمة بأنّ الدين يطابق تلك النفسيات البشرية والغرائز الطبيعية ، وأرشدتهم إلىٰ ما يكون من الثواب المترتّب علىٰ سقي الماء في الدار الآخرة ، ليكونوا علىٰ يقين من أنّ عملهم هذا موافق لرضوان اللّه وزلفىٰ للمولّىٰ سبحانه ، يستتبع الأجر الجزيل ، وليس هو طبيعي محضّ .

وهذا ما جاء عن النّبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته المعصومين عليهم السلام ، من فضل بذل الماء في محلّ الحاجة إليه وعدمها ، كان المحتاج إليه حيواناً ، أو بشراً ، مؤمناً كان ، أو كافراً .

ففي حديث النّبي صلى الله عليه وآله : أفضل الأعمال عند اللّه أبراد الكبد الحرىٰ من بهيمة وغيرها[١] ، ولو كان علىٰ الماء ، فإنّه يوجب تناثر الذنوب كما تنتثر الورق من الشجر[٢] ، وأعطاه اللّه بكُلّ قطرة يبذلها قنطاراً في الجنّة ، وسقاه من الرحيق المختوم ، وإن كان في فلاة من الأرض ورد حياض القدّس مع النبيّين[٣] .

وسأله رجل عن عمل يقرّبه من الجنّة فقال : «اشتر سقاء جديداً

(١) بحار الأنوار ٧١ : ٣٦٩ .
(٢) تذكرة الموضوعات للفتني : ١٤٧ .
(٣) مستدرك الوسائل للنوري ٧ : ٢٥٣ .

ثُمّ اسق فيه حتّىٰ تخرقه ، فإنّك لا تخرقه حتّىٰ تبلغ به عمل الجنّة »[١] .

وقال الصادق عليه‌السلام : « من سقىٰ الماء في موضع يوجد فيه الماء كان كمن أعتق رقبة ، ومن سقىٰ الماء في موضع لا يوجد فيه الماء كان كمن أحيىٰ نفساً ، ومن أحيىٰ نفساً فكأنّما أحيىٰ الناس أجمعين »[٢] .

وقد دلّت هذه الآثار علىٰ فائدة السقي بما هو حياة العالم ونظام الوجود ، ومن هنا كان الناس فيه شرع سواء كالكلاء والنار ، فلا يختصّ اللطف منه جلّ وعلا بطائفة دون طائفة .

وقد كشف الإمام الصادق عليه‌السلام السرّ في جواب من قال له : ما طعم الماء؟ فقال عليه‌السلام : « طعم الحياة »[٣] .

فالسقاية أشرف شيء في الشريعة المطهّرة ، تلك أهميتها عند الحقيقة ، ومكانتها من النفوس ، ولهذه الأهمية ضرب المثل « بكعب بن مامة الأيادي »[٤] .

وأضحت السقاية العامة لا ينوء بعبئها إلّا من حلّ وسطاً من السؤدد والشرف وأعالي الأُمم لاساقتها ، ولذا أذعنت قريش لقصي بسقاية الحاج ، فكان يطرح الزبيب في الماء ويسقيهم الماء المُحلّى كما كان يسقيهم اللبن[٥] .

---

(١) الأمالي للشيخ الطوسي : ٣١٠ ، الكافي للكليني ٤ : ٥٧ ، ح٣ ، من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق ٢ : ٦٤ .

(٢) المعجم الكبير للطبراني ١٢ : ٨٢ ، مجمع الزوائد للهيثمي ٣ : ١٣٢ .

(٣) الكافي ٦ : ٣٨١ ، ح٧ ، مناقب آل أبي طالب ٢ : ٢٠٣ .

(٤) الأعلام للزركلي ٥ : ٢٢٩ ، معجم البلدان للحموي ٣ : ٢٦٦ .

(٥) السيرة الحلبية ١ : ٢١ .

وكان ينقل الماء إلىٰ مكة من آبار خارجها ، ثُمّ حفر بئراً اسمها (العجول) في الموضع الذي كانت دار أُم هاني فيه ، وهي أوّل سقاية حفرت بمكة ، وكانت العرب إذا استقوا منها ارتجزوا :

نروي علىٰ العجول ثُمّ نَنطلق   إنّ قصياً قد وفىٰ وقد صدق[1]

ثُمّ حفر قصي بئراً سمّاها (سجلة) وقال فيها[2] :

أنا قُصّي وحَفرتُ سِجلة   تروي الحجيج زغلة فزغلة

وكان هاشم أيام الموسم يجعل حياضاً من آدم في موضع زمزم لسقاية الحاج ويحمل الماء إلىٰ منىٰ لسقايتهم ، وهو يومئذ قليل[3] .

ثُمّ إنّه حفر بئراً سمّاها (البندر)[4] وقال : «إنّها بلاغ للناس فلا يمنع منها أحداً»[5] .

وأمّا عبد المطلب فقد قام بما كان آباؤه يفعلونه من سقاية الحاج ، وزاد علىٰ ذلك أنّه لمّا حفر زمزم وكثر ماؤها أباحها للناس ، فتركوا الآبار التي كانت خارج مكة ، لمكانها من المسجد الحرام ، وفضلها علىٰ من سواها لأنها بئر إسماعيل[6] ، وبنىٰ عليها حوضاً ، فكان هو وابنه الحرث ينزعان الماء ويملأن الحوض ، فحسدته

---

(١) معجم البلدان ٤ : ٨٨ ، فتوح البلدان للبلاذري ١ : ٥٦ ، سبل الهدىٰ والرشاد ١ : ٢٧٥ .

(٢) معجم ما استعجم للأندلسي ٣ : ٧٢٤ .

(٣) السيرة الحلبية ١ : ٢٢ .

(٤) معجم البلدان ١ : ٣٦١ ، تاج العروس ٦ : ٦٨ وقال : «قالوا : هو من التبذير وهو التفريق ، فلعل ماءها كان يخرج متفرقاً من غير مكان واحد ..» .

(٥) في معجم البلدان ١ : ٣٦١ ، ومعجم ما استعجم ١ : ٢٣٥ : «وقال حين حفرها : انبطت بذراً بماء قلاس جعلت ماءها بلاغاً للناس .

(٦) تاريخ الطبري ٢ : ١٢ ، تاريخ ابن الأثير ٢ : ١٢ ، سيرة ابن إسحاق : ٥ ، السيرة الحلبية ١ : ٥١ .

قريش علىٰ ذلك ، وعمدوا إلىٰ الحوض بالليل فكسروه ، فكان عبد المطلب يصلحه بالنهار وهم يكسرونه بالليل ، فلمّا أكثروا عليه إفساده دعا عبد المطلب ربّه سبحانه وتعالىٰ ، فرأىٰ في المنام قائلاً يقول : « قل لقريش إنّي لا أحلّها لمغتسل ، وهي لشارب حلّ وبل » ، فنادىٰ في المسجد بما رأىٰ ، فلم يفسد أحد من قريش حوضه إلّا رمي بداء بجسده حتّى تركوا حوضه وسقايته[1] ، وفي ذلك يقول خويلد بن أسد[2] :

أقولُ ومَا قَولِي عَليهمُ بسبّةٍ ... إليكَ ابنُ سَلمَى أنتَ حَافِرُ زَمزَمُ

حَفيرةُ إبراهِيمَ يَومَ ابنِ هَاجَرٍ ... وَركضَةِ جِبرِيلٍ عَلىٰ عَهدِ آدَمِ

ولمّا وافق قريشاً علىٰ المحاكمة عند كاهنة بني سعد بن هذيم ، وكان بمشارف الشام ، وسار عبد المطلب بمن معه من قومه ، حيث إذا كانوا بمفازة لا ماء فيها ونفد ماؤهم استسقوا ممّن كان معهم من قريش ، فأبوا أن يسقوهم ، حفظاً علىٰ الماء ، فأمر عبد المطلب أصحابه أن يحفروا قبوراً لهم ويدفن من يموت منهم عطشاً في حفرته ويبقى واحد ، فضيعة واحد أيسر من ضيعة جماعة ، وبعد أن فرغوا من الحفر قال عبد المطلب : «إنّ هذا منّا لعجز ، لنضربنّ في الأرض عسى اللّه أن يرزقنا ماءً ، فركب راحلته ، فلمّا انبعث نبع من تحت خفها ماء عذب ، فكبّر عبد المطلب ، وشرب أصحابه وملؤوا أسقيتهم ، ودعا قريشاً أن يستقوا من الماء ، فأكثروا منه ، ثُمّ قالوا :

---

(١) المصنّف للصنعاني ٥ : ١١٤ ، تاريخ اليعقوبي ١ : ٢٤٧ ، تاريخ ابن خلدون ٢ : ٣٣٨ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٥ : ٢١٦ ، السيرة النبوية لابن كثير ١ : ١٧٣ ، السيرة الحلبية ١ : ٥٧ .

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٥ : ٢١٧ ، معجم البلدان للحموي ٣ : ١٤٩ ، سبل الهدىٰ والرشاد للصالحي الشامي ١ : ١٩١ .

إنّ اللّه قد قضىٰ لك علينا ولا نخاصمك في زمزم ، إنّ الذي سقاك في هذه الفلاة هو الذي سقاك زمزم ، فارجع راشداً .

وزاد عبد المطلب في سقاية الحاج بالماء أن طرح الزبيب فيه ، وكان يحلب الإبل ، فيضع اللبن مع العسل في حوض من ادم عند زمزم ، لسقاية الحاج »[١] .

ثُمّ قام أبو طالب مقامه بسقي الحاج[٢] ، وكان يجعل عند رأس كُلِّ جادة حوضاً فيه الماء ليستقي منه الحاج ، وأكثر من حمل الماء أيام الموسم ، ووفّره في المشاعر فقيل له : (ساقي الحجيج) .

أمّا أمير المؤمنين فقد حوىٰ أكثر ممّا حواه والده الكريم من هذه المكرمة ، وكم له من موارد للسقاية لا يستطيع أحد علىٰ مثلها ، وذلك يوم بدر ، وقد أجهد المسلمين العطش ، وأحجموا عن امتثال أمر الرسول صلى الله عليه وآله في طلب الماء ، فرقاً من قريش ، لكن نهضت بأبي الريحانتين غيرته الشماء ، وثار به كرمه المتدفق ، فلبّىٰ دعاء الرسول ، وانحدر نحو القليب ، وجاء بالماء حتّى أروىٰ المسلمين[٣] .

ولا ينسىٰ يوم صفين وقد شاهد من عدوه ما تندىٰ منه جبهة كُلِّ غيور ، فإنّ معاوية لمّا نزل بجيشه علىٰ الفرات منع أهل العراق من الماء ، حتّى كضهم الضمأ ، فأنفذ إليه أمير المؤمنين صعصعة بن صوحان وشبث بن ربعي ، يسألانه أن لا يمنع الماء الذي أباحه اللّه

---

(١) السيرة الحلبية ١ : ٥٥ ، السيرة النبوية لابن هشام ١ : ٩٤ ، السيرة النبوية لابن كثير ١ : ١٦٩ ، سبل الهدىٰ والرشاد للصالحي الشامي ١ : ١٨٩ ، الكامل في التاريخ ٢ : ١٣ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٥ : ٢٢٩ .
(٢) السيرة الحلبية ٣ : ٥٢ .
(٣) مناقب آل أبي طالب لابن شهراشوب ٢ : ٨٠ .

تعالىٰ لجميع المخلوقات، وكُلّهم فيه شرع سواء، فأبىٰ معاوية إلّا التردي في الغواية والجهل، فعندها قال أمير المؤمنين: «ارووا السيوف من الدماء ترووا من الماء»[١]، ثُمّ أمر أصحابه أن يحملوا علىٰ أهل الشام حملة واحدة، فحمل الأشتر والأشعث في سبعة عشر ألفاً والأشتر يقول:

مِيعَادُنَا اليَومَ بَياضُ الصُبْحِ هَل يَصلُحُ الزَادُ بِغَيرِ مِلحِ؟

والأشعث يقول:

لأورِدنّ خَـيلِي الفُـرَاتَا شِعثَ النَواصِي أو يُقَالَ مَاتَا

فلمّا أجلوهم أهل العراق عن الفرات ونزلوا عليه وملكوه، أبىٰ صاحب النفسية المقدّسة التي لا تعدوها أي مأثرة، أن يسير علىٰ نهج عدوه، حتّى أباح الماء لأعدائه، ونادىٰ بذلك في أصحابه[٢]، ولم يدعه كرم النفس أن يرتكب ما هو من سياسة الحرب من التضييق علىٰ العدوّ بأيّ صورة.

هذه جملة من موارد السقاية الصادرة من شرفاء سادة، متبوّئين علىٰ منصّات المجد والخطر، متكئين علىٰ أرائك العزّ والمنعة، وما كانت تدعهم دماثة أخلاقهم، وطهارة أعراقهم، أن يكونوا أخلوا من هذه المكرمة، وقد افتخر بذلك عبد مناف علىٰ غيرهم.

وأنت إذا استشففت الخصوصيات المكتنفة بكُلٍّ منها، فإنّ الصراحة لا تدعك إلّا أن تقول بتفاوت المراتب فيها من ناحية الفضيلة.

كما لا تجد منتدحاً عن تفضيل الحسين علىٰ غيره يوم سقى

---

(١) مناقب آل أبي طالب ٢: ٣٥١.

(٢) المعيار والموازنة للاسكافي: ١٤٦، الفتوح لابن أعثم الكوفي ٣: ٥.

الحر وأصحابه في «شراف»[١]، وهو عالم بحراجة الموقف، ونفاذ الماء بسقي كتيبة فيها ألف رجل مع خيولهم، ووخامة المستقبل، وإنّ الماء غداً دونه تسيل النفوس، وتشق المرائر، لكن العنصر النبوّي، والأصرة العلوية لم يتركا صاحبهما إلّا أن يحوز الفضل.

وأني أحسب أنّ ما ناء به أبو الفضل عليه السلام في أمر السقاية لا يوازنه شيء من ذلك، يوم ناطح جبالاً من الحديد ببأسه الشديد، حتّىٰ اخترق الصفوف، وزعزع هاتيك الألوف، وليس له هَمّ في ذلك المأزق الحرج إلّا إغاثة شخصيّة الرسالة، المنتشرة في تلك الأمثال القدّسية من الذرية الطيّبة، ولم تقثعه هذه الفضيلة حتّىٰ أبت نفسيته الكريمة أن يلتذّ بشيء من الماء قبل أن يلتذّ به أخوه الإمام وصبيته الأزكياء.

هنالك حداه إيمانه المشفوع باليقين، وحنانه المرتبط بالكرم إلىٰ أن ينكفىٰء إلىٰ المخيّم ولا يحمل إلّا مزادة من ماء، يدافع عنها بصارمه الذكر، ويزينه المثقف ولواء الحمد يرفّ علىٰ رأسه، غير أنّ ما يحمله هو أنفس عنده من نفسه الكريمة، بلحاظ ما يريده من المحافظة علىٰ تلك المزادة الملأىٰ.

وراقه أن تكون هي الذخيرة الثمينة، مشفوعة بما هو أعظم عند اللّه تعالىٰ، فسمح بيمينه وشماله ـ وكلتاهما يمن ـ أن تقطعا بعين اللّه، في كلاءة ما يتهالك دونه، لينال الأُمنيّة قبل المنيّة، وما خارت عزيمة العبّاس عليه السلام إلّا حين أحبّ أن لو كانت المراقة نفسه لا

---

(١) موضع، وقيل: ماء لبني أسد. راجع لسان العرب ٩: ١٧٤، ويذكر المؤرّخون ـ كالطبري ٤: ٣٠٢، وابن الأثير في الكامل ٤: ٤٦ وغيرها ـ أنّه التقىٰ مع جيش الحرّ بعد الخروج من (شراف).

القربة. فيا أبعد اللّه سهماً أسال ماءها، ولم يكن «سعد العشيرة» طالباً للحياة بعده لو لم يأته العمود الطائش، ألا لعنة اللّه علىٰ الظالمين.

ومن أجل مجيئه بالماء إلىٰ عيال أخيه وصحبه في الأيام العشرة سُمّي «السقا»، نصّ عليه أبو الحسن في المجدي، والداودي في عمّدة الثالب، وابن إدريس في مزار السرائر، وأبو الحسن الديار البكري في تاريخ الخميس ج٢ ص٣١٧، والنويري في نهاية الأرب ج٢ ص٣٤١، والشبلنجي في نور الأبصار ص٩٣، والعلّامة الحجة محمّد باقر القايني في الكبريت الأحمر ج٢ ص٣٤[1].

ولصاحب هذا اللقب فيوضات علىٰ الأُمة لا تحد، وبركات لا تحصر:

هو البَحرُ مِن أيِّ النَواحِي أتَيتَهُ　　فلجتُهُ المَعرُوفِ والجُودِ سَاحِله

ومن ذلك ما ذكره العلّامة السند السيّد محمّد بن آية اللّه السيّد مهدي القزويني ﷺ في كتاب «طروس الإنشاء» قال:

«في سنة ١٣٠٦ هـ انقطع نهر الحسينية، وعاد أهل كربلاء يقاسون شحّة الماء، وكضّة الظمأ، فأمرت الحكومة العثمانية بحفر نهر في أراضي السيّد النقيب السيّد سلمان، فمنع النقيب ذلك، واتفق أن زرت كربلاء، فطلب أهلها أن أكتب إلىٰ النقيب، فكتبت إليه ما يشجيه، وعلىٰ حالهم يبكيه:

(١) عمدة الطالب لابن عنبة: ٣٥٦، مقاتل الطالبيين: ٥٥، الأنوار العلوية للنقدي: ٤٤١، السرائر ١: ٦٥٦.

في كَربلا لَك عُـصبةٌ تَشكُـوا الظَـمَا

مِـــن فَــيضِ كَــفُّكَ تســتمِدُ رَوُاءهَــا

وأراكَ يَــا سَـــاقِي عُــطَاشَىٰ كَـربَلا

وأبوُكَ سَاقِي الحَوضَ تَمنعُ مَاءَها[1]

فأجاز النقيب حفر النهر ، وانتفع أهل كرلاء ببركة هذا اللقب الشريف (السقا) .

---

(١) نقل جزء من القصة السيّد محسن الأمين في أعيان الشيعة ١٠ : ٧٢ .

نشأته

ممّا لا شكّ فيه أنّ لنفسيات الآباء ونزعاتهم وكمياتهم من العلم والخطر أو الانحطاط والضعة دخلاً تاماً في نشأة الأولاد وتربيتهم ، إنّ لم نقل إنّ مقتضاهما هو العامل الوحيد في تكيّف نفسيات الناشئة ، بكيفيات فاضلة أو رذيلة ، فلا يكاد يرتأي صاحب أي خطة إلّا أن يكون خلفه علىٰ خطته ، ولا أن الخلف يتحرّىٰ غير ما وجد عليه سلفه ، ولذلك تجد في الغالب مشاكلة بين الجيل الأول والثاني في العادات والأهواء والمعارف والعلوم ، اللهمّ إلّا أن يوسد هناك تطوّر يكبح ذلك الاقتضاء .

وعلىٰ هذا الناموس يسعنا أن نعرف مقدار ما عليه أبو الفضل عليه السلام من العلم والمعرفة وحسن التربية بنشوئه في البيت العلوي ، منبثق أنوار العلم ، ومحط أسرار اللاهوت ، ومختبأ نواميس الغيب ، فهو بيّت العلم والعمل ، بيت الجهاد والورع ، بيت المعرفة والإيمان :

بَيّتٌ عَلَا سَمكُ الضِراحُ رِفعَةً ... فَكانَ أعَلَا شَرفَاً وأمَنعَا
أعزَهُ اللّهُ فَما تَهبِطُ فِي ... كَعبَتِهِ الأملاكُ إلّا خَضعَاً
بَيّتٌ مِن القدْس ونَاهِيك بِهِ ... مَحطُ أسرارِ الهُدىٰ ومَوضِعَا
وكَان مأوىٰ المُرتَجي والمُلتَجىٰ ... فَما أعزّ شَأنهُ وأرفَعَا[1]

وبسيف صاحب هذا البيت المنيع انجلت غواشي الإلحاد ،

---

(١) من قصيدة للعلّامة السيّد محمّد حسين الكيشوان رحمه الله .

وببيانه تقشّعت غيوم الشبّه والأوهام .

إذن ، فطبع الحال يدلّنا علىٰ أنّ سيّد الأوصياء لم يبغِ بابنه بدلاً في حسن التربية الإلهية ، ولا أنّ شظية الخلافة يروقه غير اقتصاص أثر أبيه الأقدّس ، فلك هاهنا أن تحدّث عن بقيّة أمير المؤمنين في أيّ ناحية من نواحي الفضيلة ، ولا حرج .

لم تكن كُلّ البصائر في أبي الفضل عليه السلام اكتسابية ، بل كان مجتبلاً من طينة القدّاسة التي مزيجها النور الإلهي ، حتّى تكونت في صُلّب من هو مثال الحقّ ، ذلك الذي لو كشف عنه الغطاء ما ازداد يقيناً ، فلم يصل أبو الفضل عليه السلام إلىٰ عالم الوجود إلّا وهو معدن الذكاء والفطنة ، وأُذن واعية للمعارف الإلهية ، ومادة قابلة لصور الفضائل كُلّها ، فاحتضنه حجر العلم والعمل ، حجر اليقين والإيمان ، وعادت أرومته الطيّبة هيكلاً للتوحيد ، يغذّيه أبوه بالمعرفة ، فتشرق عليه أنوار الملكوت ، وأسرار اللاهوت ، وتهب عليه نسمات الغيب ، فيستنشق منها الحقائق .

دعاه أبوه عليه السلام في عهد الصبا وأجلسه في حجره وقال له :

« قل واحد! فقال : واحد ، فقال له : قل إثنين! قال : استحي أن أقول إثنين باللسان قلت واحداً إثنان »[١] .

وإذا أمعنّا النظر في هذه الكلمة ـ وهو علىٰ عهد نعومة من أظفاره في حين أنّ نظراءه في ألسن لا يبلغون إلىٰ ما هو دون ذلك الشأو البعيد ـ فلا نجد بدأ من البخوع بأنّها من أشعة تلك الإشراقات الإلهية ، فما ظنّك إذن حينما يلتقي مع المبادئ الفيّاضة من أبيه سيّد الوصيين ، وأخويه الإمامين سيّدي شباب أهل الجنّة ، فلا يقتني من

---

(١) مستدرك الوسائل ١٥ : ٢١٥ ، مقتل الحسين للخوارزمي ١ : ١٧٩ .

خزائن معارفهم إلّا كُلّ دُرّ ثمين، ودرّي لامع.

وغير خفيّ ما أراده سيّدنا العبّاس، فإنّه أشار إلىٰ أنّ الوحدانية لا تليق إلّا بفاطر السموات والأرضين، ويجلّ مثله المتفرّع من دوح الإمامة أن يجري علىٰ لسانه الناطق بالوحدانية لباري الأشياء صفة تنزّه عنها سبحانه وتعالىٰ وعنها ينطق كتابه المجيد: **﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾**(١).

وممّا زاد في سرور أبيه أمير المؤمنين أنّ زينب العقيلة كانت حاضرة حينذاك وهي صغيرة فقالت لأبيها أتحبّنا؟ قال: بلى، فقالت: لا يجتمع حبّان في قلب مؤمن: حبّ اللّه، وحبّ الأولاد، وإن كان ولا بدّ فالحبّ للّه تعالىٰ والشفقة للأولاد، فأعجبه كلامها وزاد في حُبّه وعطفه عليهما(٢).

أمّا العلم؛ فهو رضيع لبانه، وناهيك في حجر أبيه مدرسة يتخرّج منها مثل أبي الفضل عليه السلام! وما ظنّك بهذا التلميذ المصاغ من جوهر الاستعداد، وذلك الأُستاذ الذي هو عيّبة العلم الإلهي، وعلبة أسرار النبوّة، وهو المقيّض لنشر المعارف الربوبية، وتعلم الأخلاق الفاضلة، ونشر أحكام الإسلام، ودحض الأوهام والوساوس.

وإذا كان الإمام عليه السلام يُربّي البعداء الأجانب بتلك التربية الصحيحة المأثورة، حتّىٰ استفادوا منه آسار التكوين، ووقفوا علىٰ غامض ما في النشأتين، وكان عندهم بواسطة تلك التربية علم المنايا والبلايا، كحبيب بن مظاهر، وميثم التمّار، ورشيد الهجري، وكميل بن زياد، وأمثالهم؛ فهل من المعقول أن يذر قرّة عينه، وفلذة كبده خلواً من

---

(١) الأنبياء: ٢٢.

(٢) مقتل الحسين للخوارزمي ١: ١٧٩؛ باختلاف الألفاظ، وفي مستدرك الوسائل ١٥: ٢١٥ قال: «وقيل: بل القائل الحسين عليه السلام».

أي علم؟!

أو أن قابلية المحلّ تربىٰ بأولئك الأفراد دون سيّدنا العبّاس عليه السلام؟

لا واللّه ، ما كان سيّد الأوصياء يضنّ بشيء من علومه ، لا سيّما علىٰ قطعة فؤاده ، ولا أنّ غيره ممّن انضوىٰ إلىٰ أبيه علم الهداية يشقّ له غباراً في القابلية والاستعداد .

فهنالك التقىٰ مبدأ فيّاض ، ومحلّ قابل للإفاضة ، وقد ارتفعت عامّة الموانع ، فذلك برهان علىٰ أنّ «عباس اليقين» من أوعيّة العلم ، ومن الراسخّين فيه .

ثُمَّ هلمّ معي إلىٰ جامعتين للعلوم الإلهية ، ملازمتين للجامعة الأُولى في نشر المعارف ، وتفيضهما لإفاضة التعاليم الحقّة لكُلِّ تلميذ ، والرقي به إلىٰ أوج العظمة في العلم والعمل ، ألا وهما «كليّتا» السبطين الحسن والحسين عليهما السلام . وانظر إلىٰ ملازمته لأخويه بعد أبيه سيّد الأوصياء ، ملازمة الظلّ لديه ، فهناك يتجلّىٰ لكَ أنّ سماء علمهما لم تهطل وبالاً إلّا وعاد لؤلؤاً رطباً في نفسه ، ولا أنفقا شيئاً من ذلك الكنز الخالد إلّا واتخذه ثروة علميّة لا تنفد .

أضف إلىٰ ذلك ما كان يرويه عن عقيلة بيت الوحي ، زينب الكبرىٰ ، وهي العالمة غير المعلّمة بنصّ الإمام زين العابدين[1] .

وبعد هذا كُلِّه ، فقد حوىٰ أبو الفضل من صفاء النفس ، والجبلّة الطيّبة ، والعنصر الزاكي ، والإخلاص في العمل ، والدؤوب علىٰ العبادة ؛ ما يفتح له أبواباً من العلم ، ويوقفه علىٰ كنوز المعرفة ، فيتفرّع من كُلِّ أصل فرع ، وتنحلّ عنده المشكلات .

---

(١) الاحتجاج للطبرسي ٢ : ٣١ .

وإذا كان الحديث ينصّ علىٰ أنّ مَن أخلص للّه أربعين صباحاً انفجرت ينابيع الحكمة من قلبه علىٰ لسانه، إذن فما ظَنّك بمن أخلص للّه سبحانه طيلة عمره، وهو متخلّ عن كُلّ رذيلة، ومتحلّ بكُلّ فضيلة، فهل يبقىٰ إلّا أن تكون ذاته المقدّسة متجلّية بأنوار العلوم والفضائل، وإلّا أن يكون علمه تحقّقاً لا تعلّقاً؟!

وبعد ذلك فما أوشك أن يكون علمه وجدانياً، وإن برع في البرهنة وتنسيق القياس، ومن هنا جاء المأثور عن المعصومين عليهم السلام: «إنّ العبّاس بن علي زُقَّ العِلمُ زقاً»[1].

وهذا من أبدع التشبيه والاستعارة، فإنّ الزقّ يستعمل في تغذية الطائر فرخه حين لم يقوِ علىٰ الغذاء بنفسه، وحيث استعمل الإمام عليه السلام ـ وهو العارف بأساليب الكلام ـ هذه اللفظة هنا، نعرف أنّ أبا الفضل عليه السلام كان محلّ القابلية لتلقي العلوم والمعارف، منذ كان طفلاً ورضيعاً، كما هو كذلك بلا ريب.

فلم يكن أبو الفضل بِدْعَاً من أهل هذا البيت الطّاهر الذي حوى العلم المتدفّق منذ الصغر، كما شهد بذلك أعداؤهم، ففي الحديث عن الصادق عليه السلام:

أنّ رجلاً مرّ بعثمان بن عفان وهو قاعد علىٰ باب المسجد، فسأله، فأمر له بخمسة دراهم، فقال له الرجل: أرشدني، قال عثمان: دونك الفتية الذين تراهم، وأومأ بيده إلىٰ ناحية من المسجد فيها الحسن والحسين وعبد اللّه بن جعفر، فمضىٰ الرجل نحوهم وسألهم، فقال له الحسن: يا هذا، المسألة لا تحلّ إلّا في ثلاث: دم مفجع، أو دين مقرح، أو فقر مدقع، أيّتها تسأل؟ فقال: في واحدة

---

(١) أسرار الشهادة: ٣٢٤.

من هذه الثلاث ، فأمر له الحسن بخمسين ديناراً ، والحسين بتسعة وأربعين ديناراً ، وعبد اللّه بن جعفر بثمانية وأربعين ، فانصرف الرجل ومرّ بعثمان ، فحكىٰ له القصّة وما أعطوه ، فقال له : ومَن لك بمثل هؤلاء الفتية ، أولئك فطموا العلم فطماً ، وحازوا الخير والحكمة .

قال الصدوق بعد الخبر : «معنىٰ (فطموا العلم) : أي قطعوه عن غيرهم وجمعوه لأنفسهم»[1] .

وجاء في الأثر : أنّ يزيد بن معاوية قال في حقّ السجاد : «إنّه من أهل بيت زقوا العلم زقاً» .

ومن أجل ذلك قال العلّامة المحقّق الفقيه المولىٰ محمّد باقر ابن المولىٰ محمّد حسن ابن المولىٰ أسد اللّه ابن الحاج عبد اللّه ابن الحاج علي محمّد القائني ، نزيل برجند ، في كتاب الكبريت الأحمر ج٣ ص٤٥ : «إنّ العبّاس من أكابر وأفاضل فقهاء أهل البيت ، بل إنّه عالم غير متعلّم ، وليس في ذلك منافاة ، لتعليم أبيه عليه السلام إياه» .

وكان هذا الشيخ الجليل ثبتاً في النقل ، منقّباً في الحديث ، يشهد بذلك كبريته ، تتلمذ رحمه الله في العراق علىٰ الفاضل الإيرواني ، وميرزا حبيب اللّه الرشتي ، والسيّد الشيرازي ، وفي خراسان علىٰ السيّد مرتضى القائني ، والعلّامة محمّد تقي البجنردي ، وكان له أربعة وثلاثون مؤلفاً .

ومن مستطرف الأحاديث ما حدّثني به الشيخ العلّامة ميرزا محمّد علي الأُردبادي ، عن حجّة الإسلام السيّد ميرزا عبد الهادي آل سيّد الأُمة الميرزا الشيرازي قدس سره ، عن العالم البارع السيّد ميرزا عبد الحميد البجنردي ، أنّه شاهد في كربلاء المشرّفة رجلاً من الأفاضل

---

(١) الخصال : ١٣٥ باختلاف في بعض الألفاظ .

قد اغترّ بعلمه، وبلغ من غلوائه في ذلك أنّه كان في منتدىٰ من أصحابه وجرىٰ ذكر أبي الفضل، وما حمله من المعارف، الإلهية التي امتاز بها علىٰ سائر الشهداء، فصارح الرجل بأفضليته علىٰ العبّاس! واستغرب من حضر هذه الجرأة، وانكروا عليه، ولا موه علىٰ هذه البادرة، فطفق الرجل يبرهن علىٰ تهيئته بتعداد مآثره وعلومه، وما ينوء به من تهجّد وتنفل وزهادة، وقال: إن كان أبو الفضل العبّاس يفضل بأمثال هذه فعنده مثلها، والشهادة يوم الطفّ لا تقابل ما تحمله من العلوم الدينية وأُصولها ونواميسها.

فقام الجماعة من المجلس والرجل علىٰ ذلك الغرور والغلواء، غير نادم ولا متهيب.

ولمّا أصبحوا لم يكن لهم هَمّ إلّا معرفة خبر الرجل، وأنّه هل بقي علىٰ غيّه أو أنّ الهداية الإلهية شملته؟ فقصدوا داره وطرقوا الباب، فقيل لهم: إنّ الرجل في حرم العبّاس، فتوجّهوا إليه ليستبروا خبره، فإذا الرجل قد ربط نفسه في الضريح الأقدّس بحبل شدّ طرفه بعنقه والآخر بالضريح، وهو تائب نادم ممّا فرط.

فسألوه عن شأنه وخبره؟ فقال: لمّا نمت البارحة، وأنا علىٰ الحال الذي فارقتكم عليه، رأيت نفسي في مجتمع من أهل الفضل، وإذا رجل دخل النادي وهو يقول: إنّ أبا الفضل قادم عليكم، فأخذ ذكره من القلوب مأخذاً حتّىٰ دخل ﷺ والنور الإلهي يسطع من أسارير جبهته، والجمال العلوي يزهو في محيّاه، فاستقرّ علىٰ كرسي في صدر النادي، والحضور كُلّهم خاضعون لجلالته، وخصتني من بينهم رهبة عظيمة، وفرق مقلق، لما أتذكّره من تفريطي في جنّب ولي اللّه، فطفق ﷺ يحيّي أهل النادي واحداً

واحداً حتّى وصلت النوبة إليّ .

ثُمّ قال لي : ماذا تقول أنت؟ فكاد أن يرتجّ عليّ القول ، ثُمّ راجعت نفسي وقلت : في المصارحة منتدحاً عن الارتباك وفوزاً بالحقيقة ، فأنهيت إليه ما ذكرته لكم بالأمس من البرهنة .

فقال عليه السلام : أمّا أنا فقد درست عند أبي أمير المؤمنين وأخوي الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام ، وأنا علىٰ يقينٍ من ديني بما تلقّيته من مشيختي من الحقائق ونواميس الإسلام ، وأنت شاكّ في دينك ، شاك في إمامك ، أليس الأمر هكذا؟ فلم يسعني إنكار ما يقوله .

ثُمّ قال عليه السلام : وأمّا شيخك الذي قرأت عليه ، وأخذت منه فهو أتعس منك حالاً ، وما عسىٰ أن يكون عندك من أُصول وقواعد مضروبة للجاهل بالأحكام ، يعمل بها إذا أعوزه الوصول إلىٰ الواقع ، وإنّي غير محتاج إليها ، لمعرفتي بواقع الأحكام من مصدر الوحي الإلهي .

ثُمّ قال عليه السلام : وفيّ نفسيات كريمة ، وأخذ يعددها : من كرم ، وصبر ، ومواساة ، وجهاد إلىٰ غيرها ، ولو قسّمت علىٰ جميعكم لما أمكنك حمل شيء منها .

علىٰ أنّ فيك ملكات رذيلة من حسد ، ومراء ، ورياء ، ثُمّ ضرب بيده الشريفة علىٰ فمّ الرجل ، فانتبه فزعاً نادماً ، معترفاً بالتقصير ، ولم يجد منتدحاً إلّا بالتوسل بهِ ، والإنابة إليه ، صلوات اللّه عليه وعلىٰ آبائه .

اليقين

لقد كان أبو الفضل عليه السلام أحد الأفذاذ العلويين الذين لم تكن المفاخر مزايا زائدة علىٰ ذاتّياتهم وإن مدحوا بآثارها ؛ لأنهم زبد المخض ، حازوا شرف النبوّة ، وفضيلة الخلافة ، تتنضد بهم حمل العلم ، وتعتدل موازين العمل ، وتترنّح بهم صهوات المنابر .

فكان سلام اللّه عليه متربّعاً علىٰ منصّة المجد ، ومِلْءُ الندي هيبة ، ومِلْءُ العيون بهجة ، ومِلْءُ المسامع ذكره الجميل ، ومِلْءُ القلوب محبة ، وحشو اهابه علم وعمل ، وحشو الردىٰ سؤدد وشرف .

وإن الإحاطة بما حواه من اليقين الثابت والبصيرة النافذة بأحد طريقين!

الأوّل : سبر أحواله ، ومواقع إقدامه وإحجامه ، ومواضع بطشه وإناته ، وموارد صفحه وانتقامه . ولا بدّ أن يكون المنقّب عند ذلك مميزاً بين مدراج الرأي ومساقط الخطل ، بصيراً بمراقي الحلم ومهاوي البطش .

والثاني : إخبار مَن وقف علىٰ ذلك ، بمباشرة وافية ، وعلم متسع ، تم شكله وظهر إنتاجه ، أو تعليم إلهي ، أو أخذ عمّن له صلة بذلك التعليم .

وغير خفي أنّ قمر بني هاشم ملتقى ذينك الطرفين، في البصيرة واليقين، في دينه وعقله، في معارفه وأخلاقه، في حلّه وارتحاله، وكان ينظر إلىٰ جملة الأحوال بين البصيرة التي تخرق الحجب وتبصر ما وراءها من أسرار وخبايا، لا بناظر البصر الذي تحجبه الحواجز، وتمنعه السدول، فيرد عن الإدراك خاسئاً، فلا يكون أمر تهالك دونه إلّا بعلم ثابت، ويقين راسخ، وإيمان لا يشوبه شك، فإنّه:

سِرّ أبيهِ وهُوَ سرّ البَاري ... مَليكُ عَرشٍ عَالِمُ الأسَرارِ
وارِثُ مَن حَازَ مَواريثَ الرُسلِ ... أبَوُ العُقُولِ والنَفُوسِ والمُثُلِ
وكَيفَ لا وَذاتُهُ القُدّسيةِ ... مَجمُوعةُ الفَضائِلِ النفسيّةِ

لقد كان أبو الفضل يعرف العراقيين ونزعات أهل الكوفة، منذ عهد أبيه وأخيه السبط المجتبىٰ، بالتجارب الصحيحة، وإنّهم تجمعهم الأماني، وتفرّقهم الرضائخ، ويشاهد الأمويين وقوّة سلطانهم، وتوغّلهم في إراقة الدماء، وبطشهم في الناس، وطيشهم في الأُمور، ويرىٰ ضعف جانب (أبي الضيم عليه السلام)، وقلّة أنصاره، وطبع الحال يحدو مثله إلىٰ التحيّز إلىٰ فئة أُخرىٰ، والأقل من التقاعد عن أيّ الفريقين، وما كان مثله لو سالم الأمويين يعدم ولاية أو قيادة لجيوشهم، أو عيشة راضية يقضي بها أيامه.

لكنّ «عباس اليقين» لم يكن له طمع في شيء من حطام الدنيا، فلم يرقه إلّا الالتحاق بأخيه سيّد الشهداء، موطناً نفسه الكريمة لأي كارثة أو شدّة مؤلمة.

هذا والتكهّن بمصير أمر الحسين عليه السلام في مسيره نصب عينه، والمغّيبات المأثورة عن رسول اللّه وأمير المؤمنين والمسموعات من

أخويه الإمامين مِلْءُ أُذنه ، فلم يبرح مع «أخيه الشهيد» يفترع ربوة ويسف إلىٰ واد ، لا يرىٰ في هاتيك الثنايا والعقبات إلّا تصديقاً لما عرفه ، ويقيناً بمنتهىٰ أمره وغايته ، حتّىٰ بلغهم نبأ فاجعة مسلم بن عقيل ، فعرف القوم انثيال الكوفيين عن الحقّ ورضوخهم إلىٰ حكم الطاغية ، هنالك خارت العزائم ، وأخفقت الظنون ، وطفق أهل المطامع والشره يتفرّقون عن السبط المقدّس ، يميناً وشمالاً[1] ، إلّا من حداهم إلىٰ المسير حقّ اليقين، وفي الطليعة منهم سيّدنا العبّاس ، فإنّه لم يزدد إلّا بصيرة في النهضه الكريمة ، وسروراً بأزوف الغاية المتوخّاة .

فسار به وبهم «شهيد العظمة» ، وهو لايشاهد ، كما أنّهم لايرون كُلّما قربوا من الكوفة إلّا تدبّر الناس وتألّبهم عليهم ، وتتوارد عليهم الأنباء بما هو أشدّ ، لكن لم يثن ذلك من عزائمهم شيئاً ولا يكدي أملاً ، بل كانوا يخفّفون الخطا ، ويسرعون السير ، لينتهوا إلىٰ معانقة الرماح ، ومصافحة الصفاح ، أكثر ممّا يسرع الصب إلىٰ الخود الرداح ، ومرشدهم إلىٰ ذلك بعد إمام الهدىٰ (أبو الفضل) .

رَكبُ حِجَازِيُّونَ بَينَ رِحَالِهِم ... تَسرِي المَنَايَا انجَدُوا أو اتهَمُوا

يَحدُونَ فِي هَزجِ التِلاوَةِ عَيسهِم ... والكُلُّ فِي تَسَبِيحهِ يَترَنَّمُ

---

(١) اللهوف في قتلىٰ الطفوف : ٤٥ .

الأصحاب

هبط موكب العظمة عراص الغاضريات ، وهو يضمّ الفتية مـن آل عبد المطلب ، والأُباة الصفوة من الأصحاب ، فكانوا فرحين بـما أتاهم المولىٰ من فضله ، واختصّهم به من المـنحة الكـبرىٰ ، حـيثُ جعل أثر ميتتهم حياة للدين ومدحرة للأضاليل ، فكانوا رضوان اللّه عليهم بما أودع اللّه تعالىٰ فيهم من النـيات الصـادقة لايـهابون فـي سبيل السير إليه تعالى عقبة كأداء ، أو نبأً موحشاً ؛ من تخاذل القوم ، وتدابر النفوس ، وتضاءل القوىٰ ، لما عرفوه من أنّها موهبة لا يحظىٰ بها إلّا الأمثل فالأ مثل ، فقابلوا الأخطار بجأش طامن ، وجنّان ثابت ، لا تزجره أيّ هائلة ، وكُلّما اشتدّ المأزق الحرج أعقب فيهم انشراحاً وانبساطاً ، بين ابتسامة ومداعبة ، ومن فرح إلىٰ نشاط .

وَمُذ أخَذَت فِي نَينَوىٰ مِنهُم النَـوىٰ

ولاَحَ بِـهَا للـغَدرِ بَـعضُ الـعلاَئِمِ

غَـدا ضَـاحِكاً هَـذَا وذَا مُـتبَّسماً

سُرورَاً ومَا ثَغرُ المَـنُونِ بَـبِاسِمِ(1)

هازل برير بن خضير عبد الرحـمن الأنـصاري ، فـقال له عـبد

---

(١) من قصيدة للشيخ صالح الكواز الحلّي ، وقيل : للتميمي . راجع أعيان الشيعة ٧ : ٣٧١ .

الرحمن: «ما هذه ساعة باطل! فقال برير: واللّه لقد علم قومي أنّي ما أحببت الباطل شاباً ولا كهلاً، ولكنّي لمستبشر بما نحن لاقون، واللّه ما بيننا وبين الحور العين إلّا أن يميل علينا هؤلاء بأسيافهم، ولوددت أنّهم مالوا علينا الساعة»(١).

وخرج حبيب بن مظاهر يضحك، فقال له يزيد بن الحصين: «ما هذه ساعة ضحك! قال حبيب: وأيّ موضع أحقّ بالسرور من هذا؟! ما هو إلّا أن يميل علينا هؤلاء الطغاة بسيوفهم فنعانق الحور»(٢).

وناهيك بعباس بن أبي شبيب الشاكري حينما برز إلىٰ الحرب، وقد أحجم القوم عنه؛ لأنّهم عرفوه بالإقدام والبسالة، فلمّا رأىٰ أنّه لم يبارزه أحد ألقىٰ ما عليه من درع ولامة، فاغتنمها القوم فرصة، ومع ذلك لم يبرز إليه أحد، يكنّهم رموه بالسهام والحجارة، وأنّه ليطرد أكثر من مائتين، فرحاً مبتهجاً بما يلاقيه من حبور ونعيم.

وإنّي لأعجب من الرواة حملة التاريخ إذا توسّعوا في النقل وقذفوا أُولئك الأُباة الصفوة، والغلب المصاليت، بما تندىٰ منه وجه الإنسانية، ويأباه الوجدان الصادق، فقيل: «كان القوم بحالة ترتعد فرائصهم، وتتغيّر ألوانهم، كُلّما اشتدّ الحال، وضاق المجال، إلّا الحسين فإنّ أسرّة وجهه تشرق كالبدر المنير»(٣).

وذلك بعد أن أعوزتهم الوقعة في شهيد الإباء، فلم يجدوا

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٢١، الكامل في التاريخ ٤: ٦٠، مثير الأحزان لابن نما: ٣٩.

(٢) رجال الكشّي ١: ٢٩٣، تفسير جوامع الجامع ١: ١٣٠.

(٣) تاريخ الطبري ٤: ٣١٠.

للغمز فيه نصيباً ، فمالوا علىٰ أصحابه وأهل بيته الذين قال فيهم الإمام عليه السلام : «إنّي لا أعلم أصحاباً خيراً من أصحابي ، ولا أهل بيت أبرّ وأوفى من أهل بيتي»[1] ، «وقد استلمتهم فما وجدت فيهم إلّا الأشوس الأقعس ، يستأنسون بالمنيّة دوني ، استيناس الطفل إلىٰ محالب أُمه»[2] .

وليس ذلك إلّا من الداء الدفين بين أضالع قوم دافوا السمَّ في الدّسم ، إلىٰ سذج آخرين حسبوه حقيقة راهنة ، فشوّهوا وجه التاريخ ، غير أنّ البصير الناقد لا تخفىٰ عليه نفسية القوم ، ولا ما جاؤوا به .

وأعجب من ذلك قول محفر ليزيد : «إنّا أحطنا بهم ، وهم يلوذون عنّا بالآكام والحفر ، لواذ الحمام من الصقر»[3] .

بفيك الكثك أيّها القائل ، كأنّك لم تشاهد ذلك الموقف الرهيب ، فترىٰ ما للقوم من بسالة وإقدام ومفادات دون الدين الحنيف ، حتّىٰ أغفل يومهم مع ابن المصطفىٰ أيام صفّين وما شاكلها من حروب دامية ، ووقائع هائلة ، وحتّىٰ أخذت أندية الكوفة لا تتحدّث إلّا عن شجاعتهم .

أجل ، إنّ تلك الأهوال أدهشتك ، فلم تدرِ ما تقول ، أو إنّ الشقّة بعدت عليك فنسيت ما كان ، ولكن هل غاب عن سمعك صراخ الأيامىٰ ، وعويل الأيتام في دور الكوفة ، حتّى طبق أرجاءها

---

(١) تاريخ الطبري ٤ : ٣١٧ .

(٢) الدمعة الساكبة : ٣٢٥ .

(٣) تاريخ الطبري ٤ :٣٥١ ، تاريخ مدينة دمشق ١٨ : ٤٤٥ ، الكامل في التاريخ ٤ : ٨٣ ، الوافي بالوفيات ١٤ : ١٢٧ ، البداية والنهاية ٨ : ٢٠٨ الفتوح لابن أعثم ٥ : ١٢٧ .

من جراء ما أوقعه أُولئك الصفوة بأعداء اللّه ورسوله ، بسيوفهم الماضيّة . والعذر لك أنّك أدركت ساعة العافية ، فطفقت تشوّه مقامهم المشكور ، طلباً لمرضاة (يزيد الخمور) .

ولقد صرّح عن صدق نيّاتهم وإخلاصهم في التضحية عدوهم الألدّ عمرو بن الحجّاج محرّضاً قومه : « أتدرون من تقاتلون؟! تقاتلون فرسان المصر ، وأهل البصائر ، تقاتلون قوماً مستميتين ، لا يبرز إليهم أحد منكم إلّا قتلوه ، علىٰ قلتهم ، واللّه لو لم ترموهم إلّا بالحجارة لقتلتموهم ، فقال عمر بن سعد : قد صدقت الرأي ، ما رأيت أرسل في الناس من يعزم عليهم أن لا يبارزهم رجل منهم »[١] ، « ولو خرجتم إليهم وحداناً لاتوا عليكم »[٢] .

وقيل لرجل شهد يوم الطفّ مع عمر بن سعد : « ويحك أقتلتم ذرية رسول اللّه؟

فقال : عضضت بالجندل ، إنّك لو شهدت ما شهدنا لفعلت ما فعلنا ، ثارت علينا عصابة أيديها في مقابض سيوفها كالأُسود الضارية ، تحطّم الفرسان يميناً وشمالاً ، وتلقي أنفسها علىٰ الموت ، لا تقبل الأمان ، ولا ترغب في المال ، ولا يحول حائل بينها وبين حياض المنيّة ، أو الاستيلاء علىٰ الملك ، فلو كففنا عنها رويداً لأتت علىٰ نفوس العسكر بحذافيرها ، فما كنّا فاعلين لا أُم لك؟ »[٣] .

وأيّ فرد منهم أقلقه الحال حتّىٰ ارتعدت فرائصه؟! أهو زهير بن القين الذي وضع يده علىٰ منكب الحسين وقال مستأذناً :

---

(١) تاريخ الطبري ٤ : ٣٣١ ، الكامل في التاريخ ٤ : ٦٧ .
(٢) بحار الأنوار ٤٥ : ١٩ .
(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣ : ٣٦٣ .

إقدِم هُدِيتَ هَادِياً مَـهدِيا   فَاليَومَ أَلقىٰ جَدَّكَ النَّبِيا!

أم ابن عوسجة الذي يوصي حبيب بن مظاهر بنصرة الحسين وهو في آخر رمق من الحياة ، فكأنّه لم يقنعه عن المفادات كُلّ ما لاقاه من جهد وبلاء؟!

أم أبو ثمامة الصائدي الذي لم يهمّه في سبيل السير إلىٰ ربّه سبحانه ، كُلّ ما هناك من فوادح وآلام إلّا الصلاة التي دنا وقتها ، فقال للحسين : « نفسي لك الفداء ، إنّي أرىٰ هؤلاء قد اقتربوا منك ، ولا واللّه لا تُقتل حتّى أُقتل دونك ، وأحب أن ألقىٰ اللّه وقد صلّيت هذه الصلاة التي دنا وقتها ، فقال الحسين : « ذكرت الصلاة جعلك اللّه من المصلّين الذاكرين »[1]؟!

أم سعيد الحنفي الذي تقدّم أمام الحسين وقت الصلاة واستهدف لهم ، فأخذوا يرمونه بالنبل يميناً وشمالاً ، حتّىٰ سقط لكثرة نزف الدم[2] ، فقال للحسين : أوفيت يابن رسول اللّه؟! قال : « نعم ، أنت أمامي في الجنّة »؟!

أم ابن شبيب الشاكري الذي ألقىٰ جميع لامته لتقرب منه الرجال ، فيموت ، في حين نرىٰ الكماة الأبطال المعروفين بالشجاعة والإقدام يتدرعون للحرب كي لا يخلص إليهم ما يزهق نفوسهم؟!

أم الغفاريان اللذان استأذنا الحسين في الحملة وهما يبكيان ، فقال عليه السلام لهما : « ما يبكيكما ، فواللّه إنّي لأرجو أن تكونا بعد ساعة قريري العين »؟!

---

(١) تاريخ الطبري ٤ : ٣٣٤ ، الكامل في التاريخ ٤ : ٧٠ .

(٢) تاريخ الطبري ٤ : ٣٣٦ ، الكامل في التاريخ ٤ : ٧١ إلىٰ قوله : « حتّىٰ سقط » .

فقالا : ما علىٰ أنفسنا نبكي ، ولكن نبكي عليك أبا عبد اللّـه ، نـراك قـد أُحـيط بك ولا نـقدر عـلىٰ الدفـع عـنك ، والذب عـن حرمك »[١] ، فجزّاهما الحسين خيراً؟!

وإذا تأمّلنا قول الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام : «إنّ أصحاب جدّي الحسين لم يجدوا ألم مسّ الحديد »[٢] ، وضحَ لنا مـا عـليه أُولئك الأطايب من الثبات ، وأنّهم غير مكترثين بما لاقوه من ألم الجراح ، ولعاً منهم بالغاية ، شوقاً إلىٰ جوار المصطفىٰ .

ولا يستغرب هذا من يعرف حالة العـاشق ، وأنّـه عـند تـوجّه مشاعره نحو المحبوب لا يشعر بكُلِّ ما يلاقيه من عناء ونكد ، حكىٰ المؤرّخون أنّ عزّة دخلت علىٰ كثير الشاعر وهو في خـبائه يـبري سهاماً له ، ولما نظر إليها أدهشه الحـال ، وأبـهره الجـمال ، فأخـذ يبري أصابعه ، وسالت الدماء ، وهو لا يحسّ بالألم[٣] .

وأكبر مثال علىٰ ذلك حكاية الكـتاب المـجيد حـالة النسـوة حينما شاهدن جمال الصدّيق يوسف عليه السلام ، فقال تعالىٰ : ﴿ **فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَـٰذَا بَشَرًا إِنْ هَـٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ** ﴾[٤] .

وإذا كانت النسوة لم يشعرن بألم قطع المدية أيديهنّ ، لمحض جمال الصديق ، فليس من الغريب ألا يجد أصحاب الحسـين عليه السلام ـ وهم زبد العالم كُلِّه ـ ألم مسِّ الحديد عند نـهاية عشـقهم لمـظاهر

---

(١) تاريخ الطبري ٤ : ٣٣٧ ، الكامل في التاريخ ٤ : ٧٢ .
(٢) الخرائج والجرائح للراوندي ٢ : ٨٤٨ ، والعبارة بمعناها .
(٣) الأغاني لأبي الفرج الاصفهاني ٩ : ٢٢ .
(٤) يوسف : ٣١ .

الجمال الإلهي ، ونزوع أنفسهم إلىٰ الغاية القصوىٰ من القداسة بعد التكهرب بولاء سيّد الشهداء عليه السلام .

هذا ما عليه الأصحاب من سرّ المفادات ، وقد كان مُرشدهم إلىٰ ذلك ، والمقدّم فيهم (حامل اللواء) ، إذا لم يكن هياباً بما شاهده من لغط ، وصخب ، وضوضاء ، وصهيل ، وجحفل مجر ، يتبعه جيش لجب ، وقد أخذ ابن ميسون عليهم أقطار الأرض وآفاق السماء .

بِجَحافِلٍ بالطّفِ أُولهَا ... وأخيرُهَا بالشّامِ مُتصلُ

فلا يرىٰ إلّا وجوهاً عابسة ، كُلّ يتحرّىٰ استئصال شأفة الإمامة ، وإزهاق من يجنح إليها ، و« قمر الهاشميين » أسرة وجهه ، تشرق كالبدر المنير ؛ لأنّه عليه السلام يجد ببصيرته الهادية له إلىٰ المفادات قرب الأجل المضروب ، وحصول الضالة المنشودة ، وهذا كُلّه بعد العلم بأنّه إذا فارق أخاه في ذلك الموقف يكون في سعة من الخطر .

وأنا لكبر موقفه وثباته حينما قال لهم أبو عبد اللّه عليه السلام : « هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً ، فأنتم في إذن منّي ، فإنّ القوم لم يطلبوا غيري ، ولو ظفروا بي لذهلوا عن طلب غيري ، وليأخذ كُلّ رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي ، وتفرّقوا في سوادكم هذا »[١] .

هنا كان لعبّاس الشرف والحفاظ موقفه المشهود الذي أظهر فيه من قوّة الإيمان ، وغزارة العلم ، وعوامل الشهامة ، ما أوقف جوالة الفكر ، وحيرة نفاذة الحلم ، حيث ابتدر الجماعة بقوله : « ولِمَ نفعل ذلك لا أبقانا اللّه بعدك »؟! وتابعه الهاشميّون الصفوة والصحب

---

(١) تاريخ الطبري ٤ : ٣١٧ ، الكامل في التاريخ ٤ : ٥٧ ، البداية والنهاية لابن كثير ٨ : ١٩١ .

الأكارم ، متخذين قوله حقيقة راهنة ، من معلم هذّبته المعرفة ، وبصّرته التجارب ، وإنّه لم يرد بقوله إلّا التضحية الخالّصة ، والسعادة الخالدة ، فأجابوا بما انحنت عليه الأضالع من إيثار موتة العزّ دون سبط الرسول علىٰ حياة مخدجة بعده ، وإن كانت محفوفة بنعومة من العيش .

فقال آل عقيل : «قبّح اللّه العيش بعدك ، نفديك بأنفسنا وأهالينا» .

وقال ابن عوسجة : «لو لم يكن معي سلاح لقذفتهم بالحجارة حتّى أموت دونك» .

وقال سعيد الحنفي : «أنحن نخلّي عنك؟! لا واللّه حتّى يعلم اللّه أنا قد حفظنا وصيّة رسول اللّه فيك ، ولو علمت أنّي أُقتل ثُمّ أُحيى ، ثُمّ أُقتل ، ثُمّ أُحرق حيّاً ، ثُمّ أُذرىٰ يفعل بي سبعين مرّة ما فارقتك حتّى ألقى حمامي دونك . وكيف لا أفعل ذلك وإنّما هي قتلة واحدة ، ثُمّ هي الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً» .

وتكلم الجماعة بما يشبه ذلك[1] .

فأجَادُوا الجَوابَ واخترَطُوا البيـ ـضَ اهتَياجاً إلىٰ جِلادِ الأعَادِي
وانثَنَوا للوغَىٰ غِضَابَ أُسودٍ عَصِفتْ فِي العَدي بصَرصِرِ عَادِ
حَرسِوُه حتّىٰ احتسُوا جُرعِ المَو تِ ببيضِ الضَبَا وسُمرِ الصِعَادِ
سَمحَوُا بالنُفُوسِ فِي نُصرةِ الدِ ينِ وأدّوا فِي اللّهِ حَقّ الجِهَادِ

وبعد أن عرف الحسين منهم صدق النيّة والإخلاص في المفادات أوقفهم علىٰ غامض القضاء ، وقال : «إنّي أُقتل وكلّكم

---

(١) تاريخ الطبري ٤ : ٣١٧ ـ ٣١٨ ، الكامل في التاريخ ٤ : ٥٨ ، البداية والنهاية لابن كثير ٨ : ١٩١ .

تقتلون ، حتّى القاسم وعبد اللّه الرضيع ، إلّا السجّاد ، فإنّه أبو الأئمة » ، ثُمّ كشف عن أبصارهم ، فرأوا ما حباهم اللّه من نعيم الجنّان ، وعرفهم منازلهم فيها[1] .

وليس ذلك في القدرة الإلهية بعزيز ، ولا في تصرّفات الإمام بغريب ، ولقد حكىٰ المؤرّخون وقوع نظير هذا لسحرة فرعون لمّا آمنوا بموسىٰ عليه السلام وأراد فرعون قتلهم ، فإنّهم شاهدوا منازلهم في الجنّة[2] .

---

(١) الخرائج والجرائح ١ : ٢٥٥ ، بحار الأنوار ٤٥ : ٨٩ ، علل الشرائع ١ : ٢٢٩ ، والنصّ منقول بالمعنىٰ .

(٢) تفسير ابن أبي حاتم ٥ : ١٥٣٦ ، تفسير ابن كثير ٣ : ١٦٦ ، الدر المنثور للسيوطي ٣ : ١٠٧ ، تفسير الألوسي ٩ : ٢٨ ، البداية والنهاية لابن كثير ١ : ٢٩٦ .

الأمان

لم تزل هذه الفضيلة نفسية أبي الفضل في جميع مواقفه عند ذلك المشهد الرهيب ، لاسيّما حين بلغه كتاب عبيد اللّه بن زياد بالأمان له ولإخوته الذي أخذه عبد اللّه بن أبي المحل بن حزام ، وكانت أُم البنين عمّته ، وبعثه مع مولاه كزمان ، فلمّا قدم كربلاء قال للعباس وإخوته : « هذا أمان من ابن زياد ، بعثه إليكم خالكم عبد اللّه! فقالوا له : أبلغ خالنا السلام وقل له : لا حاجة لنا في أمانكم ، أمان اللّه خير من أمان ابن سميّة »[1] .

كيف يتنازل أبو الفضل للدنية وهو ينظر بعين غير أعين الناس ، ويسمع بأُذنه الواعية غير ما يسمعونه ، يشاهد نصب عينه الرضوان الأكبر مع « خلف النّبي المرسل » ، ويسمع هتاف الملكوت من شتى جوانبه بالبشرىٰ له بذلك كُلِّه عند استمراره مع أخيه الإمام .

نعم ، وجد « عباس المعرفة » نفسه المكهربة بعالم الغيب ، المجذوبة بجاذب مركز القدّاسة إلىٰ التضحية دون حجّة الوقت لا محالة ، فرفض ذلك الأمان الخائب إلىٰ أمان الرسول الأعظم .

وهنالك طمع الشمر فيه وفي إخوته أن يفصلهم عن مستوىٰ

(١) تاريخ الطبري ٤ : ٣١٤ ، الكامل في التاريخ ٤ : ٥٦ .

الفضيلة ، فناداهم : أين بنو أُختنا؟ أين العبّاس وإخوته؟ فاعرضوا عنه ، فقال الحسين : «أجيبوه ولو كان فاسقاً» .

قالوا : ما شأنك؟ وما تريد؟

قال : يا بني أُختي ، أنتم آمنون ، لا تقتلوا أنفسكم مع الحسين ، والزموا طاعة أمير المؤمنين يزيد .

فقال له العبّاس : لعنك اللّه ولعن أمانك ، تؤمننا وابن رسول اللّه لا أمان له[1]؟! وتأمرنا أن ندخل في طاعة اللعناء وأولاد اللعناء ، فرجع الشمر مغضباً[2] .

إنّ هذا الجلف الجافي قد أساء الظنّ بهؤلاء الفتية نجوم الأرض من آل عبد المطلب ، فحسب أنّهم ممّن يستهويهم الأمن والدعة ، أو تروقهم الحياة مع أبناء البغايا ، هيهات! خاب الرّجس ففشل ، واخفق ظنّه ، وأكدىٰ أمله ، ولم يسمع في الجواب منهم إلّا لعنك اللّه ، وتبّت يداك ، ولعن ما جئت به .

وحيث إنّ ابن ذي الجوشن يفقد البصيرة التي وجدها أبو الفضل ، والنفسية التي يحملها ، والسؤدد المتحلّي به ، والحفاظ اللائح علىٰ وجناته ؛ طمع أن يستهوي رجل الغيرة ويجرّه إلىٰ الخسف والهوان والحياة مع الظالمين.

أيظنّ أنّ أبا الفضل ممّن يستبدل النور بالظلمة، ويستعيض عن الحقّ بالباطل، ويدع علم النبوّة ، وينضوي إلىٰ راية ابن مرجانة؟!

---

(١) الإرشاد للشيخ المفيد ٢ : ٨٩ ، بحار الأنوار ٤٤ : ٣٩١ ، تاريخ الطبري ٤ : ٣١٥ ، الكامل في التاريخ ٤ : ٥٦ .

(٢) مثير الأحزان لابن نما الحلّي : ٤١ ، اللهوف في قتلىٰ الطفوف : ٥٤ ، لواعج الأشجان : ١١٦ .

كلّا

ولمّا رجع العبّاس وإخوته إلىٰ الحسين واعلموه بما أراده الماجن منهم، قام زهير بن القين إلىٰ العبّاس حدّثه بحديث، قال فيه:

إنّ أباك أمير المؤمنين‌عليه‌السلام طلب من أخيه عقيل ـ وكان عارفاً بأنساب العرب وأخبارها ـ أن يختار له امرأة ولدتها الفحولة من العرب، وذوو الشجاعة منهم، ليتزوّجها، فتلد غلاماً فارساً شجاعاً، ينصر الحسين بطفّ كربلا، وقد ادّخرك أبوك لمثل هذا اليوم، فلا تقصّر عن نصرة أخيك وحماية إخوتك».

فغضب العبّاس وقال: «يا زهير، تشجّعني هذا اليوم، فواللّه لارينّك شيئاً ما رأيته»(١).

فجدل أبطالاً، ونكّس رايات في حالة لم يكن همّه من القتال، ولا منازلة الأبطال، بل كان همّه إيصال الماء إلىٰ أطفال أخيه، ولكن لا مردّ للقضاء، ولا دافع للأجل المحتوم.

ولا يَهمّهُ السّهامُ حَاشَا مَن هَمّه سِقايَةُ العُطَاشَا

فَجادَ باليَمِينِ والشِمَالِ لِنُصرةِ الدِينِ وحِفظِ الآلِ

---

(١) الأنوار العلوية للنقدي: ٤٤٤، أسرار الشهادة للدربندي ٢: ٤٩٧.

المواساة

لا يسع الباحث في حديث مشهد الطفّ المقدر فيه (قمر بني هاشم) حقّ قدره إلّا البخوع له بتحقيق هذه الغريزة الكريمة، أعني المواساة بأجلى مظاهرها، وأنت إذا أعرت لما أفضنا القول في البصيرة أُذناً واعية عرفت كيف كان مقامه مع أخيه سيّد شباب أهل الجنّة، وإيثاره التفاني معه علىٰ الحياة الرغيدة، وتهالكه في المفادات، منذ مغادرته الحجاز إلىٰ هبوطه أرض كربلا، وحتّىٰ لفظ نفسه الأخير تحت مشتبك النصول، فلا تجد مناصاً عن الإذعان بأنّه عليه السلام كان علىٰ أعلا ذروة من المواساة لأخيه الإمام، يربوا علىٰ المواسين معه جميعاً؛ لأنّ مواساته كانت عن بصيرة، هي أنفذ البصائر يومئذ، بشهادة الإمام الصادق عليه السلام: «كان عمّنا العبّاس نافذ البصيرة، صلب الإيمان»[1].

وقد شهد له بهذه المواساة إمامان معصومان، واقفان علىٰ الضمائر، ويعرفان مقادير الرجال، فيقول الحجة عجّل اللّه فرجه في زيارة الناحية: «السلام علىٰ أبي الفضل العبّاس، المواسي أخاه بنفسه، الآخذ لغده من أمسه، الواقي له، الساعي إليه بمائه، المقطوعة يداه. لعن اللّه قاتله يزيد بن الرقاد الجهني، وحكيم بن

(١) سرّ السلسلة العلوية لأبي نصر البخاري: ٨٩.

الطفيل السنبسي الطائي».

ويقول الصادق عليه السلام في الزيارة المتلوة عند ضريحه الأقدّس: «أشهد لقد نصحتَ للّه ولرسوله ولأخيك، فنعم الأخ المواسي»

فجعل عليه السلام الشهادة له بالمواساة المنعم بها نتيجة نصحه للّه الذي هو مقتضىٰ دينه ويقينه، ونصحه لرسول اللّه الذي هو تمام التوحيد، والنصح لأخيه الإمام الذي هو الجزء الأخير للعلّة، وبه كمال الدين وتمام النعمة **﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾**[1]، وبه قبول الأعمال.

«لو أنّ عبداً صام وصلّىٰ وزكّىٰ ولم يأتِ بالولاية ما قبل اللّه له عملاً أبداً»، فرضىٰ الربّ والرسول وطاعتهما منوطان بطاعة ولي الأمر **﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾**[2].

فأراد الإمام الصادق بذلك الخطاب أنّ نصح «عباس الهداية» لأخيه المظلوم علىٰ حدّ نصحه للّه ولرسوله، مع حفظ المرتبة في كُلٍّ منهما، فالطاعة شرع سواء في الثلاثة، تحت جامع واحد، هو وجوب الخضوع لهم، والتسليم لأمرهم، غاية الأمر تختلف المراتب، فإنّه تجب الطاعة أولاً وبالذات بالنسبة إليه سبحانه وتعالىٰ، وبما أنّ الرسول مبعوث من قبله وجبت بالنسبة إلىٰ الرسول، وبما أنّ الإمام خليفة لهذا المبعوث المرسل لعدم بقائه إلىٰ الأبدّ، وعدم إهمال العباد كالبهائم، وعدم وضوح الكتاب المجيد، لوجود المخصص والمقيد، والناسخ والمتشابه، وعدم وفائه

---

(١) المائدة: ٣.

(٢) المائدة: ٥٥.

بالأحكام الشرعية بالبداهة ؛ وجب علىٰ الأُمة إطاعة هذا الإمام ، فالمراد من المؤمنين في هذه الآية ومن أُولي الأمر في قوله تعالىٰ : **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾**(١) ، شيء واحد ، وقد انحصر مصداقه في سيّد الوصيين وأبنائه المعصومين الأحد عشر بالتواتر عن الرسول صلى الله عليه وآله .

فالنصح الذي أشار إليه الإمام في الزيارة هو لازم تلك الطاعة ومقتضى الولاية ، تحت جامع واحد ، وهو لزوم مناصرة الدين والصادع به ، المنبسط علىٰ ذات الباري تعالىٰ والرسول والإمام كُلّ في مرتبته .

وقد أفادنا هذا الخطاب أنّ مفادات أبي الفضل ومواساته لم تكن لمحض الرحم الماسة والإخاء الواشج ، ولا لأنّ الحسين عليه السلام سيّد أُسرته ، وكبير قومه ، وإن كان في كُلّ منها يمدح عليه هذا الناهض ، لكنّها جمعاء كانت مندكة في جنّب ما أثاره «عباس البصيرة» من لزوم مواساة صاحب الدين ، والتهالك دون دعوته ، سواء كانت المفادات بعين المشرع سبحانه ، أو تحت راية الرسول صلى الله عليه وآله ، أو إمام الوقت ، وكُلّ بعين اللّه وعن مرضاته جلّ شأنه ، وقد اجتمعت في مشهد الطفّ تحت راية الحسين عليه السلام .

إنّ من الواجب إمعان النظر في عمله الناصع حين ملك الشريعة فاغترف غرفة من الماء ليشرب ، ولكن الزمه حقّ اليقين ، وقوّة الإيمان أن ينفض الماء من يده ، حيث لم يَر له مساغاً في التأخير عن سقاية حجّة الوقت الإمام المعصوم ، وحرم النبوّة ، ولو بمقدار التروي من الماء هنيئة ، بل عرف أنّ الواجب عليه الإبقاء علىٰ مهجة

---

(١) النساء : ٥٩ .

خليفة الرسول بسقايته ولو في أن يسير ، إذ الحالة شرع سواء بين قليل الزمان وكثيره ، ولذلك نسب فعله هذا إلىٰ الدين حيث يقول : « تاللّه ما هذا فعال ديني » .

علىٰ أنّ شيخنا العلّامة الشيخ عبد الحسين الحلّي يحدّث في النقد النزيه ج١ ص١٠٠ عن فخر الذاكرين الثقة الثبت الشيخ ميرزا هادي الخراساني النجفي نقلاً عن « عدّة الشهور » أنّ أمير المؤمنين عليه السلام دعا العبّاس وضمّه إليه ، وقبّل عينيه ، وأخذ عليه العهد إذا ملك الماء يوم الطفّ أن لا يذوق منه قطرة وأُخوه الحسين عطشان . فقول أرباب المقاتل : نفضَ الماء من يده ولم يشرب إنّما هو لأجل الوصيّة من أبيه المرتضىٰ .

لَـم يَـذُقِ الفُـراتَ أُسـوةٌ بِـهِ ... مـيمَمَاً بـمائِهِ نَـحوُ الخِـبَا
لَـم يَـرَ فِـي الدِيـنِ يَـبلُ غُـلةِ ... وصُـنُوه فـيِهِ الظَـمَا قَـد الهَـبَا
والمُرتَضىٰ أوصَىٰ إليهِ فِي ابـنِهِ ... وصـيّةٍ صَـدّتُهُ عَـن أن يَشـرَبَا
لذَاكَ قَـد أسـنَدَهُ: لِـدينِه ... وعَـن يَـقينٍ فِيهِ لَـن يَـضطَرِبَا
هَـذا مِـن الشّـرعِ يَـرىٰ فِـعلتَهُ ... ومِـن صِـراطِ أحـمَدَ مَـا ارتَكَـبَا
وَمِـثلُه الحُسـينُ لَـمّا مَـلكَ المَـاءَ ... فَـقِيلَ رَحـلُه قَـد نُـهِبَا
أمُّ الخِـيّامَ نَـافِضَاً لِـمضائهِ ... إذ عَـظُمَ الأمـرُ بِـهِ واعَـصُوصَبَا
فَكَـانَ للـعَبّاس فِـيهِ أُسـوةٌ ... إذ فَاضَ شَهماً غَيرَ مَفلُولِ الشِبَا

عثرة التأريخ

لقد كان من نفوذ بصيرة العبّاس أنّه لم تقنعه هاتيك التضحية المشهودة منه ، والجهاد البالغ حدّه ، حتّىٰ راقه أن يفوز بتجهيز المجاهدين في ذلك المأزق الحرج ، والدعوة إلىٰ السعادة الخالدة في رضوان اللّه الأكبر ، وأن يحظىٰ بأُجور الصابرين ، علىٰ ما يَلمّ به من المصاب بفقد الأحبة ، فدعا أُخوته من أُمه وأبيه وهم «عبد اللّه ، وجعفر ، وعثمان» وقال لهم : «تقدّموا حتّىٰ أراكم قد نصحتم للّه ولرسوله ، فإنّه لا ولد لكم»[1] .

فإنّه أراد بذلك تعريف أُخوته حقّ المقام ، وأنّ مثولهم بهذا الموقف لم يكن مصروفاً إلّا إلىٰ جهة واحدة وهي : المفادات والتضحية في سبيل الدين ، إذ لم يكن لهم أي شائبة أو شاغلة تلهيهم عن القصد الأسنىٰ من عوارض الدنيا ، من مراقبة أمر الأولاد بعدهم ، ومَن يرأف بهم ويربيهم ، فاللازم حينئذٍ السير إلىٰ الغاية الوحيدة وهي : الموت دون حياة الشريعة المقدّسة ، فكانوا كما شاء ظنّه الحسن بهم ، حيث لم يألوا جهداً في الذب عن قدس الدين ، حتّىٰ قضوا كراماً متلفّعين بدم الشهادة .

---

(١) الارشاد للشيخ المفيد ٢ : ٢٠٩ ، مثير الأحزان لابن نما : ٥٠ ، لواعج الأشجان : ١٧٨ .

لكن هلمّ واقرأ العجيب الغريب فيما ذكر ابن جرير الطبري في التاريخ ج٦ ص٢٥٧ قال: «وزعموا أنّ العبّاس بن علي قال لأخوته من أُمّه وأبيه عبد اللّه وجعفر وعثمان: يا بني أُمي تقدّموا حتّىٰ أرثكم، فإنّه لا ولد لكم، ففعلوا وقتلوا»[١].

وقال أبو الفرج في مقاتل الطالبيين: «قدّم أخاه جعفر بين يديه، لأنّه لم يكن له ولد ليحوز ميراثه العبّاس، فشدّ عليه هاني بن ثبيت فقتله»[٢].

وفي مقتل العبّاس قال: «قدّم أُخوته لأُمه وأبيه، فقتلوا جميعاً، فحاز مواريثهم، ثُمّ تقدّم وقتل فورثهم وإياه عبيد اللّه، ونازعه في ذلك عمّه عمر بن علي، فصولح على شيء رضي به»[٣].

هذا غاية ما عندهما، وقد تفرّدا به من بين المؤرّخين وأرباب المقاتل، ولا يخفىٰ علىٰ من له بصيرة وتأمّل بعده عن الصواب.

وما أدري كيف خفي عليهما حيازة العبّاس ميراث أُخوته مع وجود أُمهم أُم البنين، وهي من الطبقة المتقدّمة علىٰ الأخ، ولم يجهل العبّاس شريعة تربّى في خلالها؟!

علىٰ أنّ هذه الكلمة لا تصدر من أدنىٰ الناس، سيّما في ذلك الموقف الذي يذهل الواقف عن نفسه وماله، فأيّ شخص كان يدور في خُلدهِ ذلك اليوم حيازة المواريث بتعريض ذويه وأخوته للقتل؟! وعلىٰ الأخصّ يصدر ذلك من رجل يعلم أنّه لا يبقىٰ بعدهم ولا يتهنّأ بمالهم، بل يكون فعله لمحض أن تتمتّع به أولاده.

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٤٢، الكامل في التاريخ ٤: ٧٦.
(٢) مقاتل الطالبيين لأبي الفرج: ٥٤.
(٣) مقاتل الطالبيين لأبي الفرج: ٥٥.

بئست الكلمة القبيحة التي راموا أن يلوّثوا بها ساحة ذلك السيّد الكريم.

فهل ترغب أنت أن يقال لك: عرضت أُخوتك وبني أُمك لحومة الوغى لتحوز مواريثهم؟! أم أنّ هذا من الدناءة والخسّة، فلا ترضاه لنفسك، كما لا يرغب به سوقة الناس وأدناهم، فكيف ترضىٰ أيّها المنصف ذلك لمن علّم الناس الشهامة وكرم الأخلاق، وواسىٰ حجّة وقته بنفسه الزاكية؟!

وكيف ينسب هذا لخرّيج تلك الجامعة العُظمىٰ، والمدرسة الكبرىٰ، جامعة النبّوة، ومدرسة الإمامة، وتربّىٰ بحجر أبيه، وأخذ المعارف منه ومن أخويه الامامين؟!

ولو تأمّلنا جيداً في تقديمه إياهم للقتل لعرفنا كبر نفسه، وغاية مفاداته عن أخيه السبط، فلذة كبد النّبي صلى الله عليه وآله، ومهجة البتول، فإنّ من الواضح البيّن أنّ غرضه من تقديمهم للقتل:

١ ـ إمّا لأجل أن يشتدّ حزنه، ويعظم صبره، ويرزأ بهم، ويكون هو المطالب بهم يوم القيامة، إذ لا ولد لهم يطالبون بهم.

٢ ـ وإمّا لأجل حصول الاطمئنان والثقة من المفادات دون الدين، أمام سيّد الشهداء، ويشهد له ماذكره الشيخ المفيد في الإرشاد، وابن نما في مثير الأحزان من قوله لهم: «تقدّموا حتّىٰ أراكم قد نصحتم للّه ولرسوله، فإنّه لا ولد لكم»، ولم يقصد بهم المخايل، وإنمّا رام أبو الفضل أن يتعرّف مقدار ولائهم لقتيل العبرة. وهذا منه عليه السلام إرفاق بهم، وحنان عليهم، وأداء لحقّ الأُخوة بإرشادهم إلىٰ ما هو الأصلح لهم.

٣ ـ وإمّا لأجل أن يكون غرضه الفوز بأجر الشهادة بنفسه، والتجهيز للجهاد بتقديم أُخوته ليثاب أيضاً بأجر الصابرين، ويحوز كلتا السعادتين، وربما يدلّ عليه ماذكره أبو الفرج في مقتل عبداللّه من قول العبّاس له: «تقدّم بين يدي حتّىٰ أراك قتيلاً واحتسبك، فكان أول من قتل من أُخوته».

وذكر أبو حنيفة الدينوري أنّ العبّاس قال لأُخوته: «تقدموا بنفسي أنتم وحاموا عن سيّدكم حتّىٰ تموتوا دونه، فتقّدموا جميعاً وقتلوا».

ولو أراد أبو الفضل من تقديمهم للقتل حيازة مواريثهم ـ وحاشاه ـ لم يكن لاحتساب أخيه عبداللّه معنىٰ، كما لا معنىٰ لتفديتهم بنفسه الكريمة كما في الأخبار الطوال[1].

وهناك مانع آخر من ميراث العبّاس لهم وحده، حتّىٰ لو قلنا علىٰ بعد ومنع بوفاة أُم البنين يوم الطف، فإنّ ولد العبّاس لم يكن هو الحائز لمواريثهم، لوجود الأطراف وعبيد اللّه بن النهشلية، فإنهّما يشتركان مع العبّاس في الميراث، كما يشاركهم سيّد شباب أهل الجنّة، وزينب العقيلة، وأم كلثوم، ورقية، وغيرهنّ من بنات أمير المؤمنين، فكيف والحال هذا يختصّ العبّاس بالميراث وحده؟!

هذا كُلّه إن قلنا بوفاة أُم البنّين يوم الطف، ولكن التاريخ يثبت حياتها يومئذٍ وأنّها بقيت بالمدينة، وهي التي كانت ترثي أولادها الأربعة.

---

(١) الأخبار الطوال: ٢٥٧.

والذي أظنّه أن منشأ ذلك التقوّل علىٰ العبّاس أنّه أوقفهم السير علىٰ قوله لأخوته : «لا ولد لكم» ، من غير رويّة وتفكير في غرضه ومراده ، فحسبوه أنّه يريد الميراث ، فنّوه به واحد باجتهاده أو احتماله ، وحسبه الآخرون رواية ، فشوّهوا به وجه التاريخ ، ولم يفهموا المراد ، ولا أصابوا شاكلة الغرض ، فإنّ غرضه من قوله : «لا ولد لكم» تراقبون حاله بعدكم ، فاسرعوا في نيل الشهادة والفوز بنعيم الجنان .

علىٰ أنّ شيخنا العلّامة الشيخ عبد الحسين الحلّي في النقد النزيه ج١ ص٩٩ احتمل تصحيف (إرثكم) من (أُرزأ بكم) أو (أرزأكم) ، وليس هذا ببعيد .

وأقرب منه احتمال شيخنا الحجّة الشيخ آغا بزرك مؤلّف كتاب (الذريعة إلىٰ تصانيف الشيعة) تصحيف (إرثكم) من (أرثيكم) ، فكأنّه عليه السلام أراد أولاً : أن يفوز بالإرشاد إلىٰ ناحية الحقّ ، وثانياً : تجهيز المجاهدين، وثالثاً : البكاء عليهم ورثائهم ، فإنّه محبوب للمولىٰ تعالىٰ .

ويشبه قول العبّاس لأُخوته قول عابس بن أبي شبيب الشاكري لشوذب مولىٰ شاكر : «يا شوذب ما في نفسك أنّ تصنع ؟ قال : أُقاتل معك دون ابن بنت رسول اللّه حتّىٰ أُقتل ! فقال : ذلك الظنّ بك ، فتقدّم بين يدي أبي عبداللّه حتّىٰ يحتسبك كما احتسب غيرك من أصحابه ، وحتّىٰ احتسبك أنا ، فإنّه لو كان معي الساعة أحدُ أنا أولىٰ به منك لسرّني أن يتقدّم بين يدي حتّىٰ أحتسبه ، فإنّ هذا يوم ينبغي لنا أن نطلب الأجر فيه بكُلّ ما قدرنا عليه ، فإنّه لا عمل بعد اليوم ، وإنّما هو الحساب»[1] (الطبري ج٦ ص٢٥٤) .

---

(١) تاريخ الطبري ٤ : ٣٣٨ .

حديث الصادق عليه السلام

إنّ ما يتعرّف منه منزلة أبي الفضل العالية وإثبات الخصال الحميدة له ، إخبار أئمة الدين العارفين بضمائر العباد وسرائرهم ، الواقفين علىٰ نفسيّات الأُمة علىٰ كثب بتحقّقها فيه ، وقد عبثت أيدي التلف في أكثرها ، فإنّ الصدوق يحدّث في الخصال ج١ ص٣٥ بعد ذكره حديث السجّاد في فضل العبّاس أنّه أخرج الخبر بتمامه ، مع أخبار في فضائل العبّاس في كتاب مقتل الحسين عليه السلام .

وظاهره أن هناك أخباراً كثيرة في فضل أبي الفضل رويت عنّا ككتابه المقتل ، ولا غرو فلقد اندثر بتعاقب الحوادث الكثير من المؤلّفات .

وكيف كان ، فلعلّ من تلك الأخبار ما رواه في عمدة الطالب ، عن الشيخ الجليل أبي نصر البخاري النسّابة ، عن المفضّل بن عمر أنّه قال : «قال الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام : كان عمّنا العبّاس بن علي نافذ البصيرة ، صلب الإيمان ، جاهد مع أبي عبداللّه وأبلى بلاءً حسناً ، ومضى شهيداً»[1] .

وكذلك قوله عليه السلام فيما علّم شيعته أن يخاطبوه به من لفظ

---

(١) عمدة الطالب لابن عنبة : ٣٥٦ ، مقتل الحسين لأبي مخنف : ١٧٦ . الأنوار العلوية للنقدي : ٤٤٢ .

الزيارة، المرورية بسند صحيح متفق عليه، فإنّه عند التأمّل فيما خاطبه به الإمام العارف بأساليب الكلام ومقتضيات الأحوال، تظهر لنا الحقيقة، ونعرف منزلة للعبّاس سامية لاتعد ومنزلة المعصومين، فقال عليه السلام في صدر سلام الإذن:

«سلام اللّه، وسلام ملائكته المقرّبين، وأنبيائه المرسلين، وعباده الصالحين، وجميع الشهداء والصدّيقين، الزاكيات الطيّبات، فيما تغتدي وتروح عليك يا بن أمير المؤمنين».

فإنّه أشار بهذا إلىٰ مصبّ سلام اللّه الذي هو رحمته المتواصلة والعطف الغير محدود الذين لا انقطاع لهما.

وسلام الملائكة المشاهدين لمقادير الرجال في ملأ القدس وحظيرة الجلال.

وسلام الأنبياء الذين لا يعدون مرضات اللّه ووحيه في أفعالهم وتروكهم.

وسلام الصالحين والشهداء الذين أدركوا بفضل الاتصال بالرسل وأوصيائهم أو بالتجرّد ومشاهدة الحقائق الثابتة في عالم الغيوب، زيادة علىٰ ما عرفوه من مقام أبي الفضل وفضله.

فكُلّ هؤلاء يتقرّبون إلىٰ اللّه تعالى بالدعاء له، واستنزال الرحمة منه سبحانه، وإهداء التسليمات إليه، لمّا عرفوا أنّه من أقرب الوسائل إليه، وحيث كانت خالصة للزلفة، ماحضة في التقرّب إليه جلّ ذكره، عادت زاكية طيّبة بنصّ الزيارة: «الزاكيات الطيّبات».

وأمّا علىٰ رواية ابن قولويه في كامل الزيارة من زيادة (واو العطف) قبل الزاكيات الطيّبات، فيراد بهما العنايات الخاصّة التي

ليست بدعاء من أحد ، ولا بأسباب عادية ، ولا يعدم هذه الأنبياء والأوصياء والأقلّون ممّن اقتفوا أثرهم ، وليست هي شرعة لكُلّ وارد ، وإنّما يحظى بها الأفذاذ ممّن كهربتهم القداسة الإلهية ، وجذبتهم جاذبة الصقع الربوبي ، وهكذا المقرّبون والأفذاذ عند صعودهم .

وإذا قرأنا زيارة الصادق عليه السلام لجدّه الحسين : «سلام اللّه وسلام ملائكته فيما تروح وتغدو ، والزاكيات الطاهرات لك وعليك ، سلام الملائكة المقرّبين والمسلمين لك بقلوبهم والناطقين بفضلك . . .»[١] وضح لنا أنّ منزلة أبي الفضل تضاهي منزلة الحسين، حيث أثبت له مثل هذا السلام .

ثُمّ قال عليه السلام : «أشهد لك بالتسليم والتصديق والوفاء والنصيحة لخلف النّبي المرسل»[٢] .

هاهنا أثبت لأبي الفضل منزلة التسليم التي هي من أقدس منازل السالكين، وفوق مرتبة الرضا والتوكّل ، فإنّ أقصىٰ مرتبة الرضا أن يكون محبوب المولىٰ سبحانه محبوباً له ، موافقاً لطبعه ، فالطبع ملحوظ فيه .

وأقصىٰ مراتب التوكّل أن ينزل نفسه بين يدي المولىٰ سبحانه وتعالىٰ منزلة الميت بين يدي الغاسل ، بحيث لا إرادة له إلّا ما يفعله الغاسل به ، فصاحب التوكّل مسلوب الإرادة ، وأمّا صاحب التسليم فلا يرىٰ لغير اللّه وجوداً مع اللّه فضلاً عن نفسه ، ولا يكون له طبع يوافق أو يخالف في الإرادة ، أو نفساً قد تنفّست بالإرادة ، فهو

---

(١) كامل الزيارات : ٣٥٨، بحار الأنوار ٩٨ : ١٤٨.
(٢) كامل الزيارات : ٤٤٠ .

قريب من عالم الفناء.

وهذه المرتبة فوق مرتبة التوكّل التي هي فوق مرتبة الرضا لا تحصل إلّا بالبصيرة النافذة، والوصول إلىٰ أعلىٰ مراتب اليقين، تلك المرتبة التي أخبر عنها أمير المؤمنين عليه السلام: «لو كُشِف الغطاء ما ازددت يقيناً».

أمّا العناوين الثلاثة وهي: «التصديق، والوفاء، والنصيحة» فلا شكّ أنّ الإمام يريد أن أبا الفضل في أرقى مراتبها، لانبعاثها عن التسليم، وهو حقّ اليقين، فإنّه المناسب لتصديقه بأخيه الحجّة، وبنهضته في ذلك الموقف الحرج، وهكذا وفاؤه ونصيحته، فإنّ وفاء شخص لآخر كما يمكن أن يكون لأجل الأُخوة والرحم والصحبة ويمكن أن يكون لأجل المعرفة التامّة، بما أوجب اللّه له من الحرمة والحقّ علىٰ الأُمة.

وحيث إنّ الإمام أثبت لأبي الفضل أرقى مرتبة السالكين، وهي التسليم اللازم لحقّ اليقين، فلا بدّ أن يكون ما صدر منه من التصديق بنهضة أخيه والوفاء لحقّه والمناصحة في العمل، منبعثاً عن حقّ اليقين بذلك الأمر الواجب، لا لأجل أنّ الحسين أخوه أو رحمه أو ابن رسول اللّه، فإنّ هذه المرتبة وإن مُدح عليها الشخص إلّا أنّ المرتبة الأُولىٰ أرقىٰ وأرفع، ولا ينالها إلّا ذوو النفوس القدسيّة ممّن وجبت لهم العصمة.

ويؤيّد ذلك تعقيب العناوين الثلاثة بقوله عليه السلام: «لخلف النّبي المرسل»، فإنّه لو لم يرد هذا لقال في الخطاب: (لأخيك) أو (للحسين) أو (لابن أمير المؤمنين)، فالتعبير بخلف النّبي لا يُراد منه إلّا أنّ الدافع لأبي الفضل علىٰ التسليم والتصديق والوفاء

والنصيحة بالمفادات إلّا كون الحسين إماماً مفروض الطاعة، وهذا مغزىٰ لا يبعث إليه إلّا البصيرة المميّزة لشرف الغايات المتحرّية لكرائمها.

ثُمّ إنّ من تخصيص الإمام الخطاب له دون غيره من الشهداء بقوله: «لعن اللّه من جهل حقّك واستخفّ بحرمتك» نعرف أنّ غيره من الشهداء لم يُدرك هذا المدىٰ، وإن كان لكُلّ منهم حقّاً وحرمة، إلّا أنّ شبل أمير المؤمنين كانت معارفه أوسع، وإيمانه أثبت، فكان له حقّ في الدين، وحقّ علىٰ الأُمة لا ينكر، فاستحقّ بكُلّ منهما اللعن علىٰ جاهله والمستخف به، فالشهداء وإن أخلصوا في التضحية والمفادات، وكان منبعثاً عن طهارة الضمائر والمعرفة بحقّ الإمام، فلهم حقوق وحرمات، لكن لحق العبّاس منعة بين هاتيك الحقوق، ولحرمته بذخ بين تلك الحرمات، بعد ما ثبت منهما لأخيه الإمام المظلوم، لنفوذ بصيرته، وصلابة إيمانه بنصّ الصادق.

ثُمّ قال الصادق عليه السلام في الزيارة المتلوة داخل الحرم: «أَشهد وأُشهد اللّه أنّك مضيت علىٰ ما مضى به البدريّون»[١].

لقد جرىٰ التشبيه بالبدريّين مجرىٰ التقريب إلىٰ الأذهان، في الإشادة بموقف أبي الفضل من البصيرة، فإنّ أهل بدر أظهر أفراد أهل البصائر؛ لأنّهم قابلوا طواغيت قريش علىٰ حين ضعف في المسلمين، وقلّة في العدّة والعتاد، فلم يملكوا إلّا فرسين أحدهما: لمرثد بن أبي مرثد الغنوي، والآخر: للمقداد بن الأسود الكندي،

---

(١) المزار للشيخ المفيد: ١٢٢، المزار للمشهدي: ١٦٦، بحار الأنوار ٩٧: ٤٢٧.

وكانوا يتعاقبون علىٰ سبعين بعير، الاثنان والثلاثة[١].

لكنّهم خاضوا غمرات الموت تحت راية النبوّة، بقوّة الإيمان، وعتاد البصيرة، إلّا من استولىٰ الرين علىٰ قلبه، فردّوا سيوف قريش مفلولة، ورماحهم محطّمة، وجموعهم بين قتلىٰ وأسرىٰ ومشرّدين، فحظوا بأوّل فتح إسلامي، قويت به دعائمه وشيّدت معالمه من الإمداد ﴿بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلاَئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾[٢].

وأعظم من ذلك مشهد الطفّ الذي التطمت فيه أمواج الموت، وكشفت الحرب عن ساقها، وكشفت عن نابها.

وللأخطارِ وَجهٌ مُكفهِر ... يُشيبُ لِهَولِه المُردِي الغُلّامِ

تَرىٰ الأبطَال مِن فَرِقٍ سُكارَىٰ ... يُدَارُ مِن الرَدَىٰ فِيهم مُدَام

فقابلهم عصبة الحقّ من غير مدد يأملونه، أو نصرة يرقبونها، والعطش معتلج بصدورهم، ونشيج الفواطم من ورائهم، فتلقّوا جبال الحديد بكُلِّ صدر رحيب، وجنان طامن، فلم تسل تلك النفوس الطاهرة إلّا علىٰ قتل أُميّة المنقوض، ولا أُريقت دماؤهم الزاكية إلّا علىٰ حبلهم المنتكث، فلم تبرح آل حرب إلّا كلعقة الكلب أنفه، حتّىٰ اكتسحت معرتهم من أديم الأرض، وتفرّقوا أيدي سبا، فيوم الطفّ فتح إسلامي بعد الجاهلية المستردة من جراء أعمال الأمويين[٣].

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٢ : ١٢، تاريخ الطبري ٢ : ١٧٢، سبل الهدىٰ والرشاد للصالحي الشامي ٤ : ٢٤، تفسير البغوي ١ : ٢٨٣.

(٢) آل عمران : ١٢٥، قال تعالىٰ : ﴿بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَـٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلاَئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾.

(٣) لقد أجاد العلّامة السيّد باقر نجل آية اللّٰه السيّد محمّد الهندي رحمه الله إذ يقول :

=

وإليه أشار الإمام الشهيد في كتابه إلىٰ بني هاشم لمّا حلّ أرض كربلاء : «من لحق بي منكم استشهد ، ومن تخلّف عنّي لم يبلغ الفتح»[١] .

فإنّه عليه‌السلام لم يرد بالفتح إلّا ما ترتّب علىٰ نهضته المقدّسة وتضحيته الكريمة ، من نقض دعائم الإلحاد ، وكسح أشواك الباطل عن صراط الشريعة المطهّرة ، وإحياء دين جدّه الصادع به ، الذي لاقىٰ المتاعب في تأييده وتشييده .

وأنت أيّها البصير إذا استشففت الحادثة من وراء نظارة في التنقيب تجد سيّدنا أبا الفضل سيّد القوم بعد أخيه السبط ، وهو المسدد لهم في النضال .

كما أنّ الباحث إذا أعطىٰ النظر حقّه يجد ضحايا (الطفّ) أشدّ انقطاعاً عن المدّد من مجاهدي يوم بدر ، وأبلغ بأساً ، وأقلّ عدداً ، مع اكتناف الكوارث بهم ، واعواز الملجأ أكثر ممّا احتفّ بأهل بدر .

مع أنّ المناوئين لشهداء (الطفّ) أوفر عدداً ، وأقوىٰ عتاداً ، وأوثق مدداً . وإنّ لهم دولة مؤسسة ، تنضّددت جحافلها ، وخفقت بنودها ، وتواصلت قواتها بخلاف الحالة يوم بدر .

فلقد كان المحاربون للمسلمين شتات ، من طواغيت العرب ،

=

لَو لَم تَكُن جمعت كُلَّ العلا فينا ... لكَانَ مَا كَانَ يَومَ الطَّفِ يَكفِينَا
يَومٌ نَهضنَا كأَمثَالِ الأُسودِ بِهِ ... وأَقبلَت كالدَّبا زَحفَاً أَعادِينَا
جَاؤُوا بسبعِين أَلفاً سُلْ بقيتَهم ... هَل قَابلوَنا وَقد جِئنَا بِسبعِنَا

(١) بصائر الدرجات للصفّار : ٥٠٢ ، دلائل الامامة للطبري الشيعي : ١٨٨ ، الخرائج والجرائح للراوندي ٢ : ٧٧١ ، مثير الأحزان لابن نما : ٢٧ .

حداهم إلىٰ الحرب بواعث الحقد والنخوة ، ومن المحتمل القريب انحلال جامعتهم إذا ضربت الحرب عليهم بجرانها لأنّهم كانوا يفقدون أيّ مدد من القبائل ، ولم يخرجوا متأهّبين للاستمداد ، حيث ظنّوا خوراً في المسلمين، وحسبوا استئصال شأفتهم وأنّهم كشربة ماء (ولكن لا مبدّل لحكم اللّه تعالىٰ) .

فالموقف يوم الطفّ أحرج ، والكرب أكثر ، والمقاسات أصعب ، وبقدر المشقّة تجري الأُجور ، وتقسم الفضائل ، فشهداء كربلاء أولىٰ بالفضيلة .

وضَرب الإمام عليه السلام المثل لهم بأهل بدر إذ يقول : «إنّك مضيت علىٰ ما مضىٰ به البدريون» لا يوجب فضيلة أهل بدر عليهم ، كما هي قاعدة التشبيه ، وإنّما ذلك من باب التقريب إلىٰ الأفهام ، كما في قوله تعالى : ﴿ **مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ ...** ﴾[1] .

وأين من النور الإلهي المشكاة ومصباحها ، ولكن لمّا لم تدرك الأبصار ذلك النور الأقدس ، وإنّما تُدركه البصائر ، ضرب اللّه تعالىٰ المثل بما يدركونه ؛ تقريباً للأذهان ، وهكذا الحال فيما نحن فيه .

وإلىٰ هذه الدقيقة وقع الإيعاز منه عليه السلام فيما بعد هذه الفقرة من الزيارة بقوله عليه السلام : «فجزاك اللّه أفضل الجزاء ، وأكثر الجزاء ، وأوفر الجزاء ، وأوفىٰ جزاء أحد ممّن وفىٰ ببيعته ، واستجاب له دعوته ، وأطاع ولاة أمره»[2] .

فلو كان في المجاهدين من هو أوفر فضلاً من أبي الفضل

---

(١) النور : ٣٥ .

(٢) كامل الزيارات : ٤٤١ ، تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي ٦ : ٦٦ ، المزار للمفيد : ١٢٢ ، المزار للمشهدي : ١٧٨ .

العبّاس لكان هذا الدعاء، أو الإخبار عن أمره شططاً من القول، خارجاً عن ميزان العدل، تعالىٰ عنه كلام المعصوم، فإذن لم يكن غيره من المجاهدين مطلقاً أوفر فضلاً، ولا أكثر جزاءً، ولا أوفىٰ بيعة إلّا من أخرجه الدليل من الأئمة المعصومين.

ثُمّ إنّ هناك مرتبة أُخرىٰ ثبتت لأبي الفضل، خصّه بها الإمام الصادق عليه السلام بقوله: «أشهد أنّك قد بالغت في النصيحة، وأعطيت غاية المجهود، فبعثك اللّه في الشهداء، وجعل روحك مع أرواح السعداء، وأعطاك من جنانه أفسحها منزلاً، وأفضلها غرفاً»[1].

فإنّ المبالغة في أمثال المقام عبارة عن بلوغ الأمر إلىٰ حدوده اللازمة، وكم له من نظير في استعمالات العرب ومحاوراتهم. ولا شكّ أنّ كُلّ واحد من شهداء الطفّ قد بالغ في النصيحة، ولم يأل جهداً في أداء ما وجب عليه، ولكُلٍّ منهم في ذلك المشهد الدامي شواهد من أقواله وأعماله.

ومن المسلّم أنّ المعروف بقدر المعرفة كماً وكيفاً، فصاحب السنام الأرفع في العرفان المتربّع علىٰ أعلىٰ منصّة من الإيمان لا بدّ وأن يقاسي أشد ضروب الجهاد، ويتظاهر بأجمل مظاهرها، من الدؤوب علىٰ الحرب والضرب، وإن طال المدىٰ، وبعد الأمد، إن كان الجهاد نضالاً، كما لا بدَّ له من المثابرة علىٰ مكافحة النفس الأمارة، وكسر شوكتها، وردّ صولتها، وكبح جماحها، وترويض النفس بالطاعة، وإلزامها بلوازمها الشاقة طيلة حياته، إن كان الجهاد نفسياً.

---

(١) كامل الزيارات: ٤٤١، تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي ٦: ٦٦، المزار للمفيد: ١٢٢، المزار للمشهدي: ١٧٨.

وفي هذين الحالتين لا بدّ وأن يكتنف العمل المقارنات المطلوبة ، مثل : نيّة القربّة ، والإخلاص فيها ، المنبعث عن حبِّ المولىٰ سبحانه ، الهادي إلىٰ معرفة تؤهله إلىٰ الطاعة ، وعن معرفة نعم الباري عزّ وجلّ الواجب شكرها ، وعن الهيبة الناشئة عن لحاظ عظمته ، إلىٰ أمثال هذه من الملحوظات .

وقصارىٰ القول : كما أنّ مراتب الإيمان والمعرفة متفاوتة مقولة بالتشكيك ، كذلك مراتب العمل متفاوتة حسب تفاوت تلك المراتب ، فصاحب عمل كُلِّ مرتبة محدود بحدودها .

وحينئذٍ فلا شكّ أنّ كُلّ واحد من شهداء الطفّ ، وإن بلغ الغاية في الجهاد ، وأدّىٰ حقّ النصيحة ، لكن (شهيد العلقمي) لمّا كانت بصيرته أنفذ ، وعلمه أوفر ، وإيمانه أثبت ، كان مداه أبعد ، وغايته أسمىٰ ، وحدوده أوسع ، ولذلك خاطبه الصادق عليه السلام بهذا الخطاب ، وخصّه بالمبالغة في التضحية ، فكان هذا كفضيلة مخصوصة به ؛ لأنّ هاتيك المراتب الراقية لم توجد في غيره .

ولعلّ من ناحية هذه المراتب الثلاث ثبت له عليه السلام حقّ في الدين ، وحقّ علىٰ الأُمة ، وحرمة لا تنكر ، فاستحقّ أن يخاطبه الإمام في سلام الإذن بقوله : «لعن اللّه من جهل حقّك واستخفّ بحرمتك»[1] .

وهناك درجة أربىٰ وأربع أشار إليها الصادق بقوله : «ورفع ذكرك في علّيين»[2] .

فإنّ «حامىٰ الشريعة» لم يبرح مواصلاً في الخدمات ، حتّىٰ أقبل إلىٰ اللّه تعالىٰ متلفّعاً بدم الشهادة ، شهادة صكّ نبؤها مسامع

---

(١) المزار للشهيد الأوّل : ١٦٥ .

(٢) كامل الزيارات : ٤٤١ ، المزار للشهيد الأوّل : ١٣٣ .

الملكوت ، حتّىٰ أشرأب له هنالك من أنبياء ، ومرسلين ، وحجج معصومين ، وملائكة مقرّبين ، وحور ، وولدان ، وأرواح مقدّسة ، ومقدّسات زاكيات طيّبات ، فلم يلق عليه السلام في صعوده إليهم إلّا ثغوراً باسمه ، ووجوهاً مستبشرة ، وايذاناً له بالبشرىٰ الخالدة ، ونعيم الأبدّ ، فطفق يرف بين ذلك الجيل القدسي ، الزاهر بنور العصمة ، ورونق العلم ، وهيبة العظمة ، وسمات الجلالة ، وشارات النزاهة ، وبهجة العطف الإلهي ، وبهاء النظر إلىٰ الجلال السرمدي ، والاتصال بالرضوان الأكبر ، وعليه أُبهة الولاء ، وجلالة الطاعة ، وبلج التضحية ، وزلفىٰ المفادات ، وزهو العلم والعمل ، ولذكره في ذلك المنتدىٰ الرهيب رفعة ومنعة ، وإليه يشير الإمام الصادق عليه السلام في لفظ الزيارة : «ورفع ذكرك في علّيين» .

فإنّ الغرض من هذا التعبير ليس إلّا ما شرحناه ، لا مجرّد صعود ذكره الطيّب إلىٰ ذلك الملأ الأرفع ، شأن كُلّ صالح في عالم الوجود ، لكن الشأن كُلّه إن يكون لذكر ما لمجيد هنالك بذخ ، واكبار فيرمقه كُلّ طرف بنظر الاجلال ، ويسمع الهتاف به بإذن التقدير ، وتنعقد الضمائر علىٰ تقديسه ، ولو أراد الإمام مجرّد ذكره إلىٰ ذلك العالم القدسي لقال في الخطاب : «ورفع ذكرك إلىٰ عليين» ، ولكن حيث إنّه أراد رفع الذكر بين أفراد أُولئك الذين أختصّ محلّهم فيه جاء بفاء الظرفية فقال : «في علّيين» .

وأما قوله عليه السلام في الزيارة التي رواها المجلسي في مزار البحار ص١٦٥ عن مزار الشيخ المفيد وابن المشهدي : «لعن اللّه أُمة استحلّت منّك المحارم ، وانتهكت فيك حُرمة الإسلام»[1] ؛ فيرشدنا

(١) بحار الأنوار ٩٨ : ٢١٩ ، المزار للمفيد : ١٢٤ ، المزار للمشهدي : ٣٩١ .

إلىٰ مكانة سامية لأبي الفضل ، تصعد به إلىٰ فوق مرتبة العصمة ، فإنّا لم نجد مثل هذا الخطاب في أي واحد من الشهداء ، مع بلوغهم أعلىٰ مرتبة الفضل التي لم يحزها أي شهيد غيرهم ، حتّىٰ استحقّوا أن يخاطبهم الإمام في زيارة النصف من رجب بقوله : « السلام عليكم يا مهديون ، السلام عليكم يا طاهرون من الدنس »[1] ، ويقول أيضاً : « طبتم وطابت الأرض التي فيها دفنتم »[2] .

بل لم يخاطب بمثل ذلك علياً الأكبر الذي لا شكّ في عصمته ، ومنه يظهر أنّ للعبّاس منزلة ومقاماً يشارف مقام الحجج المعصومين عليهم السلام ، تناط به حرمة الإسلام ، كما تناط بهم صلوات اللّه عليهم ، وإنّها تنتهك بمثله كما تنتهك بمثلهم عليهم السلام ، وهذا مقام فوق العصمة المرجوّة له .

---

(١) بحار الأنوار ٩٨ : ٣٣٠ ، والوارد في الزيارة : « ... السلام عليكم يا طاهرون ، السلام عليكم يا مهديون ... » ، نعم ورد في زيارات أُخرىٰ قوله عليه السلام : « وطهّركم من الدنس » كامل الزيارات : ٥٢٧ .

(٢) المزار للشهيد الأوّل : ١٢٩ ، المزار للمشهدي : ٤٦٥ .

العبّاس في نظر الأئمةعليهم السلام

إنّي لا أحسب القارئ في حاجة إلىٰ الإفاضة في هذه الغاية، بعد ما أوقفناه علىٰ مكانة أبي الفضل عليه السلام، من العلم والتقى والملكات الفاضلة، من إباء وشمم وتضحية في سبيل الهدىٰ، وتهالك في العبادة، فإنّ أئمة الهدىٰ من أهل البيت عليهم السلام يُقدّرون لمن هو دونه في تلكم الأحوال فضله، فكيف به وهو من لحمتهم، وفرع أرومتهم، وغصن باسق في دوحتهم؟! وقد أثبت له الإمام السجاد عليه السلام منزلة كبرىٰ لم ينلها غيره من الشهداء ساوى بها عمّه الطيار، فقال عليه السلام:

«رحم اللّه عمّي العبّاس بن علي، فلقد آثر وأبلىٰ، وفدىٰ أخاه بنفسه حتّىٰ قُطعت يداه، فأبدله اللّه عزّوجلّ جناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنّة، كما جعل لجعفر بن أبي طالب، إنّ للعبّاس عند اللّه تبارك وتعالى منزلة يغبطه عليها جميع الشهداء يوم القيامة»[1].

ولفظ «الجميع» يشمل مثل حمزة وجعفر الشاهدين للأنبياء بالتبليغ وأداء الرسالة، وقد نفىٰ البعد عنه العلّامة المحقّق المتبحر في الكبريت الأحمر ص٤٧ ج٣.

ولعلّ ما جاء في زيارة الشهداء يشهد له: «السلام عليكم أيّها الربّانيون، أنتم لنا فرط وسلف ونحن لكم أتباع وأنصار، أنتم سادة

---

(١) الأمالي للشيخ الصدوق: ٥٤٨، الخصال: ٦٨.

الشهداء في الدنيا والآخرة»[١].

وكذلك قوله عليه السلام فيهم: إنّهم لم يسبقهم سابق، ولا يلحقهم لاحق.

فقد أثبت لهم السيادة علىٰ جميع الشهداء، أنّهم لم يسبقهم ولا يلحقهم أي أحد، وأبو الفضل في جملتهم بهذا التفضيل، وقد انفرد عنهم بما أثبته له الإمام السجاد عليه السلام من المنزلة التي لم تكن لأيّ شهيد.

ولهذه الغايات الثمينة، والمراتب العُليا كان أهل البيت عليهم السلام يدخلونه في أعالي أُمورهم ما لا يتدخّل فيه إنسان عادي، فمن ذلك مشاطرته الحسين عليه السلام في غسل الحسن عليه السلام[٢].

وأنتَ بعد ما علمت مرتبة الإمامة، وموقف صاحبها من العظمة، وأنّه لا يلي أمره إلّا إمام مثله، فلا ندحة لك إلّا الإيمان بأنّ من له أي تدخل في ذلك بالخدمة من جلب الماء وما يقتضيه الحال أعظم رجل في العالم بعد أئمة الدين، فإنّ جثمان المعصوم عند سيره إلىٰ المبدأ الأعلىٰ ـ تقدّست أسماؤه ـ لا يمكن أن يقرب أو ينظر إليه من تقاعس عن تلك المرتبة، إذ هو مقام قاب قوسين أو أدنىٰ، ذلك الذي لم يطق الروح الأمين أن يصل إليه حتّىٰ تقهقر، وغاب النّبي الأقدّس في سبحات الملكوت والجلال وحده إلىٰ أن وقف الموقف الرهيب.

---

(١) كامل الزيارات: ٣٧٢، تهذيب الأحكام ٦: ٦٥، المزار للمفيد: ١٢٠، المزار للمشهدي: ٣٨٨.

(٢) ورد في ذخائر العقبىٰ: ١٤١، الذرية الطاهرة للدولابي: ١٢٠، وكشف الغمة ٢: ١٧١، وبحار الأنوار ٤٤: ١٣٧: «وولى غسله الحسين ومحمّد والعبّاس أخوته..». ولم يرد في مصدر أن المشارك للحسين عليه السلام العبّاس فقط.

وهكذا خلفاء النّبي ﷺ المشاركون له في المآثر كُلّها ما خلا النبوّة والأزواج[١]، ومنه حال انقطاعهم عن عالم الوجود بانتهاء أمد الفيض المقدّس.

وممّا يشهد له أنّ الفضل بن العبّاس بن عبد المطلب كان يحمل الماء عند تغسيل النّبي ﷺ، معاوناً لأمير المؤمنين عليه السلام علىٰ غسله، ولكنّه عصب عينيه خشية العمىٰ إن وقع نظره علىٰ ذلك الجسد الطاهر.

ومثله ما جاء في الأثر عن الإشراف علىٰ ضريح رسول اللّه، حذراً أن يرىٰ الناظر شيئاً فيعمىٰ[٢]، وقد اشتهر ذلك بين أهل المدينة، فكان إذا سقط في الضريح شيء أنزلوا صبياً وشدّوا عينيه بعصابة فيخرجه.

وهذه أسرار لا تصل إليها أفكار البشر، وليس لنا إلّا التسليم علىٰ الجملة، ولا سبيل لنا إلىٰ الإنكار بمجرّد بُعدنا عن إدراك مثلها، خصوصاً بعد استفاضة النقل في أنّ للنّبي والأئمة بعد وفاتهم أحوالاً غريبة، ليس لسائر الخلق معهم شركة، كحرمة لحومهم علىٰ الأرض، وصعود أجسادهم إلىٰ السماء، ورؤية بعضهم بعضاً، وإحيائهم الأموات منهم بالأجساد الأصلية عند الاقتضاء، إذ لا يمنع العقل منه مع دلالة النقل الكثير عليه، واعتراف الأصحاب به[٣]،

---

(١) في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام: «كلّ ما كان للرسول ﷺ فلنا مثله، إلّا النبوّة والأزواج» المحتضر: ٤٧.

(٢) فقه الإمام الرضا لابن بابويه: ١٨٨، مستدرك الوسائل ٢: ١٩٧، المسترشد لابن جرير: ٣٣٦، بحار الأنوار ٢٢: ٤٩٢.

(٣) قال الشيخ المفيد في أوائل المقالات: ٧٢: «والأئمة من عترته خاصّة لا =

فيصار التحصل أنّ الحواس الظاهرة العادية لا تتحمّل مثل تلك الأمثلة القدّسية ، وهي في حال صعودها إلىٰ سبحات القدس إلّا نفوس المعصومين بعضها مع بعض دون غيرهم ، مهما بلغ من الخشوع والطاعة .

لكنّ (عباس المعرفة) الذي منحه الإمام في الزيارة أسمى صفة حظي بها الأنبياء والمقرّبون وهي : «(العبد الصالح) تسنّى له التوصّل إلىٰ ذلك المحل الأقدس ، من دون أن يذكر له تعصيب عين أو إغضاء طرف ، فشارك السبط الشهيد ، والرسول الأعظم ، ووصيه المقدّم مع الروح الأمين ، وجملة الملائكة في غسل الإمام المجتبىٰ الحسن السبط صلوات اللّه عليهم أجمعين[1] .

= يخفى عليهم بعد الوفاة أحوال شيعتهم في دار الدنيا ، بإعلام اللّه تعالى لهم ذلك ، حالاً بعد حال ، ويسمعون كلام المناجي لهم في مشاهدهم المكرمة» .

وقال العلّامة المجلسي في بحار الأنوار ٢٧ : ٣٠١ بعد ما نقل كلام الشيخ المفيد المتقدّم : «وهذا مذهب فقهاء الإمامية كافة وحملة الآثار منهم . ولست أعرف فيه لمتكلّميهم من قبل مقالاً . .» .

وفي كنز الفوائد للكراجكي ١ : ٢٤٦ ، ومنهج الرشاد لمن أراد السداد : ٥٦٢ ، وبصائر الدرجات للصفار : ٤٤٥ : أنّ لحومهم محرّمة علىٰ الأرض ، وأنّها ترتفع إلىٰ السماء بعد ثلاثة أيام .

وحكي عن الشيخ الأعظم قدوة السالكين المولى فتح علي بن المولى حسن السلطان آبادي : أنّه لمّا زار أمير المؤمنين عليه السلام ورجع إلىٰ مشهد الحسين أسف علىٰ عدم مذاكرته مع علماء النجف في مسألة بقاء جسد الإمام طرياً أو أنّه يبلى ، فرأىٰ في المنام أنّه داخل إلىٰ الروضة فرأىٰ جسداً موضوعاً علىٰ الحصير والدم يجري من أعضائه ، فسأل عنه؟ قيل : إنّه جسد الحسين ، أما علمت أنّ أجسادهم لا تُبلىٰ .

(١) روي الصفّار في بصائر الدرجات : ٢٤٥ عن الباقر عليه السلام : أنّ أمير المؤمنين عليه السلام شاهد جبرائيل والملائكة يعينونه علىٰ غسل النّبي وتكفينه وحفر =

وهذه هي المنزلة الكبرىٰ التي لا يحظى بها إلّا ذوو النفوس القدسية ، من الحجج المعصومين ، ولا غرو إن غبط أبا الفضل الصدّيقون والشهداء الصالحون .

وإذا قرأنا قول الحسين للعبّاس ، لمّا زحف القوم علىٰ مخيّمه ، عشية التاسع من المحرم : «اركب بنفسي أنت يا أخي» حتّىٰ تلقاهم وتسألهم عمّا جاءهم ، فاستقبلهم العبّاس في عشرين فارساً ، فيهم حبيب وزهير ، وسألهم عن ذلك؟ فقالوا : إنّ الأمير يأمر إمّا النزول علىٰ حكمه أو المنازلة ، فأخبر الحسين ، فأرجعه ليرجئهم إلىٰ غد[1] .

= القبر ونزولهم معه في القبر ، وكذا شاهدهم مع النّبي ﷺ الحسن والحسين يعينونهما علىٰ غسل أمير المؤمنين وتكفينه ، وشاهدهم الحسين مع النّبي وأمير المؤمنين يعينونه علىٰ غسل الحسن ، وشاهدهم الباقر مع النّبي وأمير المؤمنين والحسن والحسين يعينونه علىٰ غسل أبيه السجّاد .

(١) تاريخ الطبري ونصّ العبارة : «قال : وأقبل العبّاس بن علي يركض حتّىٰ انتهىٰ إليهم فقال : يا هؤلاء القوم إن أبا عبد اللّه يسألكم أن تنصرفوا هذه العشيّة حتّىٰ ينظر في هذا الأمر ، فإنّ هذا أمرٌ لم يجر بينكم وبينه فيه منطق ، فإذا أصبحنا التقينا إن شاء اللّه ، فاما رضيناه فأتينا بالأمر الذي تسألونه وتسومونه ، أو كرهنا فرددناه .

وإنّما أراد بذلك أن يردّهم عنه تلك العشيّة حتّىٰ يأمر بأمره ، ويوصي أهله ، فلمّا أتاهم العبّاس بن علي بذلك ، قال عمر بن سعد : ما ترىٰ يا شمر؟ قال : ما ترى أنت ، أنت الأمير والرأي رأيك! قال : أردت ألّا أكون ، ثُمّ أقبل علىٰ الناس فقال : ماذا ترون؟ فقال عمرو بن الحجاج بن سلمة الزبيدي : سبحان اللّه ، واللّه لو كانوا من الديلم ثمّ سألوك هذه المنزلة لكان ينبغي لك أن تجيبهم إليها . . وكان العبّاس بن علي حين أتىٰ حسيناً بما عرض عليه عمر بن سعد قال : ارجع إليهم فإن استطعت أن تؤخّرهم إلىٰ غدوة وتدفعهم عند العشيّة ، لعلّنا نصلّي لربّنا الليلة وندعوه ونستغفره ، فهو يعلم أنّي قد كنت أحب الصلاة له وتلاوة كتابه ، وكثرة الدعاء والاستغفار» .

فإنّك ترىٰ الفكر يسف عن مدىٰ هذه الكلمة، وأنّىٰ له أن يحلق إلىٰ ذروة الحقيقة من ذات مطهّرة تفتدىٰ بنفس الإمام، علّة الكائنات، وهو الصادر الأوّل، والممكن الأشرف، والفيض الأقدّس للممكنات: «بكم فتح اللّه وبكم يختم»[١].

نعم، عرفها البصير الناقد بعد أن جرّبها بمحكّ النزاهة، فوجدها غير مشوبة بغير جنسها، ثُمّ أطلق تلك الكلمة الذهبية الثمينة (ولا يعرف الفضل إلّا أهله).

ولا يذهب بك الظنّ ـ أيّها القارئ الفطن ـ إلىٰ عدم الأهمّية في هذه الكلمة بعد القول في زيارة الشهداء من زيارة وارث: «بأبي أنتم وأُمي، طبتم وطابت الأرض التي فيها دفنتم».

فإنّ الإمام في هذه الزيارة لم يكن هو المخاطِب لهم، وإنّما هو عليه السلام في مقام تعليم صفوان الجمّال عند زيارتهم أن يخاطبهم بذلك الخطاب، فإنّ الرواية جاءت كما في مصباح المتهجّد للشيخ الطوسي أنّ صفوان قال: استأذنت الصادق عليه السلام لزيارة الحسين وسألته أن يعرّفني ما أعمل عليه.

فقال له: «يا صفوان، صُم قبل خروجك ثلاثة أيام» إلىٰ أن قال: «ثُمّ إذا أتيت الحائر فقل: اللّه أكبر كبيراً»، ثُمّ ساق الزيارة إلىٰ أن قال: «ثُمّ اخرج من الباب الذي يلي رجلي علي بن الحسين وتوجّه إلىٰ الشهداء وقل: السلام عليكم يا أولياء اللّه..» إلىٰ آخرها.

فالصادق عليه السلام في مقام تعليم صفوان أن يقول في السلام علىٰ

---

(١) الكافي ٤: ٥٧٦، ح٢، عيون أخبار الرضا ١: ٣٠٨، تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي ٦: ٥٥.

الشهداء ذلك ، وليس في الرواية ما يدلّ علىٰ أنّ الصادق ماذا يقول لو أراد السلام عليهم .

وهنا ظاهرة أُخرىٰ دلّت علىٰ منزلة كُبرىٰ للعبّاس عند سيّد الشهداء ، ذلك أنّ الإمام الشهيد لمّا اجتمع بعمر بن سعد ليلاً وسط العسكرين ؛ لإرشاده إلىٰ سبيل الحقّ ، وتعريفه طغيان ابن ميسون ، وتذكيره بقول الرسول في حقّه ؛ أمر عليه السلام من كان معه بالتنحّي إلّا العبّاس وابنه علياً ، وهكذا صنع ابن سعد ، فبقي معه ابنه وغلامه .

وأنت تعلم أنّ ميّزة أبي الفضل علىٰ الصحب الأكارم ، وسروات المجد من آل الرسول الذي شهد لهم الحسين باليقين والصدق في النيّة والوفاء[1] ، غير أنّه عليه السلام أراد أن يوعز إلىٰ الملأ من بعده ما لأبي الفضل وعلي الأكبر من الصفات التي لا تحدها العقول .

ومن هذا الباب لمّا خطب يوم العاشر ، وعلا صراخ النساء وعويل الأطفال حتّىٰ كان بمسامع الحسين ، وهو ماثل أمام العسكر ، أمر أخاه العبّاس أن يسكتهنّ ، حذار شماتة القوم إذا سمعوا ذلك العويل ، وغيرة علىٰ نواميس حرم النبوّة أن يسمع أصواتهنّ الأجانب .

ولو رمتَ تحليلاً لتأخّر شهادة العبّاس عن جميع الشهداء ، وهو حامل تلك النفس النزاعة إلىٰ المفادات والتهلكة دون الدين ، فلا يمكنه حينئذٍ التأخر آناً ما ، فكيف بطيلة تلك المدّة ، وبمرأىٰ منه مصارع آل اللّه ، ونشيج الفواطم ، وإقبال الشرّ من جميع نواحيه ، واضطهاد حجّة الوقت ، بما يراه من المناظر الشبحية ؛ والواحدة من

---

(١) لعلّ جواب قول المصنّف : «وأنت تعلم . . .» وارد هنا وقد سقط من الطبعة السابقة ، وتقديره : «معلومة» ، أي أنّ منزلة أبي الفضل . . . معلومة .

ذلك لا تترك (لحامل اللواء) مساغاً عن أخذ التراث آناً ما.

لكن أهميّة موقفه عند أخيه السبط هو الذي أرجأ تأخيره عن الإقدام، فإنّ سيّد الشهداء يعدّ بقاءه من ذخائر الإمامة، وأنّ موتته تفتّ في العضد فيقول له: «إذا مضيتَ تفرّق عسكري»، حتّىٰ إنّه في الساعة الأخيرة لم يأذن له إلّا بعد أخذٍ وردّ.

وإنّ حديث (الإيقاد) لسيّدنا المتتبّع الحجّة السيّد محمّد علي الشاه عبد العظيم رحمه الله يوقفنا علىٰ مرتبة تضاهي مرتبة المعصومين، ذلك لمّا حضر السجّاد عليه السلام لدفن الأجساد الطاهرة ترك مساغاً لبني أسد في نقل الجثث الزواكي إلىٰ محلّها الأخير، عدىٰ جسد الحسين وجثّة عمّه العبّاس، فتولّىٰ وحده إنزالهما إلىٰ مقرّهما، أو إصعادهما إلىٰ حضيرة القدّس وقال: «إن معي من يعينني».

أما الإمام فالأمر فيه واضح؛ لأنّه لا يلي أمره إلّا إمام مثله، ولكن الأمر الذي لا نكاد نصل إلىٰ حقيقته وكنهه، فعله بعمّه الصدّيق الشهيد مثل ما فعل بأبيه الوصيّ، وليس ذلك إلّا لأنّ ذلك الهيكل المطهّر لا يمسّه إلّا ذوات طاهرة، في ساعة هي أقرب حالاته إلىٰ المولى سبحانه، ولا يدنو منه مَن ليس من أهل ذلك المحلّ الأرفع.

ولم تزل هذه العظمة محفوظة له عند أهل البيت دنياً وآخرة، حتّىٰ إنّ الصديقة الزهراء سلام اللّه عليها لا تبتدأ بالشكاية بأيّ ظلامة من ظلامات آل محمّد ـ وهي لا تُحصى ـ إلّا بكفّي أبي الفضل المقطوعتين، كما في الأسرار ص٣٢٥، وجواهر الإيقان ص١٩٤، وقد ادخرتهما من أهم أسباب الشفاعة يوم يقوم الناس لربِّ العالّمين.

العصمة

إنّ من الممكن جدّاً وليس بمحال . علىٰ اللّه تعالى ، أن ينشىء كياناً لا تقترب منه العيوب ، أو يخلق إنساناً لا يقترف الذنوب ، ولقد أوجد جلّ شأنه ذواتاً مقدّسة ، ونفوساً طاهرة ، وجبت فيهم العصمة من الآثام ، وتنزّهوا عن كُلّ رجس : **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾**[1] .

وقد اتفق أرباب الحديث والتراجم علىٰ حصر هؤلاء المنزّهين بالخمسة أصحاب الكساء ، وهم : محمّد ، وعلي ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين عليهم السلام .

ثُمّ أثبت أصحاب السيرة ما يضحك الثكلىٰ ويلحق بالخرافات ، فكان للغيرِ مجالُ الطعن والمناقشة ، ذكروا أنّ النّبي صلى الله عليه وآله لمّا بلغ من العمر سنتين ، وكان خلف البيوت عند بني سعد مع أتراب له ، أتاه رجلان عليهما ثياب بيض ، مع أحدهما طست من ذهب ، مملوء ثلجاً ، فشقّا بطنه وقلبه ، واستخرجا منه علقة سوداء هي مغمز الشيطان .

وطربوا لذلك حيث إنّ اللّه بلطفه وكرمه قدّس نبيّه الكريم من هذه العلقة .

---

(١) الأحزاب : ٣٣ .

ولكن ما أدري لماذا صنع به هذه العملية الدامية وهو طفل صغير لا يقوى علىٰ تحمّل الآلام ومعانات الجروح الدامية؟! ألم يكن في وسع القدرة الإلهية إيجاد ذات مقدّسة طاهرة من الأرجاس حتّىٰ عن هذه العلقة المفسّرة بمغمز الشيطان؟ كيف لا وقد خلقه اللّه من نور قدسه، وبرّأه من جلال عظمته، واصطفاه من بين رسله، وفضّله علىٰ العالمين، وفي الحديث عنه صلى الله عليه وآله: إنّ اللّه خلقني من صفوة نوره، ودعاني فاطعته. وحينئذٍ فهل يتصور نقص في النور الأقدس؟! تعالىٰ اللّه عن ذلك علوّاً كبيراً.

تِلكَ نَفسٌ عَزّت عَلىٰ اللّهِ قَدَراً ... فارتَضاهَا لِنفسهِ واصَطفَاهَا

حَازَ مِنْ جَوهَرِ التَقدّسِ ذَاتَاً ... تَاهت الأنبياء فِي مَعناهَا

لا تَجل فِي صِفاتِ أحمدَ فِكَراً ... فَهي الصُورةُ التي لَن تَراهَا

وأغرب من ذلك جواب السبكي عن هذه المشكلة بأنّ اللّه أراد أن يخلق نبيّه ـ أولاً ـ كاملاً لا نقصان فيه عن سائر الناس حتّىٰ في مثل هذه العلقة، لكونها من الأجزاء، ثُمّ بعد ذلك طهّره منها.

والعجب عدّ هذه العلقة من أجزاء بدن الإنسان التي يوجب فقدها نقصان الخلقة، وقد تنزّه عنها جلال النبوّة!

علىٰ أنّه أثبت ولادة النّبي مختوناً، وهذا أظهر في النقصان عمّا وجد عليه البشر من العلقة، لكونها غير مرئية.

وجواب الحلبي في السيرة ج١ ص١١٥ بأنّه إنّما ولد مختوناً لئلّا يطلع عليه المحرم وتنكشف عورته، لا يرفع إشكال النقصان عمّا عليه الناس.

وكيف كان فقد ثبت إمكان أن يخلق اللّه تعالىٰ ذواتاً مقدّسة، مُنزّهة عن الأرجاس، معصومة عن الخطأ، وقد يجب ذلك كما في

الهداة المعصومين، لكي يهدي بهم الناس[١].

وأمّا في غيرهم من الأطهار فلا يجب، ولكنّه غير ممتنع، فمن الممكن أن يمنح الباري سبحانه أفذاذاً من البشر فيكونوا قدوة لمن هم دونهم، وتكون بهم الأُسوة في عمل الصالحات، وإن كان في مرتبة نازلة عن منزلة الأنبياء المعصومين، فإنّهم وإن بلغوا بسبب التفكير والذكر المتواصل والتصفية والرياضة إلىٰ حيث لا يبارحون طريق الطاعة ولا يسلكون إلىٰ المعصية طريقاً، لكنّهم في حاجة إلىٰ مَن يسلك بهم السبيل الواضح، ويميّز لهم موارد الطاعة وموادها عن مساقط العصيان والتهلكة، بخلاف الحجج المقيّضين لإنقاذ البشر، المعنيّون بالعصمة هاهنا.

فمن كانت عصمته واجبة ـ كما في المعصومين ـ سمّيت عصمته استكفائية؛ لأنّه لا يحتاج في سلوكه إلىٰ الغير، لكونه في غنىً عن أيّ حجّة، لتوفّر ما أُفيض عليهم من العلم والبصائر، ومن لم تكن فيه العصمة واجبة وكان محتاجاً إلىٰ غيره في سلوكه وطاعته سُمّيت عصمته غير استكفائية، علىٰ تفاو ت في مراتبهم من حيث المعرفة والعلم واليقين.

وحينئذٍ ليس من البدع إذا قلنا: إنّ (قمر بني هاشم) كان

---

(١) السيرة الحلبية ١: ٨٧، البداية والنهاية ٢: ٣٢٥، امتاع الاسماع للمقريزي ٤: ٥٧، مجمع الزوائد للهيثمي، وهو ليس تعليلاً من النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإنما حديث مروي عنه صلى الله عليه وآله وسلم ورد فيه: «من كرامتي علىٰ ربي عزوجل أن ولدت مختوناً، ولم يرَ أحد سوأتي» وقد اختلفوا في تصحيح هذا الخبر وتضعيفه، ففي السيرة الحلبية في نفس المصدر قال: «..جاءت أحاديث كثيرة في ذلك، قال الحافظ ابن كثير: فمن الحفاظ من صححها ومنهم من ضعفها..».

متحلياً بهذه الحلية ، بعد أن يكون مصاغاً من نور القداسة الذي لا يمازجه أيّ شين ، وعلىٰ هذا كان معتقد شيخ الطائفة وإمامها الحجّة الشيخ محمّد طه نجف رحمه الله ، فإنّه قال بترجمة العبّاس من كتاب (إتقان المقال) ص٧٥ : «هو أجلّ من أن يذكر في المقام ، بل المناسب أن يذكر عند ذكر أهل بيته المعصومين عليه وعليهم أفضل التحية والسلام» .

فتراه لم يقل عند ذكر رجالات أهل بيته الأعاظم ، بل أثبت المعصومين منهم ، وليس هذا العدول إلّا لأنّه يرتأي أن يجعله في صفهم ، ويعده منهم .

وتابعه علىٰ ذلك العلّامة ميرزا محمّد علي الأُوردبادي فقال من قصيدته المتقدّمة :

أجـل عـباسُ الكِـتَابَ والهُدىٰ ... والعَلَم والدِيـنَ وأصـحَاب العَـبا
عَـن أن يُـطِيشَ سَـهمُهُ فَـينثَنِي ... والإثـمَ قَـد أثـقَلَ مِـنهُ مَنكِبَا
لِم نَشتَرِط فِي ابنِ النّبيِّ عُصمة ... ولا نَـقولُ: إنّـه قَـد أذنَـبَا
وَلا أقـولُ غَـيرَ مَـا قَـالَ بِـهِ ... (طَه الإمـامُ) فِـي الرِجَـالِ النُـجبَا
فَـالفِعَلُ مِـنهُ حُـجةُ كَـقولِهِ ... فِي الكُلِّ يَروِي عَـن ذَوِيـهِ النُـقَبَا

وهذه النظرية في أبي الفضل لم ينكرها عالم من علماء الشيعة ، نعرفه بالثقافة العلميّة ، والتقدّم بالأفكار الناضجة ، وقد استضأنا من أُرجوزة آية اللّه الحجّة الشيخ محمّد حسين الأصفهاني رحمه الله التي ستقرأها في فصل المديح حقائق راهنة ، وكرائم نفيسة ، سمت بأبي الفضل إلىٰ أوج العظمة ، وأخذت به إلىٰ حظائر القدس ، وصعدت به إلىٰ أعلىٰ مرتبة من العصمة .

وممّا يزيدنا بصيرة في عصمته ما ذكرناه سابقاً في شرح قول الصادق : «لعن اللّه أُمة استحلّت منك المحارم وانتهكت في قتلك حرمة الإسلام» .

فإنّ حُرمة الإسلام لا تنتهك بقتل أي مسلم مهما كان عظيماً ، ومهما كان أثره في الإسلام مشكوراً ، إلّا أن يكون هو الإمام المعصوم ، فلو لم يبلغ العبّاس المراتب السماوية في العلم والعمل لمقام أهل البيت لما استحقّ هذا الخطاب ، وهذا معنىٰ العصمة . نعم ، هي غير واجبة ، وممّا يستأنس منه العصمة له ما تقدّم من قول السجّاد عليه السلام : «وإنّ لعمّي العبّاس منزلة يغبطه عليها جميع الشهداء يوم القيامة»[1] .

ويدخل في عموم لفظ الشهداء صريحة بيت الوحي «أبو الحسن علي الأكبر» الذي أفضنا القول في عصمّته .

وإذا كان العبّاس غير معصوم كيف يغبطه المعصوم علىٰ ما أُعطي من رفعة ومقام عالي؟ لأنّ المعصوم لا يغبط غيره ، فلا بدّ أن للعبّاس أعلىٰ مرتبة من العصمة كما عرفت ، ومن هنا غبط منزلته التي أعدت له جميع الشهداء ، حتّىٰ من كان معصوماً كعلي الأكبر وأمثاله ، غير الأئمة صلوات اللّه عليهم أجمعين.

---

(١) الأمالي للشيخ الصدوق : ٥٤٨ ، الخصال : ٦٨ ، بحار الأنوار ٢٢ : ٢٧٤ ، والنصّ : «وإن للعبّاس عند اللّه تبارك وتعالىٰ منزلة عظيمة ، يغبطه بها جميع الشهداء يوم القيامة» .

الكرامات

من سنن اللّه الجارية في أوليائه : ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلاً﴾[1] إكرامهم بإظهار ما لهم من الكرامة عليه والزلفىٰ منه ، وذلك غير ما ادّخره لهم من المثوبات الجزيلة في الآجلة ، تقديراً لعملهم ، وإصحاراً بحقيقة أمرهم ، ومبلغ نفوسهم من القوّة ، وحثّاً للملأ علىٰ اقتفاء آثارهم في الطاعة .

ومهما كان العبد يخفي الصالحات من أعماله فالمولى سبحانه يراغم ذلك الإخفاء بإشهار فضله ، كما يقتضيه لطفه الشامل ورحمته الواسعة وبرّه المتواصل ، وأنّه جلّت آلاؤه يظهر الجميل من أفعال العباد ، ويزوي القبيح ، رأفة منه ، وحناناً عليهم .

ومن هذا الباب ما نجده علىٰ مشاهد المقرّبين وقباب المستشهدين في سبيل طاعته ، من آثار العظمة ، وآيات الجلالة ، من إنجاح المتوسّل بهم إليه تعالىٰ شأنه ، وإجابة الدعوات تحت قبابهم المقدّسة ، وإزالة المثلات ببركاتهم ، وتتأكّد الحالة إذا كان المشهد لأحد رجالات البيت النبويّ ؛ لأنّه جلّت حكمته ذرأ العالمين

---

(١) فاطر : ٤٣ .

لأجلهم ، ولأن يعرفوا مكانتهم ، فيحتذوا أمثالهم في الأحكام والأخلاق ، فكان من المحتّم في باب لطفه وكرمه ـ عظمت نعمه أن يصحر الناس بفضلهم الظاهر .

ومن سادات ذلك البيت الطاهر الذي أذن اللّه أن يرفع فيه اسمه أبو الفضل العبّاس ، فإنّه في الطليعة من أُولئك السادات ، وقد بذل في اللّه ما عزّ لديه وهان ، حتّىٰ اتصلت المنوبة إلىٰ نفسه الكريمة التي لفظها نصب عينه ـ عزّ ذكره ـ ، فأجرىٰ سنته الجارية في الصديقين فيه بأجلى مظاهرها ، ولذلك تجد مشهده المقدّس في آناء الليل وأطراف النهار مزدلف أرباب الحوائج : من عاف يستمنحه برّه ، إلىٰ عليل يتطلّب عافيته ، إلىٰ مضطهد يتحرّىٰ كشف ما به من غمّ ، إلىٰ خائف ينضوي إلىٰ حمى أمنه ، إلىٰ أنواع من أهل المقاصد المتنوّعة ، فينكفأ ثلج الفؤاد بنجح طلبته قرير العين بكفاية أمره إلىٰ متنجّز بإعطاء سؤله ، كلّ هذا ليس علىٰ اللّه بعزيز ولا من المقرّبين من عباده ببعيد .

ولكثرة كراماته وآيات مرقده التي لا يأتي عليها الحصر ، نذكر بعضاً منها تيمناً ، ولئلّا يخلو الكتاب منها ، وتعريفاً للقراء بما جاد به قطب السخاء علىٰ من لاذ به واستجار بتربته .

الأُولىٰ : ما يحدّث به الشيخ الجليل العلّامة المتبحّر الشيخ عبد الرحيم التستري المتوفىٰ سنة ١٣١٣ هـ ، من تلامذة الشيخ الأنصاري أعلىٰ اللّه مقامه ، قال :

زرت الإمام الشهيد أبا عبد اللّه الحسين ، ثُمّ قصدت أبا الفضل العبّاس ، وبينا أنا في الحرم الأقدس إذ رأيت زائراً من الأعراب

ومعه غلام مشلول ، وربطه بالشباك ، وتوسّل به وتضرّع ، وإذا الغلام قد نهض وليس به علّة ، وهو يصيح : شافاني العبّاس ، فاجتمع الناس عليه ، وخرّقوا ثيابه للتبرّك بها .

فلمّا أبصرت هذا بعيني تقدّمت نحو الشباك وعاتبته عتاباً مقذعاً ، وقلت : يغتنم المعيدي الجاهل منك المُنىٰ وينكفأ مسروراً ، وأنا مع ما أحمله من العلم والمعرفة فيك ، والتأدّب في المثول أمامك ، أرجع خائباً لا تقضي حاجتي ؟! فلا أزورك بعد هذا أبداً ، ثُمّ راجعتني نفسي ، وتنبّهت لجافيّ عتبي ، فاستغفرت ربي سبحانه ممّا أسأت مع (عباس اليقين والهداية) .

ولمّا عُدت إلىٰ النجف الأشرف أتاني الشيخ المرتضى الأنصاري قدّس اللّه روحه الزاكية ، وأخرج صرّتين وقال : هذا ما طلبته من أبي الفضل العبّاس ، اشتري داراً ، وحجّ البيت الحرام ، ولأجلهما كان توسّلي بأبي الفضل[1] .

ومَا عَجِبتُ مَن أبي الفَضلِ كَما ... عَجبتُ مِن أُستَاذِنَا إذ عَلَما
لأنّ شِبلَ المُرتَضىٰ لَم يَغرب ... إذا أتىٰ بمُعجِزٍ أو مُعْجَبِ
بِكُلِّ يَومٍ بَل بِكُلِّ سَاعةٍ ... لِمن أتَاهُ قَاصِداً رِبَاعَهُ
وهُوَ مِن الشَيخِ عَجِيبٌ بَيّنٌ ... لكن نُورَ اللّهِ يَرنوُ المُؤمِن[2]

الثانية : ما في أسرار الشهادة ص٣٢٥ قال : حدّثني السيّد

---

(١) طبعت هذه الكرامة مع صلاة الشيخ الأنصاري ، وذكرها في الكبريت الأحمر ج٣ ص٥٠ قال : وذكرها عنه جماعة من أكابر العلماء والثقات المتديّنين .

(٢) للعلّامة الشيخ محمّد السماوي .

الأجل العلّامة الخبير السيّد أحمد ابن الحجّة المتتبّع السيّد نصر اللّه المدرّس الحائري قال : بينا أنا في جمع من الخدّام في صحن أبي الفضل ، إذ رأينا رجلاً خارجاً من الحرم ، مسرعاً ، واضعاً يده علىٰ أصل خنصره والدم يسيل منها ، فأوقفناه نتعرّف خبره ، فأعلمنا بأنّ العبّاس قطعها ، فرجعنا إلىٰ الحرم فإذا الخنصر معلق بالشباك ولم يقطر منه دم ، كأنّه قطع من ميت ، ومات الرجل من الغد ، وذلك لصدور إهانة منه في الحرم المقدّس .

الثالثة : ما حدّثني به العلّامة البارع الشيخ حسن دخيل حفظه اللّه عمّا شاهده بنفسه في حرم أبي الفضل عليه‌السلام ، قال : زرت الحسين عليه‌السلام في غيّر أيّام الزيارة ، وذلك في أواخر أيّام الدولة العثمانية في العراق ، في فصل الصيف ، وبعد أن فرغت من زيارة الحسين عليه‌السلام توجّهت إلىٰ زيارة العبّاس عليه‌السلام ، قرب الزوال ، فلم أجد في الصحن الشريف والحرم المطهّر أحداً ، لحرارة الهواء ، غير رجل من الخدمة واقف عند الباب الأوّل ، يقدّر عمره بالستّين سنة ، كأنّه مراقب للحرم ، وبعد أن زرت صلّيت الظهر والعصر ، ثُمّ جلست عند الرأس المقدّس ، مفكّراً في الأُبهة والعظمة التي نالها قمر بني هاشم عن تلك التضحية الشريفة .

وبينا أنا في هذا إذ رأيت امرأة محجّبة من القرن إلىٰ القدم ، عليها آثار الجلّالة ، وخلفها غلام يقدّر بالستّة عشر سنة ، بزي أشراف الأكراد ، جميل الصورة ، فطافت بالقبر والولد تابع .

ثُمّ دخل بعدهما رجل طويل القامة ، أبيض اللون مشرباً بحمرة ، ذو لحية ، شعره أشقر ، يخالطه شعرات بيض ، جميل

البزّة ، كردي اللباس والزي ، فلم يأت بما تصنعه الشيعة من الزيارة أو السنّة من الفاتحة ، فاستدبر القبر المطهّر ، وأخذ ينظر إلىٰ السيوف والخناجر والدرق المعلقة في الحضرة ، غير مكترث بعظمة صاحب الحرم المنيّع ، فتعجّبت منه أشدّ العجب ، ولم أعرف الملّة التي ينتحلها ، غير أنّي اعتقدت أنّه من متعلّقي المرأة والولد .

وظهر لي من المرأة عند وصولها في الطواف إلىٰ جهة الرأس الشريف التعجّب ممّا عليه الرجل من الغواية ، ومن صبر أبي الفضل عليه السلام عنه ، فما رأيت إلّا ذلك الرجل الطويل القامة قد ارتفع عن الأرض ، ولم أرَ من رفعه وضرب به الشباك المطهّر ، وأخذ ينبح ويدور حول القبر وهو يقفز ، فلا هو بملتصق بالقبر ولا بمبتعد عنه ، كأنّه متكهرب به ، وقد تشنّجت أصابع يديه ، وأحمر وجهه حُمّرة شديدة ، ثُمّ صار أزرقاً ، وكانت عنده ساعة علقها برقبته بزنجيل فضّة ، فكُلّما يقفز تضرب بالقبر حتّىٰ تكسّرت ، وحيث إنّه أخرج يده من عباءته لم تسقط إلىٰ الأرض . نعم ، سقط الطرف الآخر إلىٰ الأرض ، وبتلك القفزات تخرّقت .

أمّا المرأة فحينما شاهدت هذه الكرامة من أبي الفضل عليه السلام قبضت علىٰ الولد ، وأسندت ظهرها إلىٰ الجدار ، وهي تتوسّل به بهذه اللهجة : (أبو الفضل دخيلك أنا وولدي) .

فأدهشني هذا الحال ، وبقيت واقفاً لا أدري ما أصنع ، والرجل قويّ البدن ، وليس في الحرم أحد يقبض عليه ، فدار حول القبر مرّتين ، وهو ينبح ويقفز ، فرأيت ذلك السيّد الخادم الذي كان واقفاً عند الباب الأوّل دخل الروضة الشريفة ، فشاهد الحال ، فرجع

وسمعته ينادي رجلاً اسمه جعفر من السادة الخدام في الروضة، فجاءا معاً، فقال السيّد الكبير لجعفر: اقبض علىٰ الطرف الآخر من الحزام، وكان طول الحزام يبلغ ثلاثة أذرع، فوقفا عند القبر حتّىٰ إذا وصل إليهما وضعا الحزام في عنقه وأداراه عليه، فوقف طيعاً لكنّه ينبح، فأخرجاه من حرم العبّاس وقالا للمرأة: اتبعينا إلىٰ (مشهد الحسين)، فخرجوا جميعاً وأنا معهم، ولم يكن أحد في الصحن الشريف، فلمّا صرنا في السوق بين (الحرمين) تبعنا الواحد والإثنان من الناس؛ لأنّ الرجل كان علىٰ حالته من النبح والاضطراب، مكشوف الرأس، ثُمّ تكاثر الناس.

فأدخلوه (المشهد الحسيني) وربطوه بشباك (علي الأكبر)، فهدأت حالته ونام، وقد عرق عرقاً شديداً، فما مضىٰ إلّا ربع ساعة فإذا به قد انتبه مرعوباً، وهو يقول: أشهد أن لا إله إلّا اللّه وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله، وأنّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب خليفة رسول اللّه بلا فصل، وأنّ الخليفة من بعده ولده الحسن، ثُمّ أخوه الحسين، ثُمّ علي بن الحسين، وعدّ الأئمة إلىٰ الحجّة المهدي عجّل اللّه فرجه.

فسُئل عن ذلك قال: إنّي رأيت رسول اللّه الآن وهو يقول لي: اعترف بهؤلاء وعدّهم علي، وإن لم تفعل يهلكك العبّاس. فأنّا أشهد بهم وأتبرّأ من غيرهم.

ثُمّ سئل عمّا شاهده هناك فقال: بينا أنا في حرم العبّاس إذ رأيت رجلاً طويل القامة قبض عليّ وقال لي: يا كلب إلىٰ الآن بعدك على الضلال، ثُمّ ضرب بي القبر، ولم يزل يضربني بالعصا في قفاي

وأنا أفرّ منه .

ثُمّ سألت المرأة عن قصّة الرجل فقالت : إنّها شيعية من أهل بغداد ، والرجل سنّي من أهل السليمانية ساكن في بغداد ، متديّن بمذهبه ، لا يعمل الفسوق والمعاصي ، يحب الخصال الحميدة ، ويتنزّه عن الذميمة ، وهو بندرجي تتن ، وللمرأة أخوان حرفتهما بيع التتن ، ومعاملتهما مع الرجل ، فبلغ دينه عليهما ماءتا (ليرة عثمانية) ، فاستقرّ رأيهما علىٰ بيع الدار منه والمهاجرة من بغداد ، فأحضراه في دارهما (ظهراً) ، واطلعاه علىٰ رأيهما ، وعرّفاه أنّه لم يكن دين عليهما لغيره ، فعندها أبدىٰ من الشهامة شيئاً عجيباً ، فأخرج الأوراق وخرّقها ، ثُمّ أحرقها وطمئنهما علىٰ الإعانة مهما يحتاجان .

فطارا فرحاً ، وأرادا مجازاته في الحال ، فذاكرا المرأة علىٰ التزويج منه ، فوجدا منه الرغبة فيه ، لوقوفها علىٰ هذا الفضل مع ما فيه من التمسّك بالدّين واجتناب الدنايا ، وقد طلب منهما مراراً اختيار المرأة الصالحة له ، فلمّا ذكرا له ذلك زاد سروره ، وانشرح صدره بحصول أُمنيته ، فعقدا له من المرأة وتزوّج منها .

ولمّا حصلت عنده طلبت منه زيارة الكاظميين إذ لم تزرهما مدّة كونها بلا زوج ، فلم يجبها ، مدعياً أنّه من الخرافات ، ولمّا ظهر عليها الحمل سألته أن ينذر الزيارة إن رُزق ولداً ، ففعل ، ولمّا جاءت بالولد طالبته بالزيارة فقال : لا أفِ بالنذر حتّىٰ يبلغ الولد ، فأيست المرأة ، ولمّا بلغ الولد السنّة الخامسة عشر طلب منها اختيار الزوجة ، فأبت ما دام لم يفِ بالنذر ، فعندها وافقها علىٰ

الزيـارة مكـرهاً ، وطـلبت مـن الجـواديـن الكـرامـة البـاهرة ليـعتقد بإمامتهما ، فلم ترَ منهما ما يسرّها ، بل أساءها سخريته واستهزاؤه .

ثُـمّ ذهب الرجـل بـالمرأة والولد إلىٰ العسكـريين ، وتـوسّلت بهما ، وذكرت قصة الرجل ، فـلم تشـرق عـليه أنـوارهـما ، وزادت السخرية منه .

ولمّا وصلا كربلاء قالت المرأة : نقدّم زيارة العبّاس عليه السلام ، وإذا لم تظهر منه الكرامة وهو أبو الفضل وباب الحوائـج لا أزور أخـاه الشهيد ، ولا أباه أمير المؤمنين ، وارجع إلىٰ بغداد ، وقصّت علىٰ أبي الفـضل قـصّة الرجـل ، وعـرّفته حـال الرجـل وسـخريته بـالأئمة الطاهرين ، وأنّها لا تزور أخاه ولا أباه إذا لم يتلطّف عليه بالهدايـة وينقذه من الغواية ، فانجح سؤلها ، وفاز الرجل بالسعادة .

الرابعة : ما في كتاب «إعلام الناس في فضايل العبّاس» تأليف الزاكي التـقي السـيّد سـعيد بـن الفـاضل المـهذّب الخـطيب السـيّد إبراهيم[1] البهبهاني قال :

---

(١) هو ابن السيّد محمّد ابن السيّد جعفر ابن سيّد محمّد ابن سـيّد هـاشم ابـن سيّد محمّد ابن سيّد عبدالله بن سيّد محمّد الكبير بن سيّد عبدالله البلادي بن سيّد علوي ، عتيق الحسين ، بن سيّد حسين الغريفي بن سيّد حسن بن سـيّد أحمد بن سيّد عبدالله بن سيّد عيسىٰ بن سيّد خميس بن سيّد أحمد بن سيّد ناصر بن سيّد علي بن كمال الدّين بن سيّد سلمان بن سيّد جعفر بن أبي العشا موسى بن أبي الحمراء محمّد بن علي الطاهر بن علي الضخم بن أبـي علي محمّد الحسن بن محمّد الحائري بن إبراهيم المجاب بن محمّد العابد بن الإمام الكاظم عليه السلام ، ولهذه الكرامة كتب السيّد سعيد كتاباً في أحوال العبّاس يزيد علىٰ أربعمائة صفحة ، أجهد نفسه ، وسهر الليالي في جمعه وتبويبه ، جزاه اللّه خير الجزاء .

تزوّجت في أوائل ذي القعدة سنة ١٣٥١ هـ، وبعد أن مضى أُسبوع من أيام الزواج أصابني زكام صاحبته حمّى، وباشرني أطباء النجف فلم انتفع بذلك، والمرض يتزايد، ومن جملة الأطباء الطبيب المركزي (محمّد زكي أباظة).

وفي أول جماد الأول من سنّة ١٣٥٣ هـ خرجت إلىٰ «الكوفة» وبقيت إلىٰ رجب، فلم تنقطع الحمّىٰ، وقد استولىٰ الضعف علىٰ بدني حتّىٰ لم أقدر علىٰ القيام، ثُمّ رجعت إلىٰ النجف وبقيت إلىٰ ذي القعدة من هده السنّة بلا مراجعة طبيب، لعجزهم عن العلاج.

وفي ذي الحجّة من هذه السنّة اجتمع الطبيب المركزي المذكور مع الدكتور محمّد تقي جهان وطبيبين آخرين جاؤوا من بغداد وفحصوني، فاتفقوا علىٰ عدم نفع كُلّ دواء، وحكموا بالموت إلىٰ شهر.

وفي محرّم من سنة ١٣٥٤ هـ خرج والدي إلىٰ قرية القاسم ابن الإمام الكاظم عليه السلام، للقراءة في المآتم التي تقام لسيّد الشهداء، وكانت والدتي تمرّضني، ودأبها البكاء ليلاً ونهاراً.

وفي الليلة السابعة من هذه السنة رأيت في النوم رجلاً مهيباً وسيماً جميلاً، أشبه الناس بالسيّد الطاهر الزكي (السيّد مهدي الرشتي)، فسألني عن والدي، فأخبرته بخروجه إلىٰ القاسم، فقال: إذن مَن يقرأ في عادتنا يوم الخميس، وكانت الليلة ليلة خميس، ثُمّ قال: إذن أنت تقرأ.

ثُمّ خرج وعاد إليٰ وقال: إنّ ولدي السيّد سعيد[1] مضى إلىٰ

(١) ولد السيّد مهدي الرشتي سنة ١٣٠٣ هـ، توفّي في النجف يوم ١٤ رجب

كربلاء يعقد مجلساً لذكر مصيبة أبي الفضل العبّاس ، وفاءً لنذر عليه ، فأُمضي إلىٰ كربلاء واقرأ مصيّبة العبّاس ، وغاب عنّي .

فانتبهت من النوم ونظرت إلىٰ والدتي عند رأسي تبكي ، ثُمّ نمت ثانياً ، فأتاني السيّد المذكور وهو يقول : ألم أقل لك : إنّ ولدي سعيد ذهب إلىٰ كربلاء وأنت تقرأ في مأتم أبي الفضل ، فأجبته إلىٰ ذلك ، فغاب عنّي ، فانتبهت .

وفي المرّة الثالثة نمت فعاد إلّي السيّد المذكور وهو يقول بزجر وشدة : ألم أقل لك امضي إلىٰ كربلاء ، فما هذا التأخير ؟! فهبته في هذه المرّة وانتبهت مرعوباً .

وقصصت الرؤيا من أوّلها علىٰ والدتي ، ففرحت وتفاءلت بأنّ هذا السيّد هو أبو الفضل ، وعند الصباح عَزِمَت علىٰ الذهاب بي إلىٰ حرم العبّاس ، ولكن كُلّ من سمع بهذا لم يوافقها ، لما يراه من الضعف البالغ حدّه ، وعدم الاستطاعة علىٰ الجلوس حتّىٰ في السيارة ، وبقيت علىٰ هذا إلىٰ اليوم الثاني عشر من المحرم ، فأصرّت الوالدة علىٰ السفر إلىٰ كربلاء بكُلّ صورة ، فأشار بعض الأرحام علىٰ أن يضعوني في تابوت ، ففعلوا ذلك ، ووصلت ذلك اليوم إلىٰ القبر المقدّس ، ونمت عند الضريح الطاهر .

= سنة ١٣٥٨ هـ ، ودفن في الحجرة الملاصقة لباب الصحن المعروفة بباب القزّازين ، وكان السيّد رحمه اللّه باذلاً نفسه ونفيسه في خدمة أجداده الأئمة المعصومين ، وداره العامرة (حسينية) لأهل طرفه (البراق) ، يقيمون فيها مراسيم العزاء والفرح للأئمة عليهم السلام لا يعدلون بها بدلاً ، وفّقهم اللّه لما يرضيه .
وأما ولده السيّد سعيد فكانت ولادته في سنة ١٣٢٢ هـ وتوفّي في ١٥ ذي القعدة سنة ١٣٥٥ هـ ، ودفن في الحجرة مع أبيه ، وقام السيّد صالح أبيه في إقامة الأفراح والمآتم ، فنعم الخلف لذلك السيّد الطاهر .

وبينا أنا في حالة الإغماء في الليلة الثالثة عشر من المحرّم ، إذ جاء ذلك السيّد المذكور وقال لي : لماذا تأخرّت عن يوم السابع وقد بقي سعيد بانتظارك ، وحيث لم تحضر يوم السابع فهذا يوم دفن العبّاس وهو يوم ١٣ ، فقم واقرأ ، ثُمّ غاب عنّي ، وعاد إلّي ثانياً وأمرني بالقراءة وغاب عنّي ، وعاد في الثالثة ووضع يده علىٰ كتفي الأيسر ؛ لأنّي كنت مضطجعاً علىٰ الأيمن ، وهو يقول : إلىٰ متى النوم؟ قم واذكر (مصيبتي) ، فقمت وأنا مدهوش مذعور من هيبّته وأنواره ، وسقطت لوجهي مغشياً عليَّ ، وقد شاهد ذلك من كان حاضراً في الحرم الأطهر .

وانتبهت من غشوتي وأنا أتصبّب عرقاً ، والصحة ظاهرة عليَّ ، وكان ذلك في الساعة الخامسة من الليلة الثالثة عشر من المحرّم سنة ١٣٥٤ هـ .

فاجتمع عليَّ مَن في الحرم الشريف ، وأقبل مَن في الصحن والسوق ، وازدحم الناس في الحضرة المنوّرة ، وكثر التكبير والتهليل ، وخرق الناس ثيابي ، وجاءت الشرطة فأخرجوني إلىٰ البهو الذي هو أمام الحرم ، فبقيت هناك إلىٰ الصباح .

وعند الفجر تطّهرت للصلاة ، وصلّيت في الحرم بتمام الصحة والعافية ، ثُمّ قرأت مصيبة أبي الفضل عليه السلام ، وابتدأت بقصيدة السيّد راضي بن السيّد صالح القزويني وهي :

أبَا الفَضلِ يَا مَنْ أسَسُ الفَضل والإبا

أَبــا الفــضل إلا أن تَكُــونَ لَــهُ أبـا

والأمر الأعجب أنّي لمّا خرجت من الحرم قصدتُ داراً لبعض

أرحامنا بكربلاء ،وبعد أن قرأت مصيبة العبّاس خلوت بزوجتي ، وببركات أبي الفضل حملت ولداً سمّيته «فاضل» ، وهو حّي يرزق ، كما رُزقت عبدالله وحسناً ومحمّداً وفاطمة كنيتها أُم البنين.

هَذهِ مِن عُلَاه إحدَىٰ المَعالِي وعَلَىٰ هَذِه فَقِس مَا سِوَاهَا

وذكر أنّ السيّد الطاهر الزاكي السيّد مهدي الأعرجي ، وكان خطيباً نائحاً له مدائح ومراثي لأهل البيت عليهم السلام كثيرة ، ورد النجف يوم خروجي إلىٰ كربلاء ، فبات مفكّراً في الأمر ، وكيف يكون الحال؟! وفي تلك الليلة الثالثة عشر رأىٰ في المنام كأنّه في كربلاء ، ودخل حرم العبّاس ، فرأىٰ الناس مجتمعين عليَّ وأنا أقرأ مصيبة العبّاس ، فارتجل في المنام :

لَقد كُنتَ بالسِلِّ المُبرّح داؤه
فشافانَي العباسُ من مرضِ السلِ
ففضلت بينَ الناسِ قَدراً وإنَّما
لي الفضل إذ أنّي عتيقُ أبي الفضلِ

وانتبه السيّد من النوم يحفظ البيتين، فقصد دارنا وعرّفهم بما رآه ، وفي ذلك اليوم وضح لهم الأمر .

وقد نظم هذه الكرامة جماعة من الأُدباء الذين رأوا السيّد سعيد في الحالين الصحة والمرض .

فمنهم السيّد الخطيب العالّم السيّد صالح الحلّي رحمه الله .

بأبِي الفَضِل استَجَرنَا فَحبَانَا مِنهُ مُنحه
وطَلبنَا أن يُداوِي أَلَمَ القَلّبِ وجُرحَه
فَكسَا اللّه سَعيداً بعد سُقم ثَوُب صِحه

بـــدل الرحــمن مــنه قــرحــة القــلب بــفرحــه

وقال الخطيب الفاضل الأُستاذ الشيخ محمّد علي اليعقوبي :

بأبــي الفَـضْلِ زالَ عــنّي ســقامي مُــذ كَســاني مــنَ الشــفاءِ بُـرودا

وحَـــباني مــنَ الســعادةِ حــتّىٰ صرُت في النَشأتـين اُدعـى سـعيدا

وقال العلّامة الشيخ علي الجشي أيده اللّه :

ســعيدٌ ســعدتَ وجــزتَ الخـطر مـن السـلّ فـي مـثلِ لمـحِ البَـصْر

غــداةَ التــجأتَ لمــثوىٰ بــهِ أبــو الفـضلِ حـلَّ فـرد القَـدر

وقال السيّد حسون السيّد راضي القزويني البغدادي :

ســعيدُ لقـدْ نـالَ الشِـفا مـن أبـي الفَضْلِ

ولولاه كـــانَ الســـقم يأذنُ بـــالقتلِ

ولا غـــروَ أن نـــال الشِـــفا مـــنْه أنّــهُ

أبـــو الفـضلِ أهـلَ للـمكارِمِ والفَـضْلِ

وله أيضاً :

ذا ســعيد بــالبرءِ أضـحىٰ سعيداً وحَـــباه الإله عُـــمْرَاً جـــديداً

من أبي الفـضلِ بـالشفا نـالَ فَضْلاً وامـــتناناً ونـــالَ عَـيْشاً رغـيداً

وللأديب الكـامل السـيّد مـحمّد بـن العـلّامة السـيّد رضـا الهندي رحمه الله .

لَمْ أنسَ فضلكَ يا أبا الفضلِ الذي

هــيهات أن يُـحصىٰ ثـناه مُـفصّلا

يكــفيكَ يـوم الطـفّ مـوقفُكَ الذي

قَـدْ كـان ألمـعَ مـا يكـون وأفـضلا

ولقدْ نـصرتَ بـهِ النـبيّ بسبطهِ
وغــدوتَ فـي دنـيا الشـهادةِ أوّلا
وأنــا الذيِ قــدْ كـان دائـي مُـهلِكاً
وأجـرْتني لمّــا اسـتجرتُ مـؤمِّلا
ألبســتَني ثــوبَ الشِـفاء وعـدتُ
حيّاً فيكَ يا ساقي عـطاشى كـربلا

وللخطيب الذاكر الفاضل الشيخ عبد علي الشيخ حسين.

ســعيد التـجىٰ مـن ضـرّهِ وســقامِهِ
بــقبر أبــي الفـضلِ المـفدّىٰ فـعافاه
لعــمري تــرىٰ الأقــدارَ طــوعَ يـمينهِ
كــوالِــدِهِ الكــرّار يـمناه يـمناه
فآب وإبــــراهـــيم قــرّت عـــيونُهُ
بــبرءِ سـعيدِ النــدبِ يشكـر مـولاه
ســعيد ســعيداً عش بــظلِّ لوائِــهِ
بأســعدِ يــومٍ لا تــزال وأهـــناه
بـفضلِ أبــي الفـضلِ الفضيلة حـزتها
ولولاه لم تــنجُو مـــن الضــرِّ لولاه

وللشيخ جعفر الطريفي:

عــجزَ الطــبيبُ لعـلّتي وقـلاني
وعـجزتُ مـن سـقمي وطـولِ زمـاني
هــجرَ الصـديقُ زيـارَتي وكأنّــني
مـــا زرتُــه فــي سـقمهِ فـجفاني

حتّىٰ إذا قالوا فقلّوا خفية
هجروا الأواني خيفةَ العدوان
فقصدتُ باباً للحوائج والشِفا
العبّاس باباً للشِفا فشَفاني
لَولاه واراني الترابُ بحفرتي
نِعمَ الطبيب الأوحد الربّاني

وللشيخ كاظم السوداني :

فكَمْ لأبي الفضلِ الأبيّ كرامات
لها تليت عند البريّة آيات
وشاراته كالشَمس في الأفق شوهدت
لها من نباتِ المجدِ أومت إشارات
سعيد سعيداً عادَ منها إلىٰ الشفا
به انسلّ عنه السِلّ إذ كم به ماتوا
أبو الفضلِ كَمْ فضل له ومناقب
فيا جاحديه مثل برهانه هاتوا
هو الشبل شبل من عليّ وفي الوغى
له أثر من بأسه وعلامات
لقد شعّت الأكوان من بدر فضله
بأنواره أرّخ (وفيها مضيئات)

وللخطيب الشيخ حسن سبتي :

ألا عش سعيداً يا سعيدَ منعّما

مدىٰ الدهرِ إذ عُوفيت من فتكة السلِّ

عتيق حسين كان جدّك أوّلا

لذا صرتَ ثانيه عتيقَ أبي الفضلِ

وللسيّد نوري ابن السيّد صالح ابن السيّد عبّاس البغدادي :

بُشرىٰ لأبراهيم في نجلهِ من مرضِ السلِّ غدا سالما

أبرأه العبّاس من فضلِهِ وفضلُهُ بينَ الورىٰ دائِما

الخامسة :

حدّثني الشيخ العالم الثقة الثبت الشيخ حسن ابن العلّامة الشيخ محسن ابن العلّامة الشيخ شريف آل الشيخ المقدّس ، صاحب الجواهر‌﴿ؒ﴾ ، عن حاج منيشد ابن سلمان آل حاج عبودة ، من أهل الفلاحيّة ، وكان ثقة في النقل ، عارفاً بصيراً ، شاهد الكرامة بنفسه ، قال :

كان رجل من عشيرة البراجعة يسمّىٰ (مخيلف) مصاباً بمرض في رجليه ، وطال ذلك حتّىٰ يبستا وصارتا في رفع الأصبع ، وبقي علىٰ هذا ثلاث سنين ، وشاهده الكثير من أهل المحمّرة ، وكان يحضر الأسواق ومجالس عزاء الحسين‌﴿ع﴾ ، ويستعين بالناس ، وهو يزحف علىٰ إليتيه ويديه ، وقد عجز عن المباشرة ويئس .

وكان للشيخ خزعل بن جابر الكعبي في المحمّرة (حسينية) يقيم فيها عزاء الحسين‌﴿ع﴾ في العشرة الأولى من المحرم ، ويحضر هناك خلق كثير ، حتّىٰ النساء يجلسن في الطابق الأعلىٰ من الحسينية ، والعادة المطردة في تلك البلاد ونواحيها أنّ (الخطيب

النائح) إذا وصل في قراءته إلىٰ الشهادة قام أهل المجلس يلطمون بلهجات مختلفة ، وهكذا النساء في اليوم السابع من المحرم كان المتعارف أن تذكر مصيبة أبي الفضل العبّاس ، وهذا الرجل أعني (مخيلف) يأتي الحسينية (ويجلس تحت المنبر لأنّ رجليه ممدودتان)[١] ، وحينما وصل الخطيب إلىٰ ذكر المصيبة أخذت الحالة المعتادة من في المجلس رجالاً ونساءً ، وبينا هم علىٰ هذا الحال إذ يرون ذلك المصاب بالزمانة في رجليه (مخيلف) واقفاً معهم يلطم ، ولهجته : «أنا مخيلف قيّمني العبّاس» .

وبعد أن تبيّن الناس هذه الفضيلة من أبي الفضل تهافتوا عليه وخرّقوا ثيابه للتبرّك بها ، وازدحموا عليه يقبّلون رأسه ويديه ، فأمر الشيخ خزعل غلمانه أن يرفعوه إلىٰ إحدىٰ الغرف ويمنعوا الناس عنه ، وصار ذلك اليوم في المحمّرة أعظم من اليوم العاشر من المحرّم ، وصار البكاء والعويل والصراخ من الرجال ، وأمّا النساء فمنهنّ من تهلهل ، وأُخرىٰ تصرخ ، وغيرها تلطم .

وذكر لي ملّا عبد الكريم الخطيب من أهل المحمّرة ، وكان حاضراً وقت الحديث ، أنّ الشيخ خزعل في كُلّ يوم يصنع طعاماً لأهل المجلس في الظهر ، وفي ذلك اليوم تأخّر الغداء إلىٰ الساعة التاسعة من النهار لبكاء الناس وعويلهم .

وقال العلّامة الشيخ حسن المذكور : ثُمّ إنّه سُئل مخيلف عمّا رآه وشاهده؟ فقال : بينا الناس يلطمون علىٰ العبّاس أخذتني سنة

---

(١) هذه الجملة التي بين قوسين حدّثني بها في دار الشيخ الجليل الشيخ حسن المذكور ملّا عبد الكريم ، وقد شاهد الرجل بعينه ذلك اليوم .

وأنا تحت المنبر ، فرأيت رجلاً جميلاً طويل القامة ، علىٰ فرس أبيض عال في المجلس وهو يقول : يا مخيلف لِمَ لا تلطم علىٰ العبّاس مع الناس ؟

فقلت له : يا أغاتي لا أقدر وأنا بهذا الحال .

فقال لي : قم والطم علىٰ العبّاس !

قلت له : يا مولاي أنا لا أقدر علىٰ القيام .

فقال لي : قم والطم !

قلت له : يا مولاي أعطني يدك لأقوم ؟

فقال : « أنا ما عندي يدين » !

فقلت له : كيف أقوم ؟

قال : الزم ركاب الفرس وقم ، فقبضت علىٰ ركاب الفرس وأخرجني من تحت المنبر وغاب عنّي ، وأنا في حالة الصحة ، وعاش سنتين أو أكثر ومات .

وحدّثني المهذّب الكامل ميرزا عباس الكرماني أنّه تعسّرت عليه حاجة ، فقصد أبا الفضل واستجار بضريحه ، فما أسرع أن فتحت له باب الرحمة وعاد بالمسرّة بعد اليأس مدّة طويلة فأنشأ :

أبا الفضل إنّي جئتكَ اليومَ سائلاً
لتيسير ما أرجو فأنتَ أُخو الشبلِ

فلا غروَ إن أسعفتَ مثْلي بائِساً
لأنّكَ للحاجات تُدعى أبو الفضلِ

هذا ما أردنا إثباته من الكرامات ، وهو قطرة من بحر ، فإنّ

الإتيان عليها كُلِّها يحتاج إلىٰ مجلّد كبير ؛ لأنّ اللّه سبحانه منح (حامي الشريعة) جزيل الفضل ، وأجرىٰ عليه من الفيض الأقدس ما لم يحوه بشر غير الأنبياء المقرّبين والأئمة المعصومين، جزاءً لذلك الموقف الباهر الذي لم يزل يرنّ رجع صداه المؤلم في مسامع القرون والأجيال ، مذكّراً بما أبداه أبو الفضل من إباء وشمّم وكر وإقدام ، وتضحية دون الشّرع القويم .

اللواء

اللواء : ما يُعقد علىٰ رمح أو عصا ، ويقال له : (الراية) ، كما يطلق عليهما (العلم) ، هذا عند أهل اللغة .

وعند المؤرّخين أنّهما شيئان ، فذكروا أنّ الرسول الأعظم ﷺ عقد لحمزة بن عبد المطلب لواءً أبيض في رمضان أول الهجرة ، وفيه يقول حمزة :

فما برحوا حَتّىٰ انتدبت لغارة — لهم حيث حلوا ابتغي راحة الفضل

بأمر رسول اللّه أول خافق — عليه لواء لم يكن راح من قبل

لواء لديه النصر من ذي كرامة — إله عزيز فضله أفضل الفعل

وأوّل راية عقدها للمسلمين في شوّال من هذه السنّة[1] .

والمعقود علىٰ رمح أو غيره إن كان واسعاً فهو الراية ، وإلّا فاللواء ، ويقال للعلم الكبير : البند والعقاب ، إن خُصّ الثاني بما

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٤٢٨ ، الاستيعاب عبد البر ١ : ٣٧٠ ، تاريخ خليفة بن خياط : ٣٤ ، المعارف لابن قتيبة : ٤٢٢ ، تاريخ الطبري ٢ : ١٢١ . لكن ابن هشام وغيره قال : « وقد زعموا أنّ حمزة قد قال في ذلك شعراً يذكر فيه أنّ رايته أوّل راية عقدها رسول اللّه ﷺ ، فإن كان حمزة قد قال ذلك فقد صدق إن شاء اللّه . . فأمّا ما سمعنا من أهل العلم عندنا فعبيدة بن الحارث أوّل من عقد له » .

يعقده للولاة[١] ، والتسمية بالعقاب اقتبسها العرب من الروم ، فإنّ العقاب والنسر شارة الرومان يرسمونها علىٰ أعلامهم وينقشونها علىٰ أبنيتهم[٢] .

وكان أعلام الروم كباراً تحت كُلِّ علم عشرة آلاف أو أكثر[٣] .

وكانت راية كسرىٰ يوم الجسر سنّة ١٣ هجرية من جلود النمر في عرض ثمانية أذرع ، وطول اثني عشر ذراعاً ، وهي المسمّاة « درفش كابيان »[٤] .

وهذه الراية كانت محفوظة في خزائنهم ، ولم تكن بهذه السعة وإنّما زادوا عليها تبرّكاً ، والأصل فيها أنّ الضحّاك بيوراسف خرجت من منكبيه سلعتان ، فكان إذا اشتد عليه الألم طلاهما بدماغ إنسان يذبحه ، فلاقىٰ الناس منه عناء ونكد وجور ، فأخذ ابنين لرجل من أهل أصبهان اسمه « كابي » فشقّ عليه ، فدعا الناس للخروج علىٰ الضحّاك ، وأخذ عصا وعلّق عليها جراباً وتبعه الناس ، فتغلّب علىٰ الضحّاك وخلعوه عن الملك ، واستراحوا من جوره ، فعظّموا ذلك العلم ، وتفألوا به ، وزادوا فيه حتّىٰ صار عند ملوك العجم العلم الأكبر الذي يتبرّكون به وسمّوه « درفش كابيان »[٥] .

كما احتفظ الأمويون براية ابن زياد التي أخرجها يوم الطفّ ، ففي تاريخ (يزد) للآيتي ص٧٢ : أن أبا العلاء الطوفي كان هو وأبوه

---

(١) تاج العروس بمادة عقب ٢ : ٢٥٣ ، نقلاً عن لسان العرب لابن منظور ١ : ٦٢١ .

(٢) المصدر غير موجود .

(٣) لسان العرب ٣ : ٩٧ ، تاج العروس ٤ : ٣٦٦ .

(٤) تاريخ الطبري ٢ : ٦٣٩ ، الكامل في التاريخ لابن الأثير ٢ : ٤٣٨ .

(٥) تاريخ الطبري ١ : ١٣٦ ، البداية والنهاية لابن كثير٧ : ٣٣ .

من عمّال الأمويين، طاف البلاد لأخذ البيعة لهم فلقّب (بالطوفي)، وكان معلّماً لهشام بن عبد الملك، فلمّا ولي هشام المُلك أراد أن يكافأه علىٰ خدمته، فبعثه عاملاً (علىٰ يزد) ودفع إليه تلك الراية، فسار أبو العلاء إلىٰ (يزد)، ونصب الراية في البستان المشهور باسمه، ودعا أهل يزد إلىٰ بيعة الأمويين، وكانوا علىٰ طريقة أهل البيت عليهم السلام، وأخذهم علىٰ ذلك أخذاً شديداً، وعاملهم بالقسوة والجور، وبقوا يتقلّبون علىٰ حسك الظلم إلىٰ أن ظهر أبو مسلم الخراساني أيّام مروان الحمار، وتصرّف في خراسان وفارس سنّة ١٣٢ وسنة ١٣٣ هجرية، فراسله اليزديّون وطلبوا إنقاذهم من مخالب الطوفي، فبعث أبو مسلم محمّد الزمجي إلىٰ أصفهان ويزد.

وبلغ الطوفي إقباله بجيش جرار، وأن اليزديّين معه، فخرج ليلاً من يزد إلىٰ قرية «ابرند آباد»، فبعث محمّد الزمجي جماعة فقبضوا عليه وأتوا به إلىٰ يزد، وتجمهر اليزديّون رجالاً ونساء عليه، واستقرّ الرأي علىٰ إحراقه والراية معه، ففعل بهما ذلك وانتهبوا القصر والبستان.

وإنّ المصادر التاريخية لم ترشدنا إلىٰ أوّل من رفع اللواء، ويقوي في الظن أنّ (كابي) المتقدّم أوّل من اتخذه، كما أنّ الخليل ابراهيم عليه السلام أوّل من اتخذ الرايات، وذلك لمّا غلب الروم علىٰ لوط وأسروه رفع الخليل راية وسار لمحاربة الروم، فغلبهم واسترجع لوطاً[١].

ولمّا جاء الإسلام، وانتشر العرب في أنحاء الشام وفارس ومصر، وتعدّدت دولهم، كثرت ضروب الألوية عندهم، وتنوعت

---

(١) تهذيب الأحكام ٦ : ١٧٠، باب النوادر، مستدرك الوسائل ١١ : ٩.

أشكالها ، وتعدّدت ألوانها وأطالوها وسمّوها بأسماء مختلفة ، حتّىٰ تفاخروا بتعدادها ، فقد بلغت رايات العزيز باللّه الفاطمي لمّا خرج إلىٰ فتح الشام خمسمائة راية ومثلها البوقات .

وكانوا ينقشون علىٰ راياتهم أسماء الخُلفاء والسلاطين والقواد ، أرهاباً وإعزازاً وتفاؤلاً بالظفر ، فقد كتب ابن بشكم علىٰ رايته (الرائقي) نسبة إلىٰ ابن رائق ، وربما كتبوا آيات القرآن عليها ، فقد وجد في دير الظاهر مدينة برغوس في الأندلس راية من الحرير الخالص مطرزة بالنقوش الجميلة وعليها آيات قرآنية[١] .

وكتب أبو مسلم الخراساني بالحبر علىٰ لوائه : **﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾**[٢] ، ثُمّ إنّه عقد لواء بعثه إليه إبراهيم الإمام اسمه « الظل » علىٰ رمح طوله أربعة عشر ذراعاً ، وعقد آخر بعث به إليه اسمه « السحاب » علىٰ رمح طوله ثلاثة عشر ذراعاً[٣] .

أمّا الوان الألوية والرايات فلا يُعرف عنها شيء في الجاهلية سوىٰ راية العقاب فإنّها سوداء ، وكذلك راية النّبي صلى الله عليه وآله ، ويقال : إنّ رايات العرب كانت بيضاء[٤] .

---

(١) التمدّن الإسلامي ١ : ١٩٦ . وفي الصفحة ١٦٨ ذكر اهتمام الفاطميين بالولاية والرايات والدرق ، فمن ذلك أنّهم صنعوا بيتاً بمصر يقال له : « خزانة البنود » اختزنوا فيها الأعلام والرايات والأسلحة والسروج واللجم المذهبة والمفضّضة ، وكانوا ينفقون عليها في كلّ سنة ثمانين ألف دينار ، ولما احترقت الدار بما فيها قدّرت الخسارة بثمانية ملايين دينار ، وكان في جملتها لواء يسمّونه : لواء الحمد .

(٢) الحجّ : ٣٩ .

(٣) تاريخ الطبري ٦ : ٢٥ .

(٤) آثار الدول للقرماني .

أمّا رايات النّبي ﷺ في مغازيه فمختلفة ، ففي بدر كانت راية حمزة حمراء وراية أمير المؤمنين صفراء ، ويوم أُحد وخيبر اللواء والراية أبيضان[١] ، وفي عين الوردة الراية بلقاء[٢] .

وكانت أعلام بني أُميّة حمر ، وكُلّ من دعا إلىٰ الدولة العلوية فعلمه أبيض ، ومن دعا إلىٰ الدولة العباسية فعلمه أسود ، ويقرب في الظنّ أنّ شعار العلويين الخضرة حتّىٰ في راياتهم ، فإنّ المأمون لمّا عقد ولاية العهد للإمام الرضا عليه السلام ألزم الناس بالخضرة وترك شعار العباسيين .

نعم ، لمّا عقد المتوكّل لبنيه البيعة عقد لكُلِّ واحد منهم لوائين ، أحدهما أسود وهو لواء العهد ، والآخر أبيض وهو لواء العمل[٣] .

وكيف كان ، فالراية : عقد نظام العسكر وآية زحفهم ، فلا يخالون انجفالاً ما دامت تسري أمامهم ، فهي بتقدّمها شارة الظفر وعلامة الفوز ، فلن تجد جحفلاً منثالاً وفيلقاً ملتاثاً إلّا إذا انكفأت الراية أو أُصيب حاملها ، فخرّت ، ولذلك لا تُعطىٰ إلّا للأكفّاء الحُماة الغيارىٰ علىٰ المبدأ ، ممّن لا يجبّنه الخور أو يفشله الضعف أو يخذله الطمع .

وفي قول سيّد الوصيّين عليه السلام شاهد عدل علىٰ هذا ، فإنّه كان يحرّض الناس يوم صفين ويقول : «ولا تميلوا براياتكم ولا تزيلوا ، ولا تجعلوها إلّا مع شجعانكم ، فإنّ المانع للذمار والصابر عند نزول

---

(١) مناقب آل أبي طالب ٣ : ٨٤ .

(٢) تاريخ الطبري ٤ : ٤٦٩ .

(٣) التمدّن الإسلامى ١ : ١٦٦ .

الحقايق هم أهل الحفاظ.. واعلموا أنّ أهل الحفاظ هم الذين يحتفون براياتهم ويكتنفونها، ويصيرون حفافيها ووراءها وأمامها، ولا يضيعونها، ولا يتأخّرون عنها فيسلمونها، ولا يتقدّمون عنها فيفردونها»[١].

ولقد كان حملة الرايات يتهالكون دون حملها إلىٰ آخر قطرة تسقط من دمائهم، حذراً من وصمة الجبن، وشية العار، وسمة الخزي، ولا يدع لهم ثبات الجأش، وحمىٰ الذمار، واصرة الشرف أن يلقوها ما دامت أيديهم تقلّها.

لا عَيبَ فيهم غَيرَ قَبضهم اللوا عندَ اشتباكِ السُمر قبضَ ضَنين

من أجل ذلك كانت راية الإسلام مع أمير المؤمنين في جميع مغازي الرسول ولم يفته مشهد إلّا «تبوك» حيث لم يقع فيها قتال[٢]، وإلّا لمّا تركه النّبي صلى الله عليه وآله في المدينة مع ما يعلمه من بلائه وإقدامه.

وفي يوم بدر أعطاه الرسول (راية الإسلام)، فزحف بها والمسلمون خلفه ولمّا يبلغ الخامسة والعشرين من عمره، فأظهر أمير المؤمنين عليه السلام فيها من البسالة والنجدة والبأس ما أطاش الألباب، وحيّر العقول، وجبّن الشجعان، ووضع من قدرها، فطار (أبو الحسن) بذكرها، وحاز مجدها، واستأثر بفضلها.

وإنّ عمله في هذا اليوم الذي كسر اللّه به شوكة المشركين، وفلّ خدهم، لمن خوارق العادة، وأجلّ الكرامات، إذ لم يباشر قبله

---

(١) الكافي للكليني ٥ : ٣٩، ونحوه في نهج البلاغة ٢ : ٣، تاريخ الطبري ٤ : ١١.

(٢) السيرة الحلبية ٣ : ١١٩، أمتاع الاسماع للمقريزي ٩ : ٢٦٤، وكذلك يظهر من تاريخ الطبري ٢ : ٣٧٣.

حرباً ولا نازل قرناً ، فعمل في ذلك الجمع من النكاية والقتل الذريع ما لم يشاهد مثله ، مع أنّ أكثر الجمع قد مارس الحرب ، وقاسىٰ الأهوال ، وخاض الغمرات ، وبارز الشجعان .

وأمّا يوم أُحد فكان اللواء مع مصعب بن عمير من بني عبد الدار ، وإنّما أعطاه النّبي ﷺ جبراً لقلوب من آمن به من بني عبد الدار ، خصوصاً لمّا كان لواء المشركين مع قومهم من بني عبد الدار ، وبعد أن فعل مصعب ذلك اليوم ما يبهر العقول وأدّىٰ حقّ اللواء حتّىٰ قطعت يده اليمنىٰ ، ثُمّ اليسرىٰ ، وإذ قطعت ضمّ اللواء إلىٰ صدره حتّىٰ طعن بالرمح في ظهره فسقط إلىٰ الأرض قتيلاً ، دفع النّبي ﷺ اللواء إلىٰ صاحبه (أبي الريحانتين) ، فكان لأمير المؤمنين عليه السلام من البلاء العظيم والمقامات المحمودة ما لم يكن لأحد قط ، حتّىٰ عجبت من ثباته وحملاته الملائكة بقتله أصحاب الألوية .

ولمّا كانت الدبرة علىٰ المسلمين كان له الموقف المشهود ، أبصر النّبي ﷺ جماعة فقال لعلي : « فرّقهم » ، ففرّقهم ، وقتل عمرو بن عبد اللّه الجمحي ، ثُمّ أبصر جماعة أُخرىٰ فقال له : « فرّقهم » ، فحمل عليهم ، وقتل شيبة بن مالك ، فقال جبرائيل : هذه المواساة .

قال النّبي ﷺ : « وما يمنعه ، إنّه منّي وأنا منه » .

فقال جبرائيل : وأنا منكما .

وسمعوا صوتاً :

لا سَيفَ إلّا ذو الفِقار ... ولا فَتىً إلّا علي[1]

وفي يوم خيبر لمّا شاهد النّبي خور المسلمين وضعفهم

---

(١) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٤٢ : ٧٦ ، تاريخ الطبري ٢ : ١٩٧ ، شرح إحقاق الحقّ للمرعشي ٦ : ١٥٧ ، وقد نقل المصادر التي ذكرت ذلك .

وانتصار اليهود ، لانكسار (الرجلين) في اليوم الأوّل والثاني ، ساءه ذلك فقال : «لأعطينّ الراية غداً رجلاً يُحبّ اللّه ورسوله ويحبّه اللّه ورسوله» ، فاستطالت لها أعناق الرجال رجاءً أن يُدعوا لها ، فيحظون بالفتح والسعادة الخالدة .

فأتاه الوصيُّ أرمدَ عين ... فسقاه من ريقه فشفاها
ومضىٰ يطلب الصفوف فولّت ... عنه علماً بأنّه أمضاها
وبرىٰ مرحباً بكفّ اقتدار ... أقوياء الأقدار من ضعفاها
ودحىٰ بابها بقوّة بأس ... لو حمتها الأفلاك منه دحاها

وأمّا يوم حنين فلم يلق المسلمون أشدّ منه ، فلقد ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، وبلغت القلوب الحناجر ، وعاتبهم اللّه علىٰ فرارهم عن حبيبه وخاتم رسله ، ولكن ظهرت في هذا اليوم عظمة (صاحب الراية) ، ومكانته من الرسول صلى الله عليه وآله ، وموقفه من الدّين ، ومبلغه من الدفاع ، وثباته في وجه الخطوب حتّىٰ تراجع المسلمون .

ثُمّ لُفّت هذه الراية خمساً وعشرين سنة ، ونشرها أمير المؤمنين يوم (الجمل) ، وأعطاها لولده محمّد ابن الحنفية وقال له : هذه راية رسول اللّه لا تردّ قطّ ، فزحف بها ابن حيدرة والجيش خلفه وقيس بن سعد بن عبادة يقول[١] :

هذا اللواء الذي كنّا نحفّ به ... مع النّبي وجبريل لنا مددا
ما ضرّ من كانت الأنصار عيبته ... أن لا يكون له من غيرها أحدا
قوم إذا حاربوا طالت أكفّهم ... بالمشرفيّة حتّىٰ يفتحوا البلدا

(١) كتاب الجمل للشيخ المفيد : ١٦٥ ، ويظهر من مناقب الخوارزمي : ١٩٥ ، وقد أشار إلىٰ هذه الأبيات وأنها قيلت في صفّين كلّ من : أُسد الغابة ٤ : ٢١٦ ، الوافي بالوفيات ٢٤ : ٢١٣ ، كتاب الفتوح لابن أعثم ٣ : ١٦١

وأدّىٰ شبل علي عليه السلام حقّها حتّىٰ كان الفتح ، كما أنّها كانت معه يوم النهروان .

أمّا يوم صفّين فكانت راية الهمدانيين مع سفيان بن يزيد ، فلمّا قُتل أخذها أخوه عبيد ، ثُمّ أخوه كرب ، ثُمّ عمير بن بشير ، ثُمّ الحرث بن بشير ، ثُمّ وهب بن كرب ، وكُلّهم قتلوا دونها[1] .

وفي هذا اليوم الباهر كان لحملة الرايات من أهل العراق المقام المشكور ، حتّىٰ تضعضع من أقدامهم عرش معاوية لولا القضاء وإبرام المحتوم .

فكان ذوو ألويات يحرصون علىٰ رفعها ، لكونها معقد الجيش ، وبها يتمّ نظامهم ، وتتطامن نفوسهم ، ولم ينكسر الجيش إلّا بقتل صاحب الراية وسقوطها .

ومن هنا نعرف مكانة أبي الفضل من البسالة ، وموقفه من الشهامة ، ومحلّه من الشرف ، ومبوءه من الدّين ، ومنزلته من الغيرة ، ومرتقاه من السؤدد ، يوم عبّأ الحسين أصحابه ، فأعطىٰ رايته أخاه « العبّاس » ، مع أنّ للعبّاس أُخوة من أُمّه وأبيه ، وهناك من أولاد أبيه من لا يسلم اللواء ، كما أنّ في الأصحاب من هو أكبر سنّاً منه ، مع صدق المفادات ، ولكن سيّد الشهداء وجد أخاه أبا الفضل أكفىٰ ممّن معه لحملها ، وحفظهم لذمامه ، وأرأفهم به ، وإدعاهم ، إلىٰ مبدئه ، وأوصلهم لرحمه ، وأحماهم لجواره ، وأثبتهم للطعان ،

---

(١) تاريخ الطبري ٤ : ١٤ ، رجال الطوسي : ٦٧ ، خلاصة الأقوال للحلّي : ١٥٩ ، رجال ابن داود : ١٠٤ ، نقد الرجال للتفرشي ٢ : ٣٣٨ ، وقعة صفين للمنقري : ٢٥٢ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٥ : ٢٠١ ، واسم أبي سفيان لم يحدد بيزيد بل اختلف بين كونه زيد أو يزيد كما في المصادر المتقدمة .

وأربطهم جأشاً، وأشدّهم مراساً.

فكان «صاحب الراية» عند معتقد أخيه الإمام ثابت الجأش في ذلك الموقف الرهيب ثبات الأسد الخادر، وهذا بيان مطرد تلهج به الألسن، وإلّا فما موقف الأسد منه! ومن أين له طمأنينة هذا البطل المغوار الثابت فيما يفر عنه الضرغام.

ولولا احتقار الأسد شبّهتها بـه ... ولكـنّها مـعدودة فـي البـهائم

نعم، أنسب تشبيه يليق بمقامه أنّه كان يصول ومعه صولة أبيه المرتضىٰ.

وللعبّاس مزيّة علىٰ من حمل اللواء، وبـارز الأبـطال، وتـقدّم للطعان، فإنّه عليه السلام قد ألمّت به الكوارث والمحن من نواحي متعدّدة: من جروح، وعطش، وفئة صرعىٰ، وحرائر ولهىٰ، وأطفال أمـضّ بها الظما، والواحدة منها كافية في أن تهدي إلىٰ البطل ضعفاً، وإلىٰ الباسل فراراً، لكن صريخة بني هاشم بالرغم من كُلّ هـاتيك الرزايـا كان يزحف بالراية في جحفل من بأسه، وصارم من عزمه، وكان في حدّ حسامه الأجل المتاح، وملك الموت طوع يمينه، إذاً فليس من الغريب إذا ظهر في غصن الخلافة ما يبهر العقول:

قسماً بصارمه الصقيل وإنّـني ... في غير صاعقة السما لا أُقسـم

لولا القضا لمحا الوجود بسيفه ... واللّه يقضي ما يشـاء ويـحكم

موقفه قبل الطفّ

يسترسل بعض الكتّاب عن موقفه قبل الطفّ فيثبت له منازلة الأقران والضرب والطعن، وبالغوا في ذلك حتّىٰ حكي عن المنتخب أنّه يقول: كان كالجبل العظيم، وقلبه كالطود الجسيم؛ لأنّه كان فارساً هُماماً وجسوراً علىٰ الضرب والطعن في ميدان الكفّار.

ويحدّث صاحب الكبريت الأحمر ج٣ ص٢٤ عن بعض الكتب المعتبرة لتتبّع صاحبها: أنّه عليه السلام كان عضداً لأخيه الحسين يوم حمل علىٰ الفرات وأزاح عنه جيش معاوية وملك الماء.

قال: وممّا يروىٰ: أنّه في بعض أيّام صفّين خرج من جيش أمير المؤمنين‌عليه‌السلام شاب علىٰ وجهه نقاب، تعلوه الهيبة، وتظهر عليه الشجاعة، يقدّر عمره بالسبع عشر سنة، يطلب المبارزة، فهابه الناس، وندب معاوية إليه أبا الشعثاء، فقال: إنّ أهل الشام يعدونني بألف فارس، ولكن أرسل إليه أحد أولادي، وكانوا سبعة، وكُلّما خرج أحد منهم قتله حتّىٰ أتىٰ عليهم، فساء ذلك أبا الشعثاء وأغضبه، ولمّا برز إليه ألحقه بهم، فهابه الجمع ولم يجرأ أحد علىٰ مبارزته، وتعجّب أصحاب أمير المؤمنين‌عليه‌السلام من هذه البسالة التي لاتعدو الهاشميين، ولم يعرفوه لمكان نقابه، ولما رجع إلىٰ مقرّه دعا أبوه أمير المؤمنين‌عليه‌السلام وأزال النقاب عنه، فإذا هو «قمر بني هاشم»

ولده العبّاس عليه السلام .

قال صاحب الكبريت بعد هذه الحكاية : وليس ببعيد صحة الخبر ، لأنّ عمره يقدر بالسبع عشر سنة ، وقد قال الخوارزمي : كان تاماً كاملاً .

وهذا نصّ الخوارزمي في المناقب ص١٤٧ : «خرج من عسكر معاوية رجل يقال له : كريب ، كان شجاعاً قويّاً يأخذ الدرهم فيغمزه بابهامه فتذهب كتابته ، فنادىٰ ليخرج إليّ علي ، فبرز إليه مرتفع بن وضّاح الزبيدي فقتله ، ثُمّ برز إليه شرحبيل بن بكر فقتله ، ثُمّ برز إليه الحرث بن الحلاج الشيباني فقتله ، فساء أمير المؤمنين عليه السلام ذلك ، فدعا ولده العبّاس عليه السلام ، وكان تاماً كاملاً من الرجال ، وأمره أن ينزل عن فرسه وينزع ثيابه ، فلبس علي عليه السلام ثياب ولده العبّاس وركب فرسه ، وألبس ابنه العبّاس ثيابه وأركبه فرسه ، لئلا يجبن كريب عن مبارزته إذا عرفه ، فلمّا برز إليه أمير المؤمنين عليه السلام ذكّره الآخرة ، وحذّره بأس اللّه وسخطه .

فقال كريب : لقد قتلت بسيفي هذا كثيراً من أمثالك ، ثُمّ حمل علىٰ أمير المؤمنين عليه السلام ، فاتقاه بالدرقة وضربه علي على رأسه فشقّه نصفين ، ورجع أمير المؤمنين وقال لولده محمّد بن الحنفية : قف عند مصرع كريب ، فإنّ طالب وتره يأتيك ، فامتثل محمّد أمر أبيه ، فأتاه أحد بني عمّه وسأله عن قاتل كريب؟ قال محمّد : أنا مكانه ، فتجاولا ثُمّ قتله محمّد ، وخرج إليه آخر فقتله محمّد حتّىٰ أتىٰ علىٰ سبعة منهم»[1] .

وفي ص١٠٥ من المناقب ذكر حديث العبّاس بن الحارث بن

---

(١) المناقب للخوارزمي : ٢٢٨ ، والنقل بالمعنىٰ .

عبد المطلب : «وقد برز إليه عثمان بن وائل الحميري فقتله العبّاس ، فبرز إليه أخوه حمزة ، وكان شجاعاً قوياً ، فنهاه أمير المؤمنين عليه السلام عن مبارزته ، وقال له : انزع ثيابك وناولني سلاحك وقف مكانك ، وأنا أخرج إليه ، فتنكّر أمير المؤمنين عليه السلام وبرز إليه وضربه علىٰ رأسه ، فقطع نصف رأسه ووجهه وابطه وكتفه ، فتعجّب اليمانيون من هذه الضربة وهابوا العبّاس بن الحارث »[1] .

هذا ما حدّث به في المناقب ، ومنه نعرف أنّ هناك واقعتين جرتا لأمير المؤمنين عليه السلام مع ولده العبّاس ومع العبّاس بن الحارث .

فانكار شيخنا الجليل المحدّث النوري في حضور العبّاس في صفّين ، مدّعياً اشتباه الأمر علىٰ بعض الرواة بالعبّاس بن الحارث في غير محلّه ، فإنّ الحجّة علىٰ تفنيد الخبر غير تامّة ؛ لأنّ آحاد هذا البيت ورجالاتهم قد فاقواالكُلّ في الفضائل جميعها ، وجاؤوا بالخوارق في جميع المراتب ، فليس من البدع إذا صدر من أحدهم ما يمتنع مثله عن الشجعان ، وإن لم يبلغوا مبالغ الرجال .

فهذا القاسم بن الحسن السبط لم يبلغ الحلم يوم الطفّ ، وقد ملأ ذلك المشهد الرهيب هيبةً وأهدىٰ إلىٰ قلوب المقارعين فرقاً ، وإلىٰ الفرائص ارتعاداً ، وإلىٰ النفوس خوراً ، غير مبالٍ بالجحفل الجرّار ، ولا بمكترث بمزدحم الرجال حتّىٰ قتل خمسة وثلاثين فارساً[2] ، وبطبع الحال فيهم من هو أقوىٰ منه ، لكن البسالة وراثة بين أشبال (علي) ، على حدّ سواء ، فهم فيها كأسنان المشط صغيرهم

---

(١) المناقب للخوارزمي : ٢٣١ ، والنقل بالمعنىٰ

(٢) لواعج الأشجان للأمين : ١٧٤ ، بحار الأنوار ٤٥ : ٣٤ ، وفيها : «فقتل علىٰ صغر سنّة خمسة وثلاثين رجلاً» بدل فارسٍ .

وكبيرهم ، كما أنّهم في الأنفة عن الدنية سيان ، فلم يغتالوا الشبل الباسل حتّىٰ وقف يشد شسع نعله ، وهو لا يزن الحرب إلّا بمثله ، وقد أنف (شبل الوصي) أن يحتفي في الميدان .

أهوىٰ يشد حذاءه ... والحرب مشرعة لأجله
ليسومها ما إن غلت ... هيجاؤها بشراك نعله
متقلّداً صمصامه ... متفيئاً بظلال نصله
لا تعجبن لفعله ... فالفرع مرتهن بأصله
السحُب يَخلقُها الحَيا ... والليّث مَنظور بشبلهِ
يُردي الطليعة مِنهُم ... ويُريهُم آياتُ فِعلهِ[1]

وهذا عبد اللّه بن مسلم بن عقيل بن أبي طالب بارز يوم الطفّ الألوف مع صغر سنّه ، حتّىٰ قتل منهم علىٰ رواية محمّد بن أبي طالب ثلاثة وتسعين رجلاً بثلاث حملات .

وهذا محمّد بن الحنفية فإنّ له مواقفاً محمودة في الجمل وصفين والنهروان ، وكانت الراية معه ، فأبلىٰ بلاء حسناً سجله له التاريخ وشكره الإسلام ، وكان صغير السن علىٰ ما يظهر من السبط في تذكرة الخواص وابن كثير في البداية ج٩ ص٣٨[2] ، فإنّهما نصّا علىٰ وفاته سنة ٨١ عن خمس وستين فتكون ولادته سنة ١٦ وله يوم البصرة الواقع سنة ٣٦ عشرون سنة .

وحينئذٍ فلا غرابة في التحدّث عن موقف أبي الفضل وما أبداه من كر وإقدام خصوصاً بعد ما أوقفنا النصّ النبوي الآتي علىٰ ما حواه ولد أبي طالب من بسالة وبطولة .

---

(١) للعلّامة السيّد مير علي أبو طبيخ رحمه الله .
(٢) البداية والنهاية لابن كثير ٩ : ٣٢ ، تذكرة الخواص ٢ : ٢٩٨ .

وأمّا يوم شهادة أخيه الإمام المجتبىٰ فله أربع وعشرون سنة وقد ذكر صاحب كتاب «قمر بني هاشم» ص٨٤ أنّه لمّا رأىٰ جنازة سيّد شباب أهل الجنّة ترمىٰ بالسهام عظم عليه الأمر، ولم يطق صبراً دون أن جرد سيفه وأراد البطش بأصحاب «البغلة» لولا كراهية السبط الشهيد الحرب، عملاً بوصية أخيّه «لا تهرق في أمري محجمة من دم»[1]، فصبر أبو الفضل علىٰ أحرّ من جمر الغضا، ينتظر الفرصة، ويترقب الوعد الإلهي، فأجهد النفس، وبذل النفس في مشهد (النواويس)، وحاز كلتا الحسنيين.

(١) دلائل الإمامة: ١٦٢، الإرشاد للشيخ المفيد: ١٧، عمدة الطالب لابن عنبة: ٦٧. باختلاف الألفاظ.

موقفه في الطفّ

ربما يستعصي البيان عن الإفاضة في القول في هذا الفصل لشدّة وضوحه ، وربما أعقب الظهور خفاءً ، فإنّ من أبرز الصفات الحميدة في الهاشميين الشجاعة وقد جُبلوا عليها ، وبالأخص الطالبيين ، وقد أوقفنا علىٰ هذه الظاهرة الحديث النبويّ : «لو ولد الناس أبو طالب كُلّهم لكانوا شجعاناً»[١] .

إذا فما ظنّك بطالبي أبوه أمير المؤمنين عليه السلام قاتل عمر بن عبد ودّ ، ومزهق مرحب ، وقالع باب خيبر ، وقد عرق في ولده البسالة كُلّها والشهامة بأسرها ، وعلّمه قراع الكتائب ، فنشأ بين حروب طاحنة ، وغارات شعواء ، وخؤولته العامريّون الذين شهد لهم عقيل بالفروسية ، وللخؤولة كالعمومة عرق ضارب في الولد ، ومن هنا قالت العرب : (فلان معم مخول) إذا كان كريمهم وحوىٰ المزايا الحميدة عنهما[٢] ، ولم يعقد أمير المؤمنين عليه السلام علىٰ أُمّ البنين إلّا لتلد

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٠ : ٧٨ ، كشف الغمة ٢ : ٢٣٥ باختلاف الفاظ الرواية بلفظ : «للّه در أبي طالب لو ولد الناس كلّهم كانوا شجعاناً» كما في كشف الغمة للأربلي ، أو : «لو ولد أبو طالب الناس كلّهم لكانوا شجعاناً» كما في شرح النهج .

(٢) لسان العرب ١١ : ٢٢٤ ، تاج العروس ١٤ : ٢١٦ . وقد نظم هذه الخاصة أبو =

له هذا الفارس المغوار والبطل المجرّب ، فما أخطأت إرادته الغرض ، ولا عدىٰ سهمه المرمىٰ .

فكان أبو الفضل رمز البطولة ، ومثال الصولات ، يلوح البأس علىٰ أسارير جبهته ، فإذا يمّم كمياً قصده الموت معه ، أو التقىٰ بمقبل ولّاه دبره ، ولم يبرح هكذا تشكوه الحرب والضرب ، وتشكوه الهامات ، والأعناق ما خاض ملحمة إلّا وكان ليلها المعتكر ، ولم يلف في معركة إلّا وقابل ببشره وجهها المكفهر .

يمثّل الكرار في كراته ... بل في المعاني الغرّ من صفاته
ليس يد اللّه سوىٰ أبيه ... وقدرة اللّه تجلّت فيه

= بكر محمّد بن العبّاس الخوارزمي المتوفّى سنة ٣٧٣ ، ففي معجم البلدان ١ : ٥٧ بمادة (آمل) أنّه قال :

بآمل مولدي وبنو جرير ... فأخوالي ويحكي المرء خاله
فها أنا رافضي عن تراث ... وغيري رافضي عن كلاله

عرّض بابن جرير صاحب التاريخ فإنّه أخو أمّه ، وكان من أهل السنّة ، وإنّما نسبه إلىٰ التشيّع الحنابلة لتصحيحه حديث الغدير ، فتشيّعه ادعائي وهو المعبّر عنه (بالكلالة) ، فإنّها في اللغة ما لم يكن من النسب لحاً ، فقول الحموي في المعجم : (كذب الخوارزمي ؛ لأنّ ابن جرير من أعلام السنّة) مبنيّ علىٰ عدم فهمه الغرض من البيت ، فالخوارزمي لم يعترف بتشيعه .

وقال الذهبي في تاريخه ٢٧ : ٦٨ : «وقال الحاكم في تاريخه : كان واحد عصره في حفظ اللغة والشعر ، وكان يذاكرني بالأسماء والكنىٰ حتّى يحيّرني حفظه . .» .

فهو يد اللّه وهذا ساعده   تغنيك عن إثباته مشاهده
صولته عند النزال صولته   لولا الغلوّ قلت: جلّت قدرته

وهل في وسع الشاعر أن ينضد خياله، أو يتسنّى للكاتب أن يسترسل في وصف تلك البسالة الحيدرية، وجوهر الحقيقة؟ قائم بنفسه، ماثل أمام الباحث، بأجلىٰ من كُلّ هاتيك المعرفات في مشهد يوم الطفّ.

ولعمري إنّ حديث كربلاء لم يبق لسابق في الشجاعة سبقاً ولا للاحق طريقاً إلّا الالتحاق به، فلقد استملينا أخبار الشجعان في الحروب والمغازي يوم شأوا الأقران في الفروسيّة، فلم يعدهم في الغالب الاستظهار بالعدد، وتوفّر العتاد وتهيء ممدّات الحياة من المطعم والمشرب، وفي المغالب أنّ الكفاية بين الجيشين المتقابلين موجودة.

يسترسل المؤرّخون لذكر شجعان الجاهلية والحالة كما وصفناها، واهتزوا طرباً لقصة ربيعة بن مكدم، وهي: أنّ ربيعة بن مكدم بن عامر بن حرثان من بني مالك بن كنانة كان أحد فرسان مضر المعدودين، خرج بالضعينة وفيها أمه أُم سنان من بني أشجع بن عامر بن ليس بن بكر بن كنانة، وأُخته أُم عزة، وأخوه أبو القرعة، ورأىٰ الظعينه دريد بن الصمّة فقال لرجل معه: صح بالرجل أن خَلّ الظعينة وانج بنفسك، وهو لا يعرفه، فلمّا رأىٰ ربيعة أنّ الرجل قد ألحّ عليه ألقىٰ زمام الناقة وحمل علىٰ الرجل فصرعه، فبعث دريد آخر فصرعه ربيعة، فبعث الثالث ليعلم خبر الأولين فقتله ربيعة وقد انكسر رمحه، فلمّا وافاه دريد ورأىٰ الثلاثة صرعىٰ ورمحه مكسوراً قال له: يا فتىٰ مثلك لا يقتل، وهؤلاء يثأرون، ولا رمح لك، ولكن

خذ رمحي وانج بنفسك والظعينة، ثُمّ دفع إليه رمحه ورجع دريد إلىٰ القوم وأعلمهم أنّ الرجل قتل الثلاثة وغلبه علىٰ رمحه، وقد منع بالظعينة، فلا طمع لكم فيه[١].

هذا الذي حفظته السيرة مأثرة لربيعة بن مكدم بتهالكه دون الضعائن حتّىٰ انكسر رمحه، ولكن أين هو من (حامىٰ الظعينة) يوم قاتل الألوف، وزعزع الصفوف عن المشرعة حتّىٰ ملك الماء وملأ القربة، والكُلّ يرونه ويحذرونه؟!

وأنّىٰ لربيعة من بواسل ذلك المشهد الرهيب فضلاً عن سيّدهم أبي الفضل، فلقد كان جامع رأيهم، فلم يقدهم إلّا إلىٰ محلّ الشرف، منكباً بهم عن خطة الخسف والضعة، علىٰ حين أن الأبطال تتقاذف بهم سكرات الموت؟!

هذا وللسبط المقدّس طرف شاخص إلىٰ صنوه البطل المقدام كيف يرسب ويطفو بين بهم الرجال، ووجهه متهلّل لكرّاته، ولحرائر بيت النبوّة أمل موطد لحامية الظعائن.

وإليك مثالاً من بسالته الموصوفة في ذلك المشهد الدامي، وهي لا تدعك إلّا مذعناً بما له من ثبات ممنع عند الهزاهز، وطمأنينة لدىٰ الأهوال.

الأوّل: في اليوم السابع من المحرّم حوصر سيّد الشهداء ومن معه، وسدّ عنهم باب الورود، ونفذ ما عندهم من الماء، فعاد كُلّ منهم يعالج لهب الأوام[٢]، وبطبع الحال كانوا بين أنّة وحنّة،

(١) الأغاني لأبي فرج الأصفهاني ١٦: ٣١٢.
(٢) الأوام: العطش، راجع: لسان العرب ١٢: ٣٨، القاموس المحيط ٤: ٧٧، مجمع البحرين للطريحي ١: ١٣٥، تاج العروس ١٦: ٣٨.

وتضوّر ، ونشيج ، ومتطلّب للماء إلىٰ متحرّ ما يبلّ غلته ، وكُلّ ذلك بعين « أبي علي » ، والغيارىٰ من آله ، والأكارم من صحبه ، وما عسىٰ أن يجدوا لهم وبينهم وبين الماء رماح مشرعة وبوارق مرهفة ، في جمع كثيف يرأسهم عمرو بن الحجاج ، لكن « ساقي العطاشى » لم يتطامن علىٰ تحمّل تلك الحالة .

أَوَتَشْتَكي العطشَ الفواطمُ عنده ... وبصدرِ صعدتهِ الفراتُ المُفعمُ
ولو استقىٰ نهرَ المجرة لارتقى ... وطويل ذابله إليها سلّمُ
لو سدَ ذو القرنين دونَ وروده ... نسفتهُ همّته بما هو أعظمُ
في كفّه اليسرى السقاء يقلّه ... وبكفّه اليمنى الحسام المخذم
مثلُ السحابةِ للفواطمِ صوبه ... فيصيبُ حاصبَه العدوُ فيرجمُ

هناك قيض الحسين لهذه المهمة أخاه العبّاس ، في حين أنّ نفسه الكريمة تنازعه إلىٰ ذلك قبل الطلب ، ويحدوه إليه حفاظه المرّ ، فأمره أن يستقي للحرائر والصبية ، وإن كان دونه شقّ المرائر ، وسفك المهج ، وضمّ إليه ثلاثين فارساً وعشرين راجلاً ، وبعث معهم عشرين قربة ، وتقدّم أمامهم نافع بن هلال الجملي ، فمضوا غير مبالين وكُلّ بحفظ الشريعة ؛ لأنّهم محتفون بشتيم من آل محمّد ، فتقدّم نافع باللواء وصاح به عمرو بن الحجّاج : من الرجل ؟ وما جاء بك ؟

قال : جئنا نشرب من هذا الماء الذي حلأتمونا عنه .

فقال له : أشرب هنيئاً .

قال نافع : لا واللّه لا أشرب منه قطرة والحسين ومن ترىٰ من آله وصحبه عطاشا .

فقال : لا سبيل إلىٰ سقي هؤلاء ، وإنّما وضعنا هاهنا لنمنعهم

الماء ، ثُمّ صاح نافع بأصحابه : إملأوا قربكم ، وشدّ عليهم أصحاب ابن الحجّاج ، فكان بعض القوم يملأ القرب وبعض يقاتل ، وحاميهم «ابن بجدتها» مسدّد الكماة ، المتربي في حجر البسالة الحيدرية ، والمرتضع من لبانها «أبو الفضل» ، فجاؤوا بالماء وليس في القوم المناوئين من تحدّثه نفسه بالدنوّ منهم ، فرقاً من ذلك البطل المغوار ، فبلت غلّة الحرائر والصبيّة الطيبة من ذلك الماء ، وابتهجت به النفوس[1] .

ولكن لا يفوت القارئ ، معرفة أنّ تلك الكميّة القليلة من الماء ما عسىٰ أن تجدي أُولئك الجمع الذي هو أكثر من مائة وخمسين رجالاً ونساء وأطفالاً ، أو أنّهم ينيفون علىٰ المائتين علىٰ بعض الروايات ، ومن المقطوع به أنّه لم ترو أكبادهم إلّا مرّة واحدة ، أو أنّها كمصّة الوشل ، فسرعان أن عاد إليهم الظما ، وإلىٰ اللّه سبحانه المشتكىٰ .

الثاني : كان أصحاب الحسينعليه‌السلام بعد الحملة الأُولىٰ التي استشهد فيها خمسون ، يخرج الاثنان والثلاثة والأربعة ، وكُلّ يحمي الآخر من كيد عدوّه ، فخرج الجابريان وقاتلا حتّىٰ قتلا ، وخرج الغفاريان فقاتلا معاً حتّىٰ قتلا ، وقاتل الحرّ الرياحي ومعه زهير بن القين يحمي ظهره حتّىٰ فعلا ذلك ساعة ، فكان إذا شدّ أحدهما واستلحم شدّ الآخر واستنقذه حتّىٰ قتل الحر[2] .

وفي تاريخ الطبري ج٦ ص٢٥٥ : «إنّ عمرو بن خالد الصيداوي ، وسعد مولاه ، وجابر بن الحارث السلماني ، ومجمع ابن

(١) تاريخ الطبري ٤ : ٣١٢ ، مقتل الحسين لأبي مخنف : ٩٨ .
(٢) تاريخ الطبري ٤ : ٣٤٠ ، مقتل الحسين لأبي مخنف : ١٦٠ .

عبد اللّه العائذي شدّوا جميعاً علىٰ أهل الكوفة ، فلمّا أوغلوا فيهم عطف عليهم الناس من كُلّ جانب ، وقطعوهم عن أصحابهم ، فندب إليهم الحسين أخاه العبّاس ، فاستنقذهم بسيفه ، وقد جرحوا بأجمعهم ، وفي أثناء الطريق اقترب منهم العدو ، فشدّوا بأسيافهم مع ما بهم من الجراح وقاتلوا حتّىٰ قتلوا في مكان واحد ، وفازوا بالسعادة الخالدة .

الشهادة

لم يفتأ قمر بني هاشم دؤوب علىٰ مناصرة الحقّ في شمّم وإباء عن النزول علىٰ حكم الدنيّة، منذ كان يرتضع لبان البسالة، وتربّى في حجر الإمامة، فترعرع ونصب عينه أمثلة الشجاعة والتضحية دون النواميس الإلهية، لمطاردة الرجال، ومجالدة الأبطال، فإمّا فوز بالظفر أو ظفر بالشهادة، فمن الصعب عنده النزول علىٰ الضيم، وهو يرىٰ الموت تحت مشتبك الأسنّة أسعد من حياة تحت الأضطهاد، فكان لا يرىٰ للبقاء قيمة «وإمام الحقّ» مكدور، وعقائل بيت الوحي قد بلغ منهنّ الكرب كُلّ مبلغ.

ولكن لمّا كان سلام اللّه عليه أنفس الذخائر عند السبط الشهيد، وأعزّ حامته لديه، وطمأنينة الحرم بوجوده وبسيفه الشاهر، ولوائه الخفاق، وبطولته المعلومة؛ لم يأذن له إلىٰ النفس الأخير من النهضة المقدّسة، فلا الحسين يسمح به، ولا العائلة الكريمة تألف بغيره، ولا الحالة تدعه لأن يغادر حرائر أبيه بين الوحوش الكواسر.

هكذا كان أبو الفضل بين نزوع إلىٰ الكفاح بمقتضى غريزته، وتأخّر عن الحركة لباعث ديني وهو طاعة الإمام عليه السلام، حتّىٰ بلغ الأمر نصابه، فلم يكن لجاذب الغيرة أو دافعها مكافئ، وكان مِلْءُ سمعه ضوضاء الحرم من العطش تارة، ومن البلاء المقبل أُخرىٰ، (ومركز

الإمامة) دارت عليه الدوائر ، وتقطّعت عنه خطوط المدد ، وتفانىٰ صحبه وذووه .

هنالك هاج (صاحب اللواء) ـ ولا يلحقه الليث عند الهياج ـ فمثل أمام أخيه الشهيد يستأذنه ، فلم يجد أبو عبد اللّه بدّاً من الإذن ، حيث وجد نفسه لتسبق جسمه إذ ليس في وسعه البقاء علىٰ تلك الكوارث الملمّة من دون أن يأخذ ثأره من أُولئك المردة ، فعرّفه الحسين أنّه مهما ينظر اللواء مرفوعاً كأنّه يرىٰ العسكر متصلاً ، والمدد متتابعاً ، والأعداء تحذر صولته ، وترهب إقدامه ، وحرائر النبوّة مطمئنة بوجوده ، فقال له : «أنت صاحب لوائي» ، ولكن اطلب لهؤلاء الأطفال قليلاً من الماء .

فذهب العبّاس إلىٰ القوم ووعظهم وحذّرهم غضب الجبّار ، فلم ينفع ، فرجع إلىٰ أخيه وأخبره ، فسمع الأطفال يتصارخون من العطش ، فنهضت (بساقي العطاشى) غيرته الشمّاء ، وأخذ القربة ، وركب فرسه ، وقصد الفرات ، فلم يرعه الجمع المتكاثر ، وكشفهم شبل علي عن الماء ، وملك الشريعة ، ومذ أحسّ ببرده تذكّر عطش الحسين ، فرأىٰ من واجبه ترك الشرب ؛ لأنّ الإمام ومن معه أضرّ بهم العطش ، فرمىٰ الماء من يده واسرع بالقربة محافظاً علىٰ مهجة الإمام ولو في آن يسير وقال[1] :

يا نفس من بعد الحسين هوني وبعدَه لا كنتِ أن تكوني
هذا الحسين وارد المنون وتشربين بارد المعين

تاللّه ما هذا فعال ديني

---

(١) بحار الأنوار ٤٥ : ٤٢ ، مقتل الحسين لأبي مخنف : ١٧٩ ، ينابيع المودة لذوي القربىٰ للقندوزي ٣ : ٦٧ .

فتكاثروا عليه وقطعوا طريقه ، فلم يبالِ بهم ، وجعل يضرب فيهم بسيفه ويقول :

لا أرهب الموت إذا الموت زقا حتىٰ أُوارىٰ في المصاليت لقا

إنّي أنا العبّاس أغدو بالسقا ولا أهاب الموت يوم الملتقىٰ

فكمن له زيد بن الرقاد الجهني ، وعاونه حكيم بن الطفيل السنبسي ، فضربه علىٰ يمينه فقطعها ، فأخذ السيف بشماله وجعل يضرب فيهم ويقول :

واللّه إن قطعتموا يميني إنّي أُحامي أبداً عن ديني

وعن إمام صادق اليقين نجل النّبيّ الطاهر الأمين

فكمن له حكيم بن الطفيل من وراء نخلة ، فضربه علىٰ شماله فبراها ، فضمّ اللواء إلىٰ صدره .

فعند ذلك أمنوا سطوته ، وتكاثروا عليه ، وأتته السهام كالمطر ، فأصاب القربة سهم وأُريق ماؤها ، وسهم أصاب صدره ، وسهم أصاب عينه ، وحمل عليه رجل بعمود من حديد وضربه علىٰ رأسه المقدّس .

وهو بجنب العلقمي فليتَهُ للشاربين به يُداف العلقم

ونادىٰ بصوت عالٍ : عليك منّي السلام يا أبا عبد اللّه(١) ، فأتاه الحسين عليه السلام ، ويا ليتني علمت بماذا أتاه ، أبحياة مستطارة منه بذلك الفادح الجلل ، أو بجاذب من الأُخوة إلىٰ مصرع صنوه المحبوب!

نعم ، حصل الحسين عنده وهو يبصر هيكل البسالة وقربان القداسة فوق الصعيد ، وقد غشيته الدماء السائلة ، وجلّلته النبال ، ورأىٰ ذلك الغصن الباسق قد ألمّ به الذبول ، فلا يمين تبطش ، ولا

---

(١) ينابيع المودة لذوي القربىٰ للقندوزي ٣ : ٦٨ .

منطق يرتجز ، ولا صولة ترهب ، ولا عين تبصر ، ومرتكز الدماغ علىٰ الأرض مبدّد .

أصحيح أنّ الحسين ينظر إلىٰ تلكم الفجائع ومعه حياة تقدمه ، أو عافية تنهض به ؟ لا واللّه لم يبق الحسين بعد أبي الفضل إلّا هيكلاً شاخصاً ، معرّىٰ عن لوازم الحياة ، وقد أعرب سلام اللّه عليه عن هذا الحال بقوله : «الآن انكسر ظهري ، وقلت حيلتي ، وشمت بي عدوي» .

وبان الانكسار في جبينه ... فاندكّت الجبال من حنينه

كافل أهله وساقي صبيته ... وحامل اللوا بعالي همّته

وكيف لا وهو جمال بهجته ... وفي محيّاه سرور مهجته

ورجع إلىٰ المخيم منكسراً حزيناً باكياً يكفكف دموعه بكمّه كي لا تراه النساء[1] ، وقد تدافعت الرجال علىٰ مخيمه ، فنادىٰ بصوت عال : أما من مجير يجيرنا ؟ أما من مغيث يغيثنا ؟ أما من طالب حقّ ينصرنا ؟ أما من خائف من النار فيذبّ عنّا ؟

كُلّ هذا لإبلاغ الحجّة ، وإقامة العذر ، حتّىٰ لا يعتذر أحد بالغفلة يوم يقوم النّاس لربِّ العالمين .

ولمّا رأته سكينة مقبلاً أخذت بعنان جواده ، وقالت : أين عمّي العبّاس ، أراه أبطأ بالماء ؟

فقال لها : إن عمّك قُتل ، فسمعته زينب فنادت : واأخاه ! واعباساه ! واضيعتنا بعدك ! وبكين النسوة وبكىٰ الحسين معهنّ ، ونادىٰ : واضيعتنا بعدك أبا الفضل .

---

(١) بحار الأنوار ٤٥ : ٤٢ .

المشهد المطهّر

ممّا لا شكّ فيه أنّ الإمام الشهيد أبا عبد اللّه عليه السلام لم يترك القتلىٰ في حومة الميدان، وإنّما كان يأمر بحملهم إلىٰ الفسطاط الذي يقاتلون دونه، وهذا وإن لم نجده صريحاً في كُلّ واحد من المستشهدين إلّا أنّ التأمّل فيما يؤثر في الواقعة يقتضيه، وإنّ طبع الحال يستدعيه، ويؤيّده ما في البحار من حمل الحرّ حتّىٰ وضع بين يديّ الحسين، وعند سقوط علي الأكبر أمر الحسين فتيانه أن يحملوه إلىٰ الفسطاط الذي يقاتلون دونه، وقد حمل القاسم بنفسه المقدّسة حتّىٰ وضعه مع ابنه الأكبر، وقتلىٰ حوله من أهل بيته.

هذا لفظ ابن جرير وابن الأثير، ومن البعيد جداً أن يحمل سيّد الشهداء أهل بيته خاصّة إلىٰ الفسطاط ويترك أُولئك الصفوة الأكارم الذين قال فيهم: «لا أعلم أصحاباً أولىٰ ولا خيراً من أصحابي»، ففضّلهم علىٰ كُلِّ أحد حتّىٰ علىٰ أصحاب جدّه وأبيه، وإن كُلّ أحدٍ لا يرضىٰ من نفسه هذه الفعلة، فكيف بذلك السيّد الكريم الذي علّم الناس الشمّم والإباء والغيرة؟!

علىٰ أنّ الفاضل القزويني يحكي في تظلّم الزهراء عليها السلام ص١١٨ عن غيبة النعماني: أنّ أبا جعفر الباقر عليه السلام يقول: «كان الحسين يضع قتلاه بعضهم مع بعض، ويقول: قتلة مثل قتلة النبيّين وآل

النبيّين»[١].

نعم، ممّا لا شكّ فيه أنّه عليه السلام ترك أخاه العبّاس في محلّ سقوطه قريباً من المسنّاة، لا لما يمضي في بعض الكتب من كثرة الجروح وتقطع الأوصال، فلم يقدر علىٰ حمله، لأنّ في وسع الإمام أن يحرّك ذلك الشلو المبضع إلىٰ حيث أراد ومتىٰ شاء.

وإلّا لِما قيل: من أنّ العبّاس أقسم عليه بجدّه الرسول أن يتركه في مكانه؛ لأنّه وعد سكينة بالماء ويستحي منها[٢]؛ لعدم الشاهد الواضح علىٰ كُلٍّ منهما.

بل إنّما تركه لسرّ دقيق، ونكتة لا تخفىٰ علىٰ المتأمّل ومن له ذوق سليم، ولولاه لم يعجز الإمام عن حمله مهما يكن الحال، وقد كشفت الأيام عن ذلك السرّ المصون وهو: أن يكون له مشهد يقصد بالحوائج والزيارات، وبقعة يزدلف إليها الناس، وتتزلّف إلىٰ المولى سبحانه تحت قبته التي تحك السماء رفعة وسناء، فتظهر هنالك الكرامات الباهرة، وتعرف الأُمة مكانته السامية ومنزلته عند اللّه، فتقدّره حقّ قدره، وتؤدّي ما وجب عليهم من الحبّ المتأكّد، والزورة المتواصلة، ويكون عليه السلام حلقة الوصل بينهم وبين اللّه تعالىٰ، وسبب الزلفىٰ لديه.

فشاء المهيمن تعالىٰ شأنه وشاء وليه وحجّته أن تكون منزلة

---

(١) الغيبة للنعماني: ٢١٩ والنصّ: «كان الحسين بن علي يضع قتلاه بعضهم إلىٰ بعض ويقول: قتلانا قتلىٰ النبيّين».

(٢) الدمعة الساكبة ٤: ٣٢٤ قال: «أقول: وفي بعض الكتب المعتبرة: إن من كثرة الجراحات الواردة علىٰ العبّاس عليه السلام لم يقدر الحسين عليه السلام أن يحمله إلىٰ محل الشهداء، فترك جسده في محلّ قتله ورجع باكياً حزيناً إلىٰ الخيام».

أبي الفضل الظاهرية شبيهة بالمنزلة المعنوية الآخروية ، فكان كما شاءا وأحبا .

ولو حمله سيّد الشهداء إلىٰ حيث مجتمع الشهداء في الحائر الأقدس لغمره فضل الإمام الحجّة عليه السلام ، ولم تظهر له هذه المنزلة التي ضاهت منزلة الحجّج الطاهرين ، خصوصاً بعد ما أكّد ذلك الإمام الصادق عليه السلام بإفراد زيارة مختصّة به ، وإذناً بالدخول إلىٰ حرمه الأطهر ، كما شرع ذلك لأئمة الهدىٰ غير ما يزار به جميع الشهداء بلفظ واحد ، وليس هو إلّا لمزايا اختصّت به .

وقد أرشدتنا آثار أهل البيت عليهم السلام علىٰ هذا الموضع من مرقده الطيّب ، ففي كامل الزيارة لابن قولويه ص٢٥٦ بسند صحيح عن أبي حمزة الثمالي عن الصادق عليه السلام قال : «إذا أردت زيارة العبّاس بن علي وهو على شطّ الفرات بحذاء الحير ، فقف علىٰ باب السقيفة وقل : سلام اللّه وسلام ملائكته . . .» .

وحكىٰ المجلسي أعلىٰ اللّه مقامه في مزار البحار عن الشيخ المفيد وابن المشهدي زيارة أُخرى له في هذا المشهد ، الذي أشار إليه الصادق برواية ، غير مقيّدة بوقت من الأوقات .

وهكذا حكي عن المفيد والشهيد والسيّد ابن طاووس في زيارة النصف من رجب ، وليلة القدر ، ويومي العيدين ، ومثله العلّامة النوري في تحيّة الزائر .

وعبارة المفيد في الإرشاد صريحة فيما نصّت به رواية أبي حمزة الثمالي ، فإنّه قال عند ذكر من قتل من آل الحسين : «وكلّهم مدفونون ممّا يلي رجلي الحسين عليه السلام في مشهده ، حفر لهم حفيرة

وأُلقوا فيها جميعاً . . إلّا العبّاس بن علي رضوان اللّه عليه ، فإنّه دفن في موضع مقتله علىٰ المسنّاة بطريق الغاضرية ، وقبره ظاهر ، وليس لقبور أخوته وأهله الذين سمّيناهم أثر ، وإنّما يزورهم الزائر من عند قبر الحسين ، ويومئ إلىٰ الأرض التي نحو رجليه بالسلام ، وعلي ابن الحسين في جملتهم ، ويقال : إنّه أقربهم دفناً إلىٰ الحسين عليه السلام .

فأمّا أصحاب الحسين الذين قُتلوا معه ، فإنّهم دفنوا حوله ، ولسنا نحصل لهم أجداثاً علىٰ التحقيق ، إلّا أنا لا نشكّ أنّ الحائر محيط بهم . . »[١] .

وعلىٰ هذا مشى العلماء المحقّقون والمنقّبون في الآثار من كون مشهده بحذاء الحائر الشريف ، قريباً من شطّ الفرات ، نصّ عليه الطبرسي في إعلام الورىٰ ص١٤٧ ، والسيّد الجزائري في الأنوار النعمانية ص٣٤٤ ، والشيخ الطريحي في المنتخب ، والسيّد الداودي في عمدة الطالب ص٣٤٩ ، وحكاه في رياض الأحزان ص٣٩ عن كامل السقيفة[٢] .

وهو الظاهر من ابن إدريس في السرائر ، والعلّامة في المنتهى ، والشهيد الأوّل في مزار الدروس ، والأردبيلي في شرح الإرشاد ، والسبزواري في الذخيرة ، والشيخ آغا رضا في مصباح الفقيه ، فإنّهم نقلوا كلام المفيد ساكتين عليه[٣] .

---

(١) الإرشاد للشيخ المفيد ٢ : ١٢٦ .

(٢) مناقب آل أبي طالب ٣ : ٢٥٦ .

(٣) السرائر ١ : ٣٤٢ ، منتهىٰ المطلب ١ : ٣٩٥ ، ذخيرة العباد : ٤١٣ ، غنائم الأيام ٢ : ١٣٢ ، جواهر الكلام ١٤ : ٣٤٠ ، مصباح الفقيه ٢ : ٧٦١ ، كتاب =

ملاحظة

تقدّم في نقل البحار أنّ الحرّ الرياحي حُمل من الميدان ووضع أمام الحسين عليه السلام ، وعليه يكون مدفوناً في الحائر الأطهر .

ولكن في الكبريت الأحمر ج٣ ص١٢٤ جاءت الرواية عن مدينة العلم للسيّد الجزائري : أنّ السجّاد دفنه في موضعه ، منحازاً عن الشهداء ، وفي ص٧٥ ذكر أنّ جماعة من عشيرته نقلوه عن مصرع الشهداء لئلا يوطأ بالخيل إلىٰ حيث مشهده ، ويقال : إنّ أُمه كانت معه ، فأبعدته عن مجتمع الشهداء .

وإذا صحّ حمل العشيرة إياه إلىٰ حيث مشهده ، فلا يتمّ ما في مدينة العلم من دفن السجّاد له ، فإنّه من البعيد جداً أن تحمله العشيرة ثُمّ تترك عميدها في البيداء عرضة للوحوش ، بل لم يعهد ذلك في أي أُمّة وملّة .

وعلىٰ كُلّ ، فهذا المشهد المعروف له ممّا لا ريب في صحته ؛ للسيرة المستمرة بين الشيعة علىٰ زيارته في هذا المكان ، وفيهم

= الصلاة للشيخ الحائري : ٦٥٥ ، مستمسك العروة الوثقىٰ للحكيم ٨ : ١٨٨ .
وفي مزار الدروس ٢ : ٢٥ : « .. ثمّ يزور الشهداء ، ثمّ يأتي العبّاس بن علي عليه السلام فيزوره .. » .

العلماء والمتديّنون .

ويظهر من الشهيد الأوّل المصادقة عليه ، فإنّه قال في مزار الدروس : «وإذا زار الحسين فليزر علي بن الحسين وهو الأكبر على الأصح ، وليزر الشهداء وأخاه العبّاس والحرّ بن يزيد»[1] .

ووافقه العلّامة النوري في اللؤلؤ والمرجان ص١١٥ ، واعتماد السلطنة محمّد حسن المراغي ـ من رجال العهد الناصري ـ في حجّة السعادة علىٰ حجة الشهادة ص٥٦ طبع تبريز .

وقال المجلسي في مزار البحار عند قوله عليه السلام في زيارة الشهداء العامّة : «فإنّ هناك حومة الشهداء» ، المراد منه معظمهم أو أكثرهم ، لخروج العبّاس والحرّ عنهم[2] .

ويشهد له ما في الأنوار النعمانية ص٣٤٥ أنّ الشاه إسماعيل لما ملك بغداد ، وزار قبر الحسين عليه السلام ، وبلغه طعن بعض العلماء علىٰ الحرّ ، أمرَ بنبشه لكشف الحقيقة ، ولمّا نبشوه رآه بهيئته لمّا قتل ، ورأىٰ علىٰ رأسه عصابة قيل له : إنّها للحسين، فلمّا حلّها نبع الدم كالميزاب ، وكُلّما عالج قطعة بغيرها لم يتمكّن، فأعادها إلىٰ محلّها ، وتبيّنت الحقيقة ، فبنى عليه قبة ، وعيّن له خادماً ، وأجرىٰ لها وقفاً .

---

(١) الدروس للشهيد الأوّل ٢ : ١١ والعبارة بالمعنىٰ ، الينابيع الفقهية ٣٠ : ٤٩٣ .
(٢) بحار الأنوار ٤٥ : ٦٥ ، و٩٨ : ٣٦٩ ، المزار للمشهدي : ٤٨٦ ، إقبال الأعمال ٣ : ٧٣ .

الحائر

جاء في حديث الصادق عليه السلام لفظ الحَيْر فإنّه قال: «وهو علىٰ شطّ الفرات بحذاء الحَيْر».

والحير، بالفتح فالسكون كالحائر: هو المكان المنخفض الذي يسيل إليه ماء الأمطار ويجتمع فيه.

وفي تاج العروس بمادة حور: الحائر: اسم موضع فيه مشهد الإمام المظلوم الشهيد أبي عبد اللّه الحسين[1].

ولم تحدث التسمية بالحائر من استدارة الماء حول القبر المقدّس حين أُجري عليه بأمر المتوكل العباسي؛ لأنّ لفظ الحائر والحير وقع في لسان الصادق والكاظم قبل استخلاف المتوكّل.

نعم، إنّ اللّه سبحانه أكرم حجّته، ووليه المذبوح دون دينه القويم، ممنوعاً من ورود الماء الذي جعل شرع سواء لعامة المخلوقات؛ باستدارة الماء حول قبره يوم أُجري عليه، لإعفاء أثره ومحو رسمه (ولن يزداد أثره إلّا علواً)[2].

---

(١) لسان العرب ٤: ٢٢٣، تاج العروس ٦: ٣٢١، مجمع البحرين ١: ٦٠٥.

(٢) أقول: (وأنا العبد الفقير إلىٰ اللّه تعالىٰ محقّق هذا الكتاب محمّد الحسّون) من بعد غيبة طويله وفراق مرير انجلت سحب الآهات عن قلبي، وارتوىٰ ضماي بمعين النظر إلىٰ قبرٍ ضمّ خير ناصرٍ لأبي الأحرار الحسين عليه السلام، وشفي =

ولقد شعّت هذه الآية الباهرة، فاستضاءت منها الحقف والأعوام، واهتزّت لها الأندية والمحافل ارتياحاً، وتناقلها العلماء المنقّبون في جوامعهم، منهم الشهيد الأوّل في الذكرىٰ، والأردبيلي في شرح الإرشاد، والسبزواري في الذخيرة، والشيخ الطريحي في المنتخب، والشيخ المحقّق في الجواهر.

وكم لآل الرسول من براهين كاثرت النجوم بكثرتها، وقد اجتهد أهل العناد في إغفالها أو افتعال نظائرها لأئمتهم، حقداً وحسداً ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ﴾[1].

مَن يباريهم وفىٰ الشمس معنىٰ ... مجهد متعب لمن باراها
ورثوا من محمّد سبق أولا ... ها وحازوا مالم تحز اخراها

= غليلي بالنزول بقعوةِ مغيّبهِ، فاستشممتُ عطرَ الملائكة الحافّين بتربته، حيث وفقني الباري تعالىٰ أن أزور قبر قمر بني هاشم أبي الفضل العبّاس عليه السلام، الواقع في السرداب المقدّس الكائن تحت القبة الشريفة، فتغشتني رحمة ربي تعالىٰ بمشاهدة الماء الذي يأتي في سَاقية من جهة قبر سيّد الشهداء أبي عبداللّه الحسين عليه السلام ـ الذي لم يذق من برده شربةً، وقد مضىٰ بقلب حرّته أشفارُ الضما كما حزّ خنجرُ الضبابي منحَره الشريف ـ ثمّ يدور حول قبر السّقاء الذي آثر ألم الضما علىٰ الرواء، وارتوىٰ بروح الوفاء لأخيه وابن بنت رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم حيث الكلمة الخالدة

يا نفس من بعد الحسين هوني ... وبعده لا كنت أن تكوني
هذا حسين وارد المنون ... وتشربين بارد المعين
واللّه ما هذا فعال ديني ... ولا فعال صادق اليقين

ومن بعد قرون متطاولة يستمر دوران الماء دورة كاملة حول قبر الشهيد الضامي والأخ المواسي لأخيه، ثمّ يخرج من خلال ساقية إلىٰ خارج كربلاء المقدّسة.

(١) التوبة: ٣٢.

قــادة عـلمهم ورأي حـجاهم مسـمعاً كـلّ حكـمة منظراها
عــلماء أئــمة حكــماء يـهتدي النجم بـاتباع هـداها

يتحدّث اليافعي في مرآة الجنان ج ٤ ص٢٧٣ عن كرامة لأحمد بن حنبل فيقول: «زادت دجلة زيادة مفرطة حتّىٰ خربت مقبرة أحمد بن حنبل، سوىٰ البيت الذي فيه ضريحه، فإنّ الماء دخل في الدهليز علوّ ذراع ووقف بإذن اللّه، وبقيت البواري عليها الغبار حول القبر، صح الخبر».

هكذا يرتاح لهذه الكرامة ويصحّح الخبر، ولكنّه يتوقّف عن إثبات تلك الكرامة لسيّد شباب أهل الجنّة، وفلذة كبد الإسلام، وريحانة النبيّ الأعظم.

وما أدري بماذا يعتذر يوم جرفت دجلة قبر ابن حنبل ومحت أثره حتّىٰ لم يعرف له ضريح إلىٰ اليوم[1].

وقد أجاد العلّامة الشيخ محمّد السماوي إذ يقول:

ألا مـن عـذيري يـا بـني العـلم والحـجى
مــن اليــافعي الحــنبلي المــجلّلِ
يكــذّبني إن قــلت: قــبر ابـن فـاطم
عــليه اســتدار المــاء للــمتوكّلِ
ويــزعم حــارَ المـا ولم تـجل غـبرة
عـلىٰ حـصرٍ كـانت بـقبر ابـن حـنبل

وإنّ لأمثال ذلك في كتبهم أُنشىء الكثير، أرادوا به المقابلة لما صدر من آل النّبي المعصومين، والإشارة إلىٰ بعض ما أوقفنا البحث عليه وإن يخرجنا عن وضع الرسالة، إلّا أنّ الغرض تعريف القارئ

---

(١) بغداد في عهد العباسيين: ١٤٦.

بأنّ العداء كيف يأخذ بالشخص إلىٰ إنكار البديهي والتعامي عن النيرات .

ذكر اليافعي في مرآة الجنان ج٣ ص١١٣ : «إنّ أبا إسحاق الشيرازي المتوفّىٰ سنة ٤٧٦ هجرية لمّا ورد بلاد العجم ، خرج أهلها إليه بنسائهم وأطفالهم للتبرّك به ، فكانوا يمسحون أردانهم به ، ويأخذون من تراب نعله فيستشفون به» .

وإذا صحّ مثل هذا ، فلماذا كان الاستشفاء بتربة الحسين عليه السلام ـ وهو سيّد شباب أهل الجنّة ـ بدعة وضلالة ؟!

ثُمّ في ج٣ ص١٣٣ منه يعدّ من فضائل أحمد وكراماته ، وما حباه اللّه عن خدمته في الدّين : «إنّ إبراهيم الحربي رأىٰ في المنام بشر الحافي خارجاً من مسجد الرصافة ، وفي كمّه شيء ، فسأله عنه ، فقال : لمّا قدم علينا روح أحمد بن حنبل نثر عليه الدر والياقوت ، فهذا ممّا التقطته» .

أصحيح أن تُعدّ هذه الرؤيا من الكرامات ، ويُعدّ من الباطل حديث الرسول الأعظم في حقّ سيّد الوصيّين ، ومن هو منه بمنزلة هارون من موسى ، ولولاه لما قام للدّين عمود ، ولمّا أخضّر له عود ، وذلك لما تزوّج أمير المؤمنين من سيّدة نساء العالمين ، بأنّ اللّه تعالىٰ أمر شجرة طوبىٰ أن تحمل صكاكاً فيها براءة لمحبّي علي وفاطمة من النار ، وأنشأ تحتها ملائكة التقطوا ما نثرته عليهم ، يحفظونه إلىٰ يوم القيامة ، كرامة لعلي وفاطمة ؟!

ثُمّ يرمي راوي هذه الكرامة بالجهالة والرفض ويعدّ الحديث من الموضوعات[1] ، مع شهرة الحديث بين المحدّثين والمنقبين في

(١) اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للسيوطي ١ : ٣٦٤ .

الآثار.

وجاء السبكي فعد في طبقات الشافعية ج١ ص٢١٥ من فضائل أحمد بن نصر الخزاعي، الذي قتله الواثق علىٰ مسألة خلق القرآن: تكلّم رأسه بالقرآن لمّا قُطع وبقي يقرأه إلىٰ أن أُلحق بالجسد ودفن.

وإذ سمعوا بأنّ رأس الحسين الذي قُتل في سبيل الدعوة الإلهية وإحياء الدّين يتكلّم بالقرآن، لإتمام الحجّة، وتعريفاً للأُمة طغيان أُولئك الأُمراء، ولئلّا تذهب تلك التضحية المقدّسة أدراج التمويهات، طعنوا في الحديث، ونسبوا راويه إلىٰ الرفض والجهالة، مع أنّ الحسين لم يخرج عن كونه ابن الرسول، وقد شهد الصادق الأمين له ولأخيه المجتبىٰ بأنّهما إماما هذه الأُمة، إن قاما وإن قعدا، وأنّهما سيّدا شباب أهل الجنّة، ولم يخرج أشراً ولا بطراً، ولا ظالماً للعباد، ولا غاصباً للحقوق.

ولم يقتنع بذلك حتّىٰ ادّعىٰ كرامة لإسماعيل الحضرمي وأنّها من المستفيض، قال في ج٥ ص٥١ من طبقات الشافعية: «إنّ إسماعيل بن محمّد ابن إسماعيل الحضرمي كان في سفر ومعه خادمه، فأشرفت الشمس علىٰ الغروب، فقال لخادمه: قُلْ للشمس تقف حتّىٰ نَصل المنزل ونصلّي! فقال الخادم: إنّ الفقيه إسماعيل يقول لك: قفِ، فوقفت حتّىٰ بلغ المنزل وصلّىٰ، ثُمّ قال للخادم: أما تطلق ذلك المحبوس، فأمرها الخادم بالغروب، فغابت وأظلم الليل في الحال!!

هكذا يقول الخبر من المستفيض في رجل قصارىٰ ما يتخيّل فيه أنّه أحد الأولياء، وينكر حديث ردّ الشمس لأمير المؤمنين، وكان من أعلام النبوّة!

ويرتاح الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ج٤ ص٤٢٣ إلىٰ حديث الوركاني بوقوع المآتم والنوح في أربعة أصناف من الناس : المسلمين، واليهود ، والنصارىٰ ، والمجوس ، يوم وفاة أحمد بن حنبل ![1]

ولا يكون هذا من البدعة والشناعة والخروج عن أخلاق المؤمنين! كما تحاملوا بذلك علىٰ الشيعة في إقامتهم المآتم والنياحة علىٰ سليل الرسول وريحانته حتّىٰ قال الغزالي في مكاشفة القلوب ص١٨٧ : «إياك أن تشتغل ببدع الرافضة من الندب والنياحة والحزن ، فإنّ ذلك ليس من أخلاق المؤمنين»!!

وضرب علىٰ وتره غير واحد من المؤرّخين.

وما ذنب الشيعة والمشرّع الأعظم بكىٰ علىٰ ولده الحسين وهو حيّ يرزق لمجرّد تذكّر ما يجري عليه ، فيخرج إلىٰ المسجد ودموعه جارية ، فتبكي الصحابة لبكائه ، وفيهم : أبو بكر ، وعمر ، وأبو ذر ، وعمّار ، ويسأل عن سبب بكائه؟ فيقول : «الآن حدّثني جبرائيل بما يجري علىٰ الحسين»[2] .

ويمرّ أمير المؤمنين بوادي كربلاء في ذهابه إلىٰ صفّين، فيقف هناك ويرسل عبرته ويقول : «هذا مناخ ركابهم ، ومهراق دمائهم ، طوبىٰ لكِ من تربة تراق عليك دماء الأحبة»[3] .

---

(١) تاريخ بغداد ٥ : ١٨٨ ، الجرح والتعديل للرازي ١ : ٣١٣، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٥ : ٣٣٣ ، تهذيب الكمال للمزي ١ : ٤٦٨ .

(٢) الخصائص الكبرى للسيوطي ٢ : ١٢٥ .

(٣) قرب الإسناد : ٢٦ ، كامل الزيارات : ٤٥٣ ، ذخائر العقبىٰ : ٩٧، بحار الأنوار ٤١ : ٢٩٥ ، كشف الغمة ٢ : ٢٢٢ ، الخصائص الكبرىٰ للنسائي ٢ : =

إذن ، فهلّا تحسن مواساة صاحب الشريعة ووصيّه المقدّم بعد وقوع الحادثة علىٰ فلذة كبده صاحب النهضة المقدّسة ، واللّه عزّ وجلّ يقول : ﴿لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[١] .

علىٰ أنّ الأحاديث الصحيحة عندهم عن أئمتهم تحثّهم علىٰ التظاهر بما فيه إحياء أمرهم من الدعوة إلىٰ سبيل الدّين ، وإظهار الجزع والبكاء والنوح علىٰ سيّد شباب أهل الجنّة .

ويقول الإمام الصادق عليه‌السلام في دعائه الطويل وهو ساجد : « اللهمّ ارحم تلك الصرخة التي كانت لنا ، اللهمّ إنّ أعداءنا عابوا عليهم خروجهم إلينا ، فلم ينههم ذلك عن الشخوص إلينا ، رغبة في برّنا ، وصلة لرسولك ، وخلافاً منهم علىٰ ما خالفنا ، اللهمّ أعطهم أفضل ما يأملون في غربتهم عن أوطانهم ، وما أثرونا به علىٰ أبنائهم »[٢] .

ويقول عليه‌السلام لحمّاد الكوفي : « بلغني أنّ أُناساً من الكوفة وغيرهم من نواحيها يأتون قبر الحسين في النصف من شعبان ، فبين قارئ يقرأ ، وقاصّ يقصّ ، ومادح يمدح ، ونساء يندبنه » ؟

فقال حمّاد : قد شهدت بعض ما تصف .

فقال عليه‌السلام : « الحمد للّه الذي جعل في شيعتنا من يفد إلينا ويمدحنا ويرثي لنا ، وجعل في عدوّنا من يقبّح ما يصنعون »[٣] .

ولمّا قال له ذريح المحاربي : إنّي إذا ذكرت فضل زيارة الحسين لقومي وبنيّ كذبوني ؟ فقال : « دع الناس يذهبون حيث

= ١٢٦ ، الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي : ٧٦١ ، جواهر المطالب في مناقب الامام علي للدمشقي : ٢٦٣ ، باختلاف الألفاظ .

(١) الأحزاب : ٢١ .

(٢) كامل الزيارات : ٢٢٨ ، والدعاء فيه تقديم وتأخير .

(٣) كامل الزيارات : ٥٣٩ ، وسائل الشيعة ١٤ : ٥٩٩ ، بتقديم وتأخير .

شاؤوا وكن معنا »[١] .

فإذا كان هذا وأمثاله الكثير ممّا أوجب فعل الشيعة لتلك المظاهر ، فلماذا يُطعن عليهم عند إيمانهم بها ، وما ذنبهم؟! أفلا يتأوّل عملهم والحال هذا كما أوّلوا عمل خالد وغيره؟ أين المنصفون؟

نعم ، ليس السرّ فيما حكموا به علىٰ الشيعة من الرياء والتصنّع والشنعة والبدعة إلّا قيامهم بهذه الشعائر التي فيها إظهار مظلومية أهل البيت العلوي ، وتفظيع أعمال المناوئين لهم ، وإعلام الملأ بما نشروه من الجور ، واسترداد الجاهلية الأُولىٰ ، كما اعترف به ابن كثير في البداية والنهاية ج٨ ص٢٠٢ قال : «إنّ الشيعة لم يريدوا بهذه الأعمال إلّا أن يشنّعوا علىٰ دولة بني أُمية ، لأنّه قتل في دولتهم »[٢] .

وعليه فلا يكون العمل المستلزم للتشنيع علىٰ عمل الجبابرة وطواغيت الأُمة بقتلهم سيّد شباب أهل الجنّة ، وتلاعبهم بالدّين الحنيف تلاعب الصبيان بالإكر ؛ مقرباً للمولّىٰ زلفة ، ورضىً لربِّ العالمين .

---

(١) كامل الزيارات : ٢٧٢ ، بحار الأنوار ٩٨ : ٧٥ .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ٨ : ٢٢٠ .

نهر العلقمي

لم يذكر أصحاب المعاجم هذا الوصف، وأهمله المؤرّخون، كما لم يصفه حديث الصادق عليه السلام في الزيارة المتقدّمة فإنّ فيها: «وهو مدفون بشط الفرات بحذاء الحير»[1].

لكن شيخنا الطريحي ذكر في المنتخب ص٩١: أنّ رجلاً من أهل الكوفة حدّاد قال: خرجت في البعث الذي سار إلىٰ كربلاء، فخيّمنا علىٰ شاطئ العلقمي، وحموا الماء عن الحسين ومن معه حتّىٰ قُتِلوا، وأهله وأنصاره عطاشا، ثُمّ رجعنا إلىٰ الكوفة، وبعد أنّ سيّر ابن زياد السبايا إلىٰ الشام رأيت في المنام كأنّ القيامّة قامت، والناس يموجون، وقد أخذهم العطش، وأنا أعتقد بأنّي أشدّهم عطشاً، مع شدّة حرارة الشمس، والأرض تغلي كالقار، إذ رأيت رجلاً عمّ الموقف نوره، وفي أثره فارس، وجهه أنور من البدر، وبينا أنا واقف إذ أتاني رجل وقادني بسلسلة إليه فقلت له: أُقسم عليك بمن أمرك مَن تكون؟

قال: أنا من الملائكة.

قلت: ومن هذا الفارس؟

قال: هذا علي أمير المؤمنين.

---

(١) كامل الزيارات: ٤٤٠، بحار الأنوار ٩٨: ٢٧٧، والعبارة: «إذا أردت زيارة قبر العبّاس عليه السلام، وهو علىٰ شط الفرات بحذاء الحائر..».

قلت : ومَن ذلك الرجل؟

قال : محمّد صلى الله عليه وآله .

ثُمّ رأيت عمر بن سعد وقوماً لم أعرفهم في أعناقهم سلاسل من حديد ، والنار تخرج من أعينهم وآذانهم ، ورأيت النبيّين والصدّيقين قد أحدقوا بمحمّد صلى الله عليه وآله ، فقال رسول اللّه لعلّي : «ما صنعتَ»؟

قال : «لم أترك أحداً من قاتلي الحسين إلّا جئت به» ، فقدموهم أمام رسول اللّه وهو يسألهم عمّا صنعوا بولده يوم كربلاء ، فواحد يقول : أنا حميت الماء عنه .

والآخر يقول : أنا رميته .

والثالث يقول : أنا وطأت صدره .

ورابع يقول : أنا قتلت ولده .

وهو يبكي حتّىٰ بكىٰ مَن حوله لبكائه ، ثمّ أمر بهم إلىٰ النار ، وجي برجل قال له : ما صنعت؟

قال كنت نجاراً ، وما حاربت ، ولا قتلت .

فقال : «لقد كثّرت السواد علىٰ ولدي» ، فأمر به إلىٰ النار .

ثُمّ قدّموني إليه ، فحكيت له فعلي ، فأمر بي إلىٰ النار ، فلمّا قصّ الرؤيا علىٰ من حضر عنده ، يبس لسانه ، ومات نصفه ، وهلك بأسوأ حال ، وقد تبرّأ منه كُلّ من سمع وشاهد .

وفي مدينة المعاجز ص٢٦٣ باب ١٢٧ روي عن رجل أسدي قال : «كنت زارعاً علىٰ نهر العلقمي بعد ارتحال عسكر بني أمُية ، فرأيت عجائباً لا أقدر أن أحكي إلا بعضاً منها : إذ هبت الريح تمّر عليّ نفحات كنفحات المسك والعنبر ، وأرىٰ نجوماً تنزل من

السماء وتصعد مثلها من الأرض، ورأيت عند غياب الشمس أسداً هائل المنظر، يتخطّىٰ القتلىٰ حتّىٰ وقف علىٰ جسد جلّله الأنوار، فكان يمرّغ وجهه وجسده بدمه، وله صوت عالٍ، ورأيت شموعاً معلّقة، وأصواتاً عالية، وبكاء وعويلاً، ولا أرىٰ أحداً»[(١)].

وفي مناقب ابن شهرآشوب ج٢ ص١٩٠: روىٰ جماعة من الثقات: أنّه لمّا أمر المتوكّل بحرث قبر الحسين، وأن يجري عليه الماء من العلقمي، أتىٰ زيد المجنون وبهلول المجنون إلىٰ كربلاء ونظرا إلىٰ القبر لم يتغيّر بما صنعوا[(٢)].

وفي هذا دلالة علىٰ وصف النهر بالعلقمي في تلك الأيام، ويؤكّد ذلك ما في مزار البحار ص١٦١ عن مزاري المفيد وابن المشهدي من ورود رواية بزيارة العبّاس عليه السلام غير مقيّدة بوقت، وفيها: «إذا وردتَ أرض كربلاء فأنزل منهما بشاطئ العلقمي، ثُمّ اخلع ثياب سفرك واغتسل غسل الزيارة مندوباً وقل...»[(٣)].

وفي تحيّة الزائر ص١٣٥ ذكر عنهما وعن الشهيد الأوّل وابن طاووس، ورود رواية بزيارة للحسين وقالوا: «إذا وردت قنطرة العلقمي فقل: إليك اللهمّ قصد القاصد..»[(٤)].

والظاهر منه ورود لفظ العلقمي في الرواية وليس من كلام العلماء، خصوصاً بعد العلم بأنّهم لا يذكرون إلا ما يعتمدون عليه في الروايات، ومنه نعرف أن نهر العلقمي كان معروفاً في الأزمنة

---

(١) مدينة المعاجز ٤: ٧٠، الباب ١٢٧، بحار الأنوار ٤٥: ١٩٣.

(٢) مناقب آل أبي طالب ٣: ٢٢١، وعنه بحار الأنوار ٤٥: ٤٠١، والعوالم: ٧٢٧.

(٣) المزار للشيخ المفيد: ٩٩، المزار للمشهدي: ٣٧٠.

(٤) المزار للمشهدي: ٤١٨، بحار الأنوار ٩٨: ٢٣٢.

السابقة علىٰ زمان ابن العلقمي الذي هو في القرن السابع .

وجاء في نصّ الشيخ الطوسي ، ففي مصباح المتهجد ص٤٩٩ : «إنّ الصادق عليه السلام قال لصفوان الجمّال : إذا أتيت الفرات (أعني شرعة الصادق بالعلقمي) فقل : اللهمّ أنت خير من وفد . .»[١] .

وعلىٰ هذا يكون قول الفاضل السيّد جعفر الحلّي علىٰ الحقيقة :

وهَوىٰ بجنبِ العَلقمّي فليتَه للشاربين بِه يُداف العلقم

نعم ، لم يُعرف السبب في التسمية به ، وما قيل في وجهها : (إنّ الحافر للنهر رجل من بني علقمة ، بطن من تميم ، ثُمّ من دارم جدّهم علقمة بن زرارة بن عدس) لا يعتمد عليه ، لعدم الشاهد الواضح .

ومثله في ذكر السبب كثرة العلقم حول حافتي النهر ، وهو كالقول بأنّ عضد الدولة أمر بحفر النهر ووكله إلىٰ رجل اسمه علقمة ، فإنّها دعاوىٰ لا تعضدها قرينة ، علىٰ أنّك عرفت أنّ التسمية كانت قبل عضد الدولة .

وحكي في الكبريت الأحمر ج٢ ص١١٢ عن السيّد مجد الدين محمّد المعروف بمجدي من معاصري الشيخ البهائي في كتابه زينة المجالس المؤلّف سنة ١٠٠٤ : «أنّ الوزير السعيد ابن العلقمي لمّا بلغه خطاب الصادق عليه السلام للنهر : «إلىٰ الآن تجري وقد حُرم جدي منك» أمر بسدّ النهر وتخريبه ، ومن أجله حصل خراب الكوفة ، لأنّ ضياعها كانت تسقىٰ منه» .

---

(١) مصباح المتهجد للشيخ الطوسي : ٧١٨ ، المزار للشهيد الأوّل : ١١٨ .

مشهد الرأس

ذكر أرباب المقاتل أنّ عمر بن سعد أمر بالرؤوس فقُطعت، فكانت ثمانية وسبعين رأساً، أخذت كندة ثلاثة عشر، وأقبلت هوازن باثني عشر، وجاءت تميم بسبعة عشر رأساً، وأقبلت بنو أسد بستّة عشر رأساً، واختصت مذحج بسبعة، ولسائر الجيش ثلاثة عشر رأساً[1].

وساروا بها إلىٰ الكوفة، ثُمّ سيّر ابن زياد رأس الحسين ورؤوس من قُتل معه من أهله وصحبه مع السبايا إلىٰ يزيد بالشام[2].

---

(١) اللهوف في قتلىٰ الطفوف: ٨٥، لواعج الأشجان: ١٩٧.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٣٥١، الكامل في التاريخ لابن الأثير ٤: ٨٣ الثقات لابن حبّان ٢: ٣١٣، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ٣: ٢٩، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٤: ٢٨٠، بلاغات النساء لابن طيفور: ٢١، البداية والنهاية لابن كثير ٨: ٢٠٩.

وقد تعصّب ابن تيمية فأنكر بعث ابن زياد للسبايا والرؤوس إلىٰ يزيد، وهو إنكار باطل ردّه كثير من المحدّثين والمؤرخين.

قال الذهبي في السير ٣: ٣١٩: «أحمد بن محمّد بن حمزة: حدّثني أبي، عن أبيه، قال: أخبرني أبي حمزة بن يزيد الحضرمي قال: رأيت إمرأة من أجمل النساء وأعقلهن، يقال لها: (ريا)، حاضنة يزيد، يقال: بلغت مئة سنة، قالت: دخل رجل علىٰ يزيد، فقال: أبشر، فقد أمكنك اللّه من الحسين، وجي برأسه، قال: فوضع في طست، فأمر الغلام فكشف، فحين رآه خمر وجهه كأنه شمّ منه، فقلت لها: أقرع ثناياه بقضيب؟ قال: أي واللّه.

وقد حدّثني بعض أهلنا أنّه رأىٰ رأس الحسين مصلوباً بدمشق ثلاثة أيام، وحدّثتني ريا أنّ الرأس مكث في خزائن السلاح حتّىٰ ولي سلمان، فبعث =

ولم يترك سيّد الشهداء الدعوة إلىٰ الدّين، وتفنيد عمل الظالمين حتّىٰ في هذا الحال، وهو مرفوع علىٰ القناة، فكان متمّماً لنهضته المقدّسة التي أراق فيها دمه الطاهر، وقد استضاء خلق كثير من إشراقات رأسه الأزهر.

لهفي لرأسكَ فوق مسلوب القنا — يكسوه من أنواره جلبابا
يتلوا الكتاب علىٰ السنان وإنّما — رفعوا به فوق السنان كتابا

ولا غرابة بعد أن كان سيّد الشهداء دعامة من دعائم الدّين، ومنار هداه، وعنه يأخذ تعاليمه، ومنه يتلقّىٰ معارفه، وهو صراطه المستقيم، ومنهجه القويم، دونه كانت مفاداته، وفي سبيله سبقت

= فجي به، وقد بقي عظاماً أبيض، فجعله في سفط، وطيّبه وكفّنه ودفنه في مقابر المسلمين، فلمّا دخلت المسودة سألوا عن موضع الرأس فنبشوه وأخذوه، فاللّه أعلم ما صنع به.

وذكر باقي الحكاية، وهي قوية الإسناد.

يحيىٰ بن بكير، حدّثني الليث قال: أبىٰ الحسين أن يستأسر حتّىٰ قتل بالطفّ، وانطلقوا ببنيه علي وفاطمة وسكينة إلىٰ يزيد، فجعل سكينة خلف سريره لئلا ترىٰ رأس أبيها، وعلي في غلّ، فضرب علىٰ ثنيتي الحسين وتمثل بذلك البيت..».

وفي مجمع الزوائد للهيثمي ٩: ١٩٥ رواية الليث المتقدّمة، وقال عقبها: «رواه الطبراني ورجاله ثقات».

والرواية في المعجم الكبير للطبراني ٣: ١٠٤، وكذلك في تاريخ الإسلام للذهبي ٧: ٤٤٢، وتاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٧٠: ١٥، الكامل في التاريخ لابن الاثير ٤: ٨٦.

وفي الإصابة ٢: ٧١: «كان آخر ذلك أن قتل وأُتي برأسه إلىٰ عبيد اللّه، فأرسله ومن بقي من أهل بيته إلىٰ يزيد، ومنهم علي بن الحسين وكان مريضاً، ومنهم عمته زينب، فلمّا قدموا علىٰ يزيد أدخلهم علىٰ عياله».

وكذلك في تاريخ الطبري ٤: ٣٥٢، وغيرها من المصادر الكثيرة التي نطقت بهذا الأمر، فالتعلّل بعدم إرسالهم إليه تعلّل باطل لم يستند إلىٰ دليل بعدما أثبت المحدّثون والمؤرّخون ذلك.

تضحيته ، فهو حليف القرآن منذ أُنشئ كيانه ، لأنّهما ثقلا رسول اللّه ، وخليفتاه علىٰ أُمته ، وقد نصّ المشرّع الأعظم ﷺ بأنّهما لن يفترقا حتّىٰ يردا عليه الحوض ، فبذلك كان سلام اللّه عليه غير مبارح تلاوته طول حياته ، في تهذيبه وإرشاده ، في دعوته وتبليغه ، في حلّه ومرتحله حتّىٰ في موقفه يوم الطفّ ، ذلك المأزق الحرج ، بين ظهراني أُولئك الطغاة المتجمهرين عليه ، ليتمّ عليهم الحجّة ، ويوضح لهم المحجّة .

هكذا كان يسير إلىٰ غايته المقدّسة سيراً حثيثاً ، حتّىٰ طفق يتلو القرآن رأسه الكريم ، فوق عامل السنان ، عسىٰ أن يحصل من يكهربه نور الحقّ ، غير أنّ داعية الحقّ والرشاد لم يصادف إلا قصراً في الإدراك ، وطبعاً في القلوب ، وصمماً في الآذان : **﴿خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾**[١] .

وبلغ من غلواء ابن زياد وتيهه في الضلال أن أمر بالرأس الشريف فطيف به في شوارع الكوفة وسككها[٢] .

يقول زيد بن أرقم : «كنت في غرفة لي ، فمروا بالرأس علىٰ رمح ، فسمعته يقرأ : **﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً﴾**[٣] ، فوقف شعري ، وقلت : رأسك أعجب و أعجب »[٤] .

ولمّا صُلب في سوق الصّيارفة ، وهناك ضوضاء ، فأراد عليه السلام لفت

---

(١) البقرة : ٧ .

(٢) تاريخ الطبري ٤ : ٣٤٨ .

(٣) الكهف : ٩ .

(٤) الإرشاد للشيخ المفيد ٢ : ١١٧ ، إعلام الورى بأعلام الهدى للطبري : ٤٧٣ ، الدر النظيم : ٥٦١ .

الأنظار نحوه ، تنحنح تنحنحاً عالياً ، فاتجه الناس نحوه ، وأبهرهم الحال ، فشرع في قراءة سورة الكهف إلىٰ قوله تعالىٰ : «﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدىً﴾[١]»[٢] .

وعجب الحاضرون ؛ إذ لم تعهد هذه الفصاحة والإتيان علىٰ مقتضىٰ الحال من رأس مقطوع ، وبقي الناس واجمون لا يدرون ما يصنعون .

ولمّا صُلب علىٰ شجرة بالكوفة سمع يقرأ قوله تعالىٰ : ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[٣] .

قال هلال بن معاوية : سمعت رأس الحسين يخاطب حامله ويقول : فرّقت رأسي وبدني إفرق اللّه بين لحمك وعظمك ، وجعلك آية ونكالاً للعالّمين، فرفع اللعين سوطاً وأخذ يضرب بين رأسه المطهّر[٤] .

وحدّث سلمة بن الكهيل أنّه سمع رأس الحسين بالكوفة يقرأ وهو مرفوع علىٰ الرمح : ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[٥][٦] .

كما سمعه ابن وكيدة يقرأ القرآن فشكّ أنّه صوته حيث لم يعهد مثله يتكلّم ، فإذا الإمام عليه السلام يخاطبه : « يا بن وكيدة ، أما علمت أنّ معاشر الأئمة أحياء عند ربّهم يرزقون ، فزاد تعجّبه وحدّث نفسه

---

(١) الكهف : ١٣ .

(٢) مناقب آل أبي طالب ٣ : ٢١٨ .

(٣) الشعراء : ٢٢٧ .

(٤) مدينة المعاجز للبحراني ٤ : ١٠٠ .

(٥) البقرة : ١٣٧ .

(٦) نهاية الدراية للصدر : ٢١٧ ، الوافي بالوفيات للصفدي ١٥ : ٢٠١ ؛ نفس الرحمن في فضائل سلمان للطبرسي : ٣٦٢ ، شرح إحقاق الحقّ للمرعشي ٣٣ : ٦٩٤ .

أن يسرق الرأس ويدفنه ، فنهاه الإمام وقال : يا بن وكيدة ليس إلىٰ ذلك سبيل ، إنّ سفكهم دمي أعظم عند اللّه من إشهارهم رأسي ، فذرهم فسوف يعلمون إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون »[١] .

وفي طريقهم إلىٰ الشام نزلوا عند صومعة راهب ، وفي الليل أشرف عليهم الراهب ، فرأىٰ نوراً ساطعاً من الرأس الشريف ، وسمع تسبيحاً وتقديساً وتهليلاً وقائلاً يقول : السلام عليك يا أبا عبد اللّه ، فتعجّب الراهب! ولم يعرف الحال حتّىٰ إذا أصبح وأراد القوم الرحيل سألهم عن الرأس؟ فأخبروه أنّه رأس الحسين بن علي بن أبي طالب ، وأُمه فاطمة ، وجدّه محمّد المصطفى ، فطلب الرأس من خولي الأصبحي ، فأبىٰ عليه ، فاسترضاه بمال كثير دفعه إليه ، وأخذ الراهب الرأس الشريف وقبّله وبكىٰ وقال : تباً لكم أيتّها الجماعة ، لقد صدقت الأخبار في قولها : إذا قتل هذا الرجل تمطر السماء دماً ، ثُمّ أسلم ببركة الرأس الطاهر ، وبعد أن ارتحلوا نظروا إلىٰ الدراهم فإذا هي خزف مكتوب عليها : ﴿**وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ**﴾[٢] .

وحدّث المنهال بن عمر قال : «رأيت رأس الحسين بدمشق أمام الرؤوس ورجل يقرأ سورة الكهف فلمّا بلغ ﴿**أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً**﴾ ، وإذ الرأس يخاطبه بلسان فصيح : وأعجب من أصحاب الكهف قتلي وحملي »[٣] .

---

(١) مدينة المعاجز للبحراني ٣ : ٤٦٢ .

(٢) مدينة المعاجز ٤ : ١٠٤ .

(٣) الخرائج والجرائح للراوندي ٢ : ٥٧٧ ، الصراط المستقيم للعاملي : ١٧٩ ، =

وفي هذا الحال كُلّه لم ينقطع الدم من الرأس الشريف، وكان طريّاً، ويشمّ منه رائحة طيبة[١].

وبالرغم من جدّ يزيد في محو آثار أهل البيت واحتقار حرم النبّوة حتّىٰ أنزلهم في الخربة التي لا تكنّهم من حرّ ولا برد[٢]، واستعماله القسوة بالرأس المقدّس، من صلبه علىٰ باب الجامع الأُموي[٣]، وفي البلد ثلاثة أيّام[٤]، وعلىٰ باب داره[٥].

ولم يزل أهل الشام - ومن حضر فيها من غيرهم - يشاهدون كرامات باهرات من الرأس الزاهر لا تصدر إلا من نبيّ أو وصيّ نبيّ، فأحرجهم الموقف، خصوصاً بعد ما وقفت العقيلة زينب الكبرىٰ سلام اللّه عليها في ذلك المجلس المغمور بالتمويهات والأضاليل، فأفادت الناس بصيرة بنوايا ابن ميسون السيئة، وموقفه من الشريعة الطاهرة، وأنّه لم يرد إلا استئصال آل الرسول، حيث لم يعهد في الإسلام مثل هذا الفعل الشنيع خصوصاً مع عيال النبّي الكريم، ذلك الذي ما زال يهتف في مواقفه الكريمة باحترام المرأة وعدم التعرّض لها بسوء، وكان صلى الله عليه وآله يشدّد النكير إذا بلغه في مغازيه قتل النساء[٦].

حتّىٰ إنّ جماعة من المسلمين لمّا استأذنوه لقتل ابن أبي

= فيض الغدير في شرح الجامع الصغير للمناوي ١ : ٢٦٥، سبل الهدى والرشاد للصالحي الشامي ١١ : ٧٦.

(١) الخطط المقريزية ٤ : ٢٨٤.

(٢) الأمالي للشيخ الصدوق : ٢٣٢، روضة الواعظين : ١٩٢، إقبال الأعمال لابن طاووس ٣ : ١٠١، الأنوار النعمانية ٣ : ٢٤٦.

(٣) الأمالي للشيخ الصدوق : ٢٣٠، روضة الواعظين : ١٩١.

(٤) الخطط المقريزية ٢ : ١٢٩.

(٥) العوالم : ٤٤٣.

(٦) مسند أحمد بن حنبل ١ : ٢٥٦، صحيح مسلم ٤ : ٢١ و ٥ : ١٤٤، سنن ابن ماجة ٢ : ٩٤٧، وغيرها من المصادر.

الحقيق أذن لهم ، وأمرهم بعدم التعرّض للنساء والصبيان وهم مشركون[١] .

وعلىٰ سيرته مشىٰ المسلمون ، وإنّ سيّدهم أمير المؤمنين عليه السلام لمّا أنزل عائشة في الدار ، قال له رجل من الأزد : واللّه لا تفلتنا هذه المرأة ، فغضب أمير المؤمنين عليه السلام وقال : « صه ، لا تهتكن ستراً ، ولا تدخلن داراً ، ولا تهيّجن إمرأة بأذىٰ وإن شتمن أعراضكم ، وسفهن أُمراءكم وصلحائكم ، فانّهنّ ضعاف ، ولقد كنّا نؤمر بالكفّ عنهنّ وإنهن لمشركات ، وإنّ الرجل ليكافئ المرأة بالضرب ، فيعير بها عقبه من بعده ، فلا يبلغني عن أحدٍ تعرض لامرأة فانكل به »[٢] .

من هذا عرف الناس ضلال يزيد وتيهه في الباطل ، فاكثروا اللائمة عليه حتّىٰ من لم ينتحل دين الإسلام .

وحديث رسول ملك الروم مع يزيد في مجلسه أحدث هزّة في المجلس ، وعرف يزيد الإنكار منهم ، وأنّه لم تجد فيهم تلك التمويهات . وكيف تجدي وقد سمع من حضر المجلس صوتاً عالياً من الرأس المقدّس لمّا أمر يزيد بقتل ذلك الرسول : « لا حول ولا قوة إلا باللّه »[٣] .

وأيّ أحد رأى أو سمع قبل يوم الحسين عليه السلام رأساً مقطوعاً ينطق بالكلام الفصيح؟ وهل يقدر ابن ميسون أن يقاوم أسرار اللّه؟ أو يطفئ نوره تعالىٰ شأنه؟ كلا .

---

(١) تاريخ الطبري ٢ : ١٨٤ ، البداية والنهاية لابن كثير ٤ : ١٥٧ ، السيرة النبوية لابن هشام ٣ : ٧٤٧ .

(٢) تاريخ الطبري ٣ : ٥٤٤ ، الكامل في التاريخ ٣ : ٢٥٧ ، وقسم منه في نهج البلاغة بشرح محمّد عبده ٣ : ٥١٥ الكافي للكليني ٥ : ٣٩ .

(٣) العوالم : ٤٤٣ .

ولقد أنكرت عليه زوجته هند بنت عمرو بن سهيل، وكانت عند عبد اللّه ابن عامر بن كريز، وهو ابن خال عثّمان بن عفان، فإنّ عامراً وارىٰ أُم عثّمان أُمهم أُم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، فاجبره معاوية علىٰ طلاقها لرغبة يزيد بها[١].

فإنّها لمّا أبصرت الرأس الزاهي مصلوباً علىٰ باب دارها، ورأت الأنوار النّبويّة تتصاعد إلىٰ عنان السماء، وشاهدت الدم يقطر منه طرياً، أدهشها الحال، وعظم مصابه في قلبها، فلم تتمالك دون أن دخلت علىٰ يزيد في مجلسه، مهتوكة الحجاب، وهي تصيح رأس ابن بنت رسول اللّه علىٰ دارِنا، فقام إليها وغطاها وقال لها: اعولي وابكي علىٰ الحسين، فإنّه صريخة بني هاشم، عجّل عليه ابن زياد[٢].

ورأت في منامها كأنّ رجالاً نزلوا من السماء وطافوا برأس الحسين يسلّمون عليه، ولّما انتبهت جاءت إلىٰ الرأس، فأبصرت نوراً حوله، فطلبت يزيد لتقصّ عليه الرؤيا، فإذا هو في بعض الغرف يبكي ويقول: مالي ولحسين. وقد رأىٰ مثل ما رأت[٣]، فأصبح يزيد ومِلْ إذنه حديث الأندية عن القسوة التي استعملها والجور الشديد، فلم يرَ مناصاً من إلقاء التبعة علىٰ عاتق ابن زياد وتبعيداً للسبّة عنه، ولكنّ الثابت لا يزال، وهذا هو السرّ في إنشاء كتاب صغير وصفه المؤرّخون بأنّه مثل (إذن الفأرة)، أرفقه بكتابه الكبير

---

(١) مقتل الحسين للخوارزمي ٢ : ٨١، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٦٢ : ٨٥، تاريخ الطبري ٤ : ٤٥٦، الكامل في التاريخ ٤ : ٨٤، وفي هذه المصادر وغيرها اسمها هند بنت عبد اللّه بن عامر بن كريز، وليس عبد اللّه بن عامر زوجها بل أبوها.

(٢) المصادر المتقدّمة باختلاف في بعض الألفاظ.

(٣) بحار الأنوار ٤٠ : ٨٠.

إلىٰ الوالي بأخذ البيعة من المدينة عامّة ، وفي الكتاب الصغير إلزام الحسين عليه السلام بالبيعة وإن أبىٰ تضرب عنقه[1] .

وليس الغرض من إنشاء الكتاب الصغير إلا أنّ يزيد لمّا كان عالماً بأنّ النّبي صلى الله عليه وآله لم يجعله خليفة ، ولا كانت بيعته ممّا اتفق عليها صلحاء الوقت وأشراف الأُمّة ، وما صدر من الموافقة منهم يوم أرادها أبوه معاوية إنّما هو للوعيد والتهديد ، فأراد يزيد أن يخلي رسمياته عن الأمر بقتل الحسين عليه السلام بحيث لو صدر ذلك من عامله ولامه الناس وخطّأوه ، تدرّع بالعذر بخلوّ كتابه للعامل بهذا الفعل ، وإنّما هو شي جاء به من قبل نفسه ، وكان له المجال حينئذٍ في إلقاء التبعة علىٰ العامل .

ولكن هلمّ واقرأ العجيب الغريب في إحياء العلوم ج٣ ص١٠٦ في الآفة الثامنة من آفات اللسان ، فهناك ترىٰ الغزالي تائهاً في الغلواء لمّا وشجت عليه عروق النصب والتحيّز إلىٰ الأمويّين ، فأبىٰ أن يلعن قاتل الحسين عليه السلام حتّىٰ علىٰ الإجمال فيقال : «لعنة اللّه علىٰ قاتل الحسين» ، معلّلاً باحتمال موته بعد التوبة . وقد فاته أنّ التائب إن قُبلت توبته لا يشمله اللعن ، فإذن أيّ بأس إذا قيل : لعنة اللّه علىٰ قاتل الحسين عليه السلام ، لولا ذلك العداء المحتدم بين الحوائج والبغض لأهل هذا البيت الطاهر؟!

وأغرب من ذلك قياسه يزيد بوحشي قاتل حمزة أسد اللّه وأسد رسوله ، فقال فيه : إنّ وحشي تاب عن الكفر والقتل جميعاً ، ولا يجوز أن يلعن ، مع أنّ القتل كبيرة ، فإذا لم يقيّده بالتوبة وأطلق

---

(١) تاريخ الطبري ٤ : ٢٥٠ ، الكامل في التاريخ ٤ : ١٤ ، البداية والنهاية ٨ : ١٥٧ .

كان فيه خطر . . . إلىٰ آخره[١] .

لا قياس بين يزيد ووحشي ، فإنّ وحشياً قتل حمزة وهو كافر ، فلّما أسلم سقطت عنه كُلّ تبعة كانت عليه ، لأنّ الإسلام يجبّ ما قبله ، بخلاف يزيد فإنّه قتل الحسين عليه السلام وهو يظهر الإسلام ، وقد ارتدّ بقتله ؛ إما لأنّ الحسين عليه السلام إمام معصوم ، أو لتشفّيه بذلك من رسول اللّه صلى الله عليه وآله بما صنعه مع خاله وجدّه يوم بدر .

علىٰ أنّ من المقطوع به أنّ من باء بذلك الإثم العظيم وهو قتل الحسين عليه السلام لا يتوفّق للتوبة نهائياً ، فإنّه من الذنوب التي لا تدع صاحبها أن يتحيّز إلىٰ خير أبداً .

كما أنّ من المقطوع به أنّ وحشياً وإن أظهر الإسلام أمام الرسول صلى الله عليه وآله

وسكت عنه النبّي وقال : « غيّب وجهك عني »[٢] فلا يختم له بالصلاح والسعادة أبداً ، ولا يأتي يوم القيامة وعليه شارة الهدىٰ ، وقد قتل سيّد الشهداء حمزة بن عبد المطلب الشاهد للأنبياء بالتبليغ وأداء الرسالة .

---

(١) إحياء علوم الدين للغزالي ٣ : ١٨٦ ، الآفة الثامنة في اللعن .

(٢) فتح الباري ٧ : ٢٨٤ ، المعجم الأوسط للطبراني ٢ : ٢٢٢ ، الاستيعاب لابن عبد البر ٤ : ٦٥ ، أُسد الغابة لابن الاثير ٥ : ٨٤ ، تهذيب التهذيب لابن حجر ١١ : ١٠٠ ، الكامل في التاريخ لابن الاثير ٢ : ٢٥١ ، الوافي بالوفيات للصفدي ٢٧ : ٢٥٣ ، وذكر ابن الاثير في أُسد الغابة ٥ : ٨٤ : «قال موسىٰ بن عقبة عن ابن شهاب : مات وحشي في الخمر ، أخرجه الثلاثة» ، وفي شرح مسند أبي حنيفة لملا علي القاري : ٥٢٨ ، وابن كثير في البداية والنهاية ٤ : ٢٢ ، السيرة النبوية لابن هشام ٣ : ٥٩٢ ، السيرة الحلبية للحلبي ٢ : ٥٣٨ ، واللفظ للأوّل : «وقال ابن الهمام : بلغني أنّ وحشياً لم يزل يحد في الخمر حتّىٰ خلع من الديوان ، فكان ابن عمر يقول : لقد علمت أنّ اللّه تعالىٰ لم يكن ليدع قاتل حمزة رضي اللّه عنه هذا . .» .

كيف لا يلعن يزيد وقد جوّز العلماء المنقّبون لعنه ، وصرّحوا بخروجه عن طريقة الإسلام ، كما أفصح عن ذلك شعره ، فإنّه لمّا وردت عليه سبايا آل الرسول وأشرفوا علىٰ ثنية جيرون ونعب الغراب قال[1] :

لمّا بدت تلك الحمول وأشرقت
تلك الشموس علىٰ ربىٰ جيروني
نعب الغراب فقلت قل أو لا تقل
فقد اقتضيت من الرسول ديوني؟!

فمن أُولئك العلماء القاضي أبو يعلى ، وأحمد بن حنبل ، وابن الجوزي[2] ، والكيا الهراسي[3] ، والشيخ محمّد البكري ، وسعد

---

(١) روح المعاني للآلوسي ٢٦ : ٧٢ ، في تفسير قوله تعالىٰ : ﴿ **فهل عسيتم أن توليتم** ﴾ .

(٢) قال سبط بن الجوزي في تذكرة الخواص ٢ : ٢٦٦ : «وذكر جدّي أبو الفرج في كتاب الردّ علىٰ المتعصّب العنيد المانع من ذمّ يزيد ، وقال : سألني سائل فقال : ما تقول في يزيد بن معاوية؟

فقلت له : يكفيه ما به .

فقال : أتجّوز لعنته؟

فقلت : قد أجازها العلماء الورعون ، منهم أحمد بن حنبل ، فإنّه ذكر في حق يزيد ما يزيد علىٰ اللعنة .

قال جدي : وأخبرنا أبو بكر محمّد بن عبد الباقي البزّار ، أنبأنا أبو إسحاق البرمكي ، أنبأنا أبو بكر بن عبد العزيز بن جعفر ، أنبأنا أحمد بن محمّد الخلال ، حدّثنا محمّد بن علي ، عن مهنّا ابن يحيىٰ قال : سألت أحمد بن حنبل عن يزيد بن معاوية؟

فقال : هو الذي فعل ما فعل!

قلت : وما فعل؟

قال : نهب المدينة!

قلت : فتذكر عنه الحديث؟

= قال : لا ، ولا كرامة ، لا ينبغي لأحد أن يكتب عنه الحديث .
وحكىٰ جدّي أبو الفرج عن القاضي أبي يعلىٰ الفرّاء في كتابه (المعتمد في الأصول) بإسناده إلىٰ صالح بن أحمد بن حنبل قال : قلت لأبي : إنّ قوماً ينسبوننا إلىٰ توالي يزيد؟
فقلت : فلم لا تلعنه؟
فقال : فمتىٰ رأيتني لعنت شيئاً! يا بنيّ لِمَ لا يلعن من لعنه اللّه في كتابه؟
فقلت : وأين لعن اللّه يزيد في كتابه؟
فقال : في قوله تعالىٰ : ﴿ **فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ** ﴾ محمّد : ٢٢ - ٢٣ فهل يكون فساد أعظم من القتل؟
وفي رواية لما سأله صالح فقال : يا بنيّ ما أقول في رجل لعنه اللّه في كتابه؟ وذكره .
قال جدّي : وصنّف القاضي أبو يعلىٰ الفرّاء كتاباً ذكر فيه بيان من يستحقّ اللّعن ، وذكر منهم يزيد ، وقال في الكتاب المذكور : الممتنع من جواز لعن يزيد إمّا أن يكون غير عالم بذلك ، أو منافقاً يريد أن يوهم بذلك ، وربّما استفزّ الجهّال بقوله عليه السلام : «المؤمن لا يكون لعّاناً» .
قال القاضي أبو الحسن : وهذا محمول علىٰ من لا يستحقّ اللّعن .
فإن قيل : فقوله تعالىٰ : ﴿ **فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ** ﴾ محمّد : ٢٢) نزلت في منافقي اليهود؟
قلت : فقد أجاب جدّي عن هذا في كتابه (الرد علىٰ المتعصب العنيد) وقال في الجواب : إنّ الذي نقل هذا مقاتل بن سليمان ، ذكره في تفسيره ، وقد أجمع عامّة المحدّثين علىٰ كذبه ؛ كالبخاري ، ووكيع ، والساجي ، والسعدي والرازي ، والنسائي ، وغيرهم .
وقال : فسرّها أحمد بأنّها في المسلمين ، فكيف يقبل قول أحد إنّها نزلت في المنافقين؟
فإن قيل : فقد قال النبيّ ـ صلّىٰ اللّه عليه [وآله]وسلّم ـ : «أوّل جيش يغزو القسطنطينية مغفور له» ، ويزيد أوّل من غزاها؟
قلنا : فقد قال النبيّ ـ صلّىٰ اللّه عليه [وآله] وسلّم ـ : «لعن اللّه من أخاف مدينتي» والآخر ينسخ الأوّل . . .
=

= وأما قوله ـ صلّىٰ اللّه عليه [وآله] وسلّم ـ: «أوّل جيش يغزو القسطنطينية» ، فإنّما يعني أبا أيّوب الأنصاري ، لأنه كان فيهم .

ولا خلاف أنّ يزيد أخاف أهل المدينة ، وسبىٰ أهلها ، ونهبها ، وأباحها وتسمىٰ وقعة الحرّة . . .

وقال جديّ في كتاب (الردّ علىٰ المتعصب العنيد) : ليس العجب من قتال ابن زياد الحسين ، وتسليطه عمر بن سعد علىٰ قتله والشّمر ، وحمل الرؤوس إليه ، وإنّما العجب من خذلان يزيد ، وضربه بالقضيب ثناياه ، وحمل آل رسول اللّه ـ صلّىٰ اللّه عليه [وآله] وسلّم ـ سبايا علىٰ أقتاب الجمال وعزمه علىٰ ان يدفع فاطمة بنت الحسين إلىٰ الرجل الذي طلبها ، وإنشاد أبيات ابن الزبعري : ليت أشياخي ببدرٍ شهدوا . .

وردّه الرأس إلىٰ المدينة ـ وقد تغيّر ريحه ـ وما كان مقصوده إلا الفضيحة وإظهار رائحته للناس ، أفيجوز أن يفعل هذا بالخوارج؟! أليس إجماع المسلمين أنّ الخوارج والبغاة يكفنون ويصلّىٰ عليهم ويدفنون؟!

وكذا قول يزيد : لي أنّ أسبيكم ـ لمّا طلب الرجل فاطمة بنت الحسين ـ قول لا يقنع لقائله وفاعله اللّعنة .

ولو لم يكن في قلبه أحقاد جاهليّة ، وأضغان بدريّة لاحترم الرأس لمّا وصل إليه ، ولم يضربه بالقضيب ، وكفّنه ودفنه ، وأحسن إلىٰ آل رسول اللّه ـ صلّىٰ اللّه عليه [وآله] ـ .

قلت : والدليل علىٰ صحة هذا أنّه استدعىٰ ابن زياد إليه وأعطاه أموالاً عظيمة ، وتحفاً كثيرة ، وقرّب مجلسه ، ورفع منزلته ، وأدخله علىٰ نسائه ، وجعله نديمه ، وسكر ليلة فقال للمغنّي : غنّ ، ثُمّ قال يزيد بديهاً :

اسقني شربة تروّي فؤادي ... ثُمّ مل فاسقِ مثلها ابن زياد
صاحب السرّ والأمانة عندي ... ولتسديد مغنمي وجهادي
قاتل الخارجي أعني حسيناً ... ومبيد الأعداد والحسّادِ

وقال ابن عقيل : وممّا يدلّ علىٰ كفره وزندقته ـ فضلاً عن جواز سبّه ولعنته ـ أشعاره التي أفصح فيها بالإلحاد ، وأبان عن خبث الضمير وسوء الاعتقاد ، فمنها قوله في قصيدته التي أوّلها :

عُلَيّة هاتي واعلني وترنمي ... بذلك إنّي لا أحبّ التناجيا
حديث أبا سفيان قدماً سما بها ... إلىٰ أحدٍ حتّىٰ أقام البواكيا

=

التفتازاني(٤)، وسبط ابن الجوزي(٥).

وقال الجاحظ: «إنّ المنكرات التي اقترفها يزيد من قتل الحسين وإخافته أهل المدينة، وهدم الكعبة، وحمل بنات رسول اللّه صلى الله عليه وآله سبايا، وقرعه ثنايا الحسين عليه السلام بالعود، هل تدلّ هذه القسوة والغلظة علىٰ نصب وسوء، وأيّ حقد و بغضاء ونفاق ويقين مدخول؟

= إلا هاتِ فاسقيني علىٰ ذاك قهوة تخيّرها العنسي كرماً شآميا
إذا ما نظرنا في أُمور قديمة وجدنا حلالاً شربها متواليا
وإن متُّ ـ يا أُم الاحيمر ـ فانكحي ولا تأملي بعد الفراق تلاقيا
فإنّ الذي حُدّثت عن يوم بعثنا أحاديث طسم تجعل القلب ساهيا

إلىٰ غير ذلك ممّا نقلته من ديوانه، ولهذا تطّرق إلىٰ هذه الأمة العار بولايته عليها، حتّىٰ قال أبو العلاء المعرّي يشير بالشّنار إليها:

أرى الأيّام تفعل كُلّ نكر فما أنا في العجائب مستزيد
أليس قريشكم قتلت حسيناً وكان علىٰ خلافتكم يزيد

قلت: ولمّا لعنه جدّي أبو الفرج علىٰ المنبر ببغداد بحضرة الإمام الناصر وأكابر العلماء، قام جماعة من الجفاة من مجلسه فذهبوا، فقال جدّي: ﴿أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ هود: ٩٥.

وحكي لي بعض أشياخنا عن ذلك اليوم أنّ جماعة سألوا جدّي عن يزيد؟ فقال: ما تقولون في رجل ولي ثلاث سنين: في السنة الأولىٰ قتل الحسين، وفي السنة الثانية أخاف المدينة وأباحها، وفي السنة الثالثة رمىٰ الكعبة بالمجانيق وهدّمها وحرّمها؟

فقالوا: يلعن؟

فقال: فالعنوه» تذكرة الخواص ٢ - ٢٦٥ - ٢٨٠، وارجع لكلام ابن الجوزي - الجدّ - في كتاب الردّ علىٰ المتعصب العنيد: ١٣ - ١٧.

(٣) وفيات الأعيان ٣: ٢٨٧، فوات الوفيات ٢: ٦٤١، جواهر المطالب في مناقب الإمام علي: ٣٠٢، السيرة الحلبية ١: ٣٦٧.

(٤) السيرة الحلبية ١: ٢٦٧.

(٥) تذكرة الخواص ٢: ٢٦٥ - ٢٨٠.

أم تدلّ علىٰ الإخلاص وحب النبيّ والحفظ له وصحة السيرة؟ وعلىٰ هذا فلا يعدو الفسق والضلال، وذلك أدنىٰ مناله، فالفاسق ملعون، ومن نهىٰ عن شتم الملعون فملعون»[1].

وقال العلّامة الآلوسي: «لا توقّف في لعن يزيد، لكثرة أوصافه الخبيثة، وارتكابه الكبائر في جميع أيّام تكاليفه، ويكفي ما فعله أيام استيلائه بأهل المدينة ومكّة، والطامة الكبرىٰ ما فعله بأهل البيت، ورضاه بقتل الحسين علىٰ جدّه وعليه أفضل الصلاة والسلام، واستبشاره بذلك وإهانته بأهل بيته ممّا تواتر معناه.

والذي يغلب علىٰ ظنّي أنّ الخبيث لم يكن مصدّقاً بالرسالة، وأنّ مجموع ما فعله مع أهل حرم اللّه وأهل نبيّه وعترته الطيّبين الطاهرين في الحياة وبعد الممات، وما ورد منه من المخازي، ليس بأضعف دلالة علىٰ عدم تصديقه من إلقائه ورقة من المصحف الشريف في قذر، ولا أظنّ أمره خافياً علىٰ أجلّة المسلمين إذ ذاك، ولكن كانوا مغلوبين مقهورين، لم يسعهم إلا الصبر، ليقضِ اللّه أمراً كان مفعولاً.

ولو سلّم أنّ الخبيث كان مسلماً، فهو مسلّم جمع من الكبائر ما لا يحيط به نطاق البيان، وأنّا أذهب إلىٰ جواز لعن مثله علىٰ التعيين، ولو لم يتصوّر أن يكون له مثل من الفاسقين، والظاهر أنّه لم يتب، واحتمال توبته أضعف من إيمانه.

ويلحق به ابن زياد وابن سعد وجماعة، فلعنة اللّه عليهم أجمعين، وعلىٰ أنصارهم وشيعتهم ومن مال ميلهم إلىٰ يوم الدّين، ما دمعت عين علىٰ أبي عبد اللّه الحسين عليه السلام، ويعجبني قول شاعر

---

(١) رسائل الجاحظ: ٢٩٨، الحادية عشر في بني أُمية.

العصر عبد الباقي أفندي العمري :

يزيد علىٰ لعن عريض جناية

فأغدو به طول المدىٰ العن اللعنا

ومن يخشىٰ القيل والقال بلعن ذلك الضليل فليقل : لعن اللّه من رضي بقتل الحسين، ومن آذىٰ عترة النبيّ بغير حقّ ، ومن غصبهم حقّهم ، فإنّه يكون لاعناً له ، لدخوله تحت العموم دخولاً أولياً في نفس الأمر .

ولا يخالف أحد في جواز اللعن بهذه الألفاظ سوىٰ ابن العربي المالكي وموافقيه ، فإنّهم علىٰ ظاهر ما نقل عنهم لا يجوّزون لعن من رضي بقتل الحسين، وذلك لعمري هو الضلال البعيد الذي كاد يزيد علىٰ ضلال يزيد . . . إلىٰ آخره »[1] .

وبعد هذا فهل يتوقّف أحد من لعن يزيد والبراءة منه؟ وإن كان فليس هؤلاء إلا الضلال والعناد أعاذ اللّه أولياءه من شرّ الحقد .

لمّا كثرت اللائمة علىٰ يزيد خشي الفتنة وانقلاب الأمر ، فتداركه بإرجاع السجاد والعيال إلىٰ وطنهم ، ومكّنهم ممّا يريدون برأس الحسين إلىٰ كربلاء ودفنه مع الجسد ، ولم يختلف في ذلك إثنان من علماء الإمامية المعروفين بالبحث والتنقيب ، ومن هنا نسبه المجلسي في البحار إلىٰ المشهور بين العلماء[2] .

وفي روضة الواعظين ص١٦٥[3] قال : ردّ الرأس إلىٰ الجسد .

---

(١) روح المعاني للآلوسي ٢٦ : ٧٤، في تفسير قوله تعالىٰ ﴿ فهل عسيتم أن توليتم ﴾ الآية .

(٢) بحار الأنوار ٤٥ : ١٤٤ .

(٣) روضة الواعظين : ١٩٢ .

وقال ابن نما في مثير الأحزان ص٥٨ : إنّه المعول عليه[1] .

وفي اللهوف لابن طاووس ص١١٢[2] : عليه عمل الإمامية .

وقال ابن شهراشوب في المناقب ج٢ ص٢٠٠ : ذكر المرتضىٰ في بعض رسائله أنّ رأس الحسين أُعيد إلىٰ بدنه في كربلاء[3] .

وقال الطوسي : ومنه زيارة الأربعين[4] .

وفي مقتل العوالم ص١٥٤ : إنّه المشهور بين علمائنا[5] .

وهو ظاهر الطبرسي في إعلام الورىٰ ص١٥١[6] ، والسيّد في رياض المصائب .

وأما باقي الرؤوس فلم يتعرّض لها أرباب المقاتل ، ولكن في نفس المهموم ص٢٥٣ ، ورياض الأحزان ص١٥٥ عن حبيب السير : أنّ يزيد سلّم جميع الرؤوس إلىٰ علي بن الحسين فألحقها بالأبدان الطاهرة في العشرين من صفر ، ثُمّ توجه إلىٰ المدينة[7] .

ولعلّ الاعتبار يساعده ، فإنّ يزيد لمّا نقم عليه الناس وكثر الاضطراب ، لم يرَ بُداً من موافقة الإمام السجاد علىٰ كُلّ ما يريد وإخراجهم من الشام عاجلاً .

نعم ، ذكر العلّامة السيّد محسن الأمين في أعيان الشيعة ج٤ ص٢٩٠ القسم الأوّل : أنّه رأىٰ في سنة ١٣٢١ هـ في المقبرة

---

(١) مثير الأحزان : ٨٥ .

(٢) اللهوف في قتلىٰ الطفوف : ١١٤ .

(٣) مناقب آل أبي طالب ٣ : ٢٣١ .

(٤) تهذيب الأحكام ٦ : ١١٤ .

(٥) العوالم : ٣٢٧ والعبارة : «وذكر المرتضىٰ في بعض مسائله : أنّ رأس الحسين عليه‌السلام ردّ إلىٰ بدنه عليه‌السلام بكربلاء من الشام وضمّ إليه» .

(٦) إعلام الورىٰ ١ : ٤٧٦ .

(٧) معالي السبطين ٢ : ١٩١ .

المعروفة بمقبرة باب الصغير بدمشق مشهداً وضع علىٰ بابه صخرة مكتوب عليها: «هذا مدفن رأس العبّاس ابن علي، ورأس عليّ الأكبر بن الحسين، ورأس حبيب بن مظاهر».

قال: «ثُمّ إنّه انهدم بعد ذلك بسنين هذا المشهد، وأُعيد بناؤه، وأُزيلت هذه الصخرة، وبُني ضريح داخل المشهد، ونقش عليه أسماء كثيرة لشهداء كربلاء، ولكن الحقيقة أنّه منسوب إلىٰ الرؤوس الشريفة الثلاثة المقدّم ذكرها بحسب ما كان موضوعاً علىٰ بابه كما مرّ، وهذا المشهد الظنّ القوي بصحة نسبته، لأنّ الرؤوس بعد حملها إلىٰ دمشق والطواف بها وانتهاء غرض يزيد من إشهار الغلبة والتنكيل بأهلها والتشفّي، لابدّ أن تدفن في إحدىٰ المقابر، فدفنت هذه الرؤوس الثلاثة في مقبرة باب الصغير، وحفظ محلّ دفنها والله أعلم... إلىٰ آخره»[1].

هذا ما ذكره السيّد أيده الله، ولو اطلع علىٰ حبيب السير لاعتقد عدم صحة الدفن هناك، علىٰ أنّ التغيير الذي ذكره يدلّنا علىٰ أنّ الحفظة لذلك المشهد لهم غرض آخر، وليس بالمستبعد أن ذلك المشهد محلّ صلب الرؤوس.

وحقيق أن يقال في كُلّ منها:

هامة في الحياة طاولت الشهب ... وما نالها هبوب الرياح
أنفت بعد موتها الترب فاختا ... رت لها مسكناً رؤوس الرماح

(١) أعيان الشيعة ١: ٦٢٧.

مشهد الكفين

لم يفتأ شيعة أهل البيت عليهم السلام كما أنّهم يقتصّون آثارهم في معارفهم وتعاليمهم ، يتبرّكون بتعيين كُلّ ما يتعلّق بهم من مشهد أو معبد أو مقام ، فيتبعونها بالحفاوة والتبجيل ، ويرون ذلك من متممّات الولاء ولوازم الاتباع والمشايعة .

وهو كما يرون لأنّه إمّا مشهد يزار ، أو معبد يقصد للعبادة ، أو محلّ مسرّة فيسرّهم ذلك ، أو موقف مأساة فيستاؤون لهم ، وهذا هو التشيّع المحض ، والاقتداء الصحيح .

ومن ذلك ما نشاهده في كربلاء المشرّفة من المقام (لكفّي أبي الفضل) اللذين تناقلتهما الألسن ، وأخذ حديثهما الخلف عن السلف والسيرة المستمرة بين الإمامية كافية في القطع بثبوت (المقامين) ، ولولاها لانتقض الأمر في كثير من المشاهد والمعابد والمقامات .

يقع مقام (الكفّ اليمنىٰ) في جهة الشمال الشرقي علىٰ حدّ محلّة باب بغداد ومحلّة باب الخان ، قريباً من باب الصحن المطهّر الواقعة في الجهة الشرقية ، وعلىٰ جدار المقام شباك صغير ، وعلىٰ جبهته بيتان بالفارسية لم يكتب اسم ناظمهما ، ولا تاريخ البناء ، ولا وضع الشباك ، والبيتان :

أفـتاد دست راست خدايا زِبـيكرم
بَر دامَنِ حسين بِرسان دَستِ ديكرم
دست جـــبم بـــجاست
اكـــر نـــيست دست راست
امـــا هـــزار حـــيف كـــه
يك دست بـــيصداست

ويقع مقام (الكفّ اليسرىٰ) في السوق الصغير القريب من الباب الصغير للصحن الواقعة في الجنوب الشرقي ، ويعرف بسوق باب العبّاس الصغير ، وعلىٰ الجدار شباك ، وكتب بالقاشاني عليه : «هذا نظم الشيخ محمّد المعروف بالسراج» .

سل إذا ما شئت واسمع واعـلم
ثـمّ خـذ منّي جواب المفهم
إنّ فـي هـذا المـقام انـقطعت
يسـرة العـبّاس بـحر الكرم
هاهنا يـا صـاح طـاحت بـعدما
طـاحت اليـمنىٰ بـجنب العـلقم
إجـر دمـع العـين وابكـيه أسـاً
حـق أن يـبكىٰ بـدمع عـن دم

الزيارة

ذكرنا فيما تقدّم أنّ الزيارة من المأثور عن الإمام الصادق عليه السلام ، ولكمال فضله وعلمه الجمّ ، وورعه الموصوف وكراماته الخارجة عن حدّ الإحصاء ، كان في المثول حول مرقده الأقدس بداعي الزلفىٰ إلىٰ المولىٰ تعالىٰ مزيد لرسوخ العقيدة بأمر الدّين ، وتعريف للأُمة بما وجب من حقّ اللّه تعالىٰ علىٰ خلقه ، وإنّ العبد كيف يجب عليه بذل ذاته في مرضاة اللّه عزّ وجلّ .

ثُمّ إنّ الزيارة وإن كانت مجرّد الحضور عند المزور والسلام عليه بأي لفظ جاء به المسلّم ، كما يؤيّده حديث مسلم ابن ظبيان عن الصادق عليه السلام : «إذا أتيت القبر يعني قبر الحسين فقل : صلّىٰ اللّه عليك يا أبا عبد اللّه ، فقد تمّت زيارتك»[1] .

ولكنّ الألفاظ الواردة عن أهل البيت يلزم الاحتفاظ بها ، لأنّها اشتملت علىٰ ما يناسب مقام المزور من الخواص ، وما له من جهاد نافع في سبيل الدّين ، مضافاً إلىٰ ما فيها من التأدّب عند أداء السلام عليه .

فالقول المأثور من أهل البيت عليهم السلام في السلام عليهم أو علىٰ أحد أولادهم أو أصحابهم راجح ، ومن هنا أفتىٰ صاحب الرسائل فيها وخاتمة المحدّثين النوري في المستدرك باستحباب زيارة

---

(١) كامل الزيارات : ٢٤٤ ، تهذيب الأحكام ٦ : ١١٥ .

الحسين بالزيارة المأثورة وآدابها ، ولا خصوصية له علىٰ غيره من أئمة الهدىٰ عليهم السلام ، وبذلك المناط يتسرىٰ إلىٰ غيرهم .

ومن يقرأ ما ورد عن الإمام الصادق في زيارة أبي الفضل بتدبّر وإمعان يعرف رجحان الأخذ بقوله عليه السلام ، وإنّ الزائر مهما يبلغ من المعرفة والكمال لا يحيط خبراً بحقيقة أبي الفضل ، وما يليق بجليل قدره ، وعظيم منزلته .

ومن هنا كان الراجح للزائر عند زيارة العبّاس أن يقف مواجهاً له مستدبراً القبلة ، كما هو الشأن في زيارة المعصومين ، وهو مقتضىٰ التأدّب أمام »قمر بني هاشم« ، فإنّ زيارته ميتاً كزيارته حياً (والشهداء أحياء عند ربهم يرزقون) ، ولا شّك أنّه لو كان حياً ودخل عليه الزائر يسلّم عليه إلا مواجهاً له .

ويشهد لذلك ما في مزار البحار ص١٦٥ عن المفيد وابن المشهدي والشهيد الأوّل أنّهم قالوا : إنّ الزائر للعبّاس يقف أولاً علىٰ باب السقيفة ويستأذن للدخول فيقول : سلام اللّه وسلام ملائكته . . . إلىٰ آخره ، ثُمّ يدخل وينكبّ علىٰ القبر ويقول : السلام عليك أيها العبد الصالح . . . إلىٰ آخره ، ثُمّ ينحرف إلىٰ عند الرأس فيصلّي ويدعو ، ويعود إلىٰ الضريح ويقف عند الرجلين ويقول : السلام عليك يا أبا الفضل العبّاس . . . إلىٰ آخره[1] .

وقد يدّعىٰ أنّ هذه العبارة وما رواه ابن قولويه عن أبي حمزة الثمالي يقتضي الوقوف علىٰ قبر العبّاس من دون تخصيص بجهة من الجهات ، فإنّ العبارة : «ثُمّ ادخل وانكب علىٰ القبر وقل ، . . . إلىٰ

---

(١) المزار للشيخ المفيد : ١٢٠ ، المزار للمشهدي : ٣٨٩ ، وعنهما بحار الأنوار ٩٨ : ٢١٧ .

آخره»[١]، ولم يبيّن كيفيّة الانكباب هل أنّه من جهة القبلة، كما هو شأن زيارة الإمام المعصوم، أو من جهة عكسها، أو من جهة الرجلين أو الرأس؟

إلا أنّ المنصرف من الإطلاق إرادة جهة القبلة، خصوصاً لو كان الباب التي يدخل منها إلىٰ الروضة المطهرة في ذلك الزمان كما عليه اليوم، وحينئذٍ تكون زيارة أبي الفضل علىٰ حدّ زيارة المعصوم مواجهاً له مستدبراً القبلة.

فالتوقّف عن رجحان مواجهته حال الزيارة في غير محلّه، واستظهار المجلسي تخيير الوقوف في زيارته محّل المناقشة، فإنّه لم يرد عن الأئمة خبر التفصيل بين المعصوم وغيره باستحباب المواجهة له في الأوّل واستقبال القبلة في الثاني.

وغاية ما ورد في زيارة الحسين وأبيه عليهما السلام مواجهة القبر وجعل القبلة بين كتفيه، وهناك أخبار مطلقة بالوقوف علىٰ قبريهما كإطلاقها علىٰ قبري الجوادين والعسكريين والرضا عليهم السلام، فلا تخصيص للمعصوم علىٰ غيره.

وما ورد في صفة زيارة المؤمنين من استقبال القبلة، ووضع اليد علىٰ القبر، والتوقيع المروي في الإقبال عن صاحب الزمان عجّل اللّه فرجه: «إذا أردتَ زيارة الشهداء فقف عند رجلي الحسين فاستقبل القبلة بوجهك، فإنّ هناك حومة الشهداء، وقم وأشر إلىٰ علي بن الحسين وقل: السلام عليك يا أوّل قتيل من نسل خير سليل... إلىٰ آخره»[٢].

---

(١) كامل الزيارات: ٤٤٠.

(٢) المزار للمشهدي: ٤٨٦، إقبال الأعمال لابن طاووس ٣: ٧٣، وعنه البحار

أخصّ من المدّعىٰ ، علىٰ أنّ الاعتبار يشهد بأنّ السلام والثناء علىٰ المزور يستدعي مواجهته لا استدباره .

وكيف يكون الحال ، فأبو الفضل ممتاز عن سائر المؤمنين بخواصّ لا يأتي البيان علىٰ حصرها ، كيف وقد بلغ من الدرجات الرفيعة ما يغبطه عليها جميع الشهداء والصديقين ، وقد أعلمنا الإمام الصادق بالزيارة التي علّمها أبا حمزة الثمالي بأنّ لأبي الفضل مكانة سامية ودرجات عالية لا ينالها إلا أُولوا العزم من الرسل .

فرجحان مواجهته عند السلام عليه متعيّن ، كما هو الحال في أئمة الهدىٰ عليهم السلام ، وبذلك أفتىٰ شيخنا الحجّة الشيخ عبد الحسين مبارك قدس سره في بشارة الزائرين ثُمّ قال :

«ولعمر أبيه الطاهر صلوات اللّه وسلامه عليهما أنّه بذلك لحقيق جدير ، فإنّه ابن سيّد الوصيّين ، والمواسي ريحانة خير الخلقّ أجمعين صلى الله عليه وآله» .

ومن هنا كان بعض العارفين من العلماء الأعلام يقدّم زيارة العبّاس علىٰ زيارة الحسين ، لأنّه بابه في الحوائج ، وهو في محلّه ، وعليه العمل منذ عهد قديم ، وفي هذا يقول الأديب السيّد مهدي الأعرجي رحمه الله :

قصدتكَ قبل ابن النبيّ محمّد
وأدمع عيني كالحيا في انسكابها

لأنّك في كلّ الحوائج بابه
وهل يقصدون الدار من غير بابها

= ٤٥ : ٦٤ .

صلاة الزيارة

إنّ من الراجح المؤكّد صلاة ركعتين بعد الفراغ من زيـارة أبـي الفضل عليه السلام ، ويشهد له ما في مزار البحار ص١٦٥ عن مـزار المـفيد وابن المشهدي من الرواية عن الأئمة عليهم السلام في كـيفية زيـارته وبـعدها قال : «ثُمّ انحرف إلىٰ عند الرأس فصلّ ركعتين، ثُمّ صلّ بعدهما ما بدا لك»[١] .

وذكر السيّد ابن طاووس في مصباح الزائر الصلاة ركعتين بعد الفراغ من الزيارة .

كما أنّ الشيخ المفيد وابن المشهدي وابن طاووس ذكروا في مزاراتهم عند زيارة العبّاس يوم عيد الفطر والأضـحىٰ وليـلة عـرفة ويومها ، الأمر بركعتي الزيارة بعد الفراغ منها[٢] .

وجاء في زيارة الأربعين: أن جابر الأنـصاري زار العـبّاس بـن أمير المؤمنين ثُمّ صلّىٰ ركعتين، ومن البعيد جداً أن يكـون الحكـم ممنوعاً منه عند الأئمة ، ولا يعلمه مثل جابر المتخرّج من مدرستهم

(١) المزار للشيخ المفيد : ١٢٣ ، المزار للمشهدي : ١٧٩ ، المزار للشهيد الأوّل : ٢٨٠ ، بحار الأنوار ٩٧ : ٤٢٨ .

(٢) المصادر السابقة .

الكبرىٰ ، أو أنّه كان يغضّ الطرف عن هذا المنع ، بل ظاهر الفعل أنّهما ركعتي الزيارة ، وأنّه لِما علِمه من أئمته فسار علىٰ نهجهم .

وإنّ من المستبعد جداً أن يثبت هؤلاء الأعاظم ، وهم عمد المذهب المنقّبون في الآثار ، مثل هذه الوظائف من دون تخريج عن أئمتهم ، بحيث يتورّطون في التشريع المحرّم والبدعة التي لا تقال عثرتها ، (كلا وحاشا) ، بل لم يودعوا في كتبهم ومزاراتهم إلا ما وقفوا عليه عن أئمتهم وإن لم نحط به خبراً ككثير ممّا وقفوا عليه .

وقد ذكر السيّد ابن طاووس في آخر مصباح الزائر أنّ ما وقع اختياره عليه في هذا الكتاب ، قد وصل علىٰ الوجه الذي استحسنه واعتمد عليه من جهة الرواية .

وذكر ابن المشهدي في أوّل مزاره أنّ ما أودعه في الكتاب ما حصل لديه من الروايات الواردة عن أئمة الهدىٰ[1] .

إذن ، فكيف يسعنا نسبة ما أودعوه في كتبهم إلىٰ محض آرائهم من دون تخريج عن أهل البيت؟!

ولقد أفادنا بصيرة في تأكيد هذا شيخ المحقّقين الشيخ أسد اللّه الكاظمي رحمه الله في كشف القناع ص٢٣٠ ، وحاصل ما ذكره :

إنّ من الجائز أن يحصل لبعض حملة أسرار الأئمة العلم بقول الإمام الغائب عن الأبصار ، إمّا بنقل أحد سفرائه سرّاً علىٰ وجه يفيد اليقين ، وإمّا بتوقيعه ومكاتبته كذلك ، وإمّا بالسماع منه عليه السلام مشافهة علىٰ وجه لا ينافي الرؤية في زمن الغيبة ، فلا يسعه التصريح بما حصله من الحكم علىٰ هذه الوجوه ، ولم يجد في الأدلة ما يدلّ عليه

---

(١) المزار للمشهدي : ٢٧ .

ولم يكن مخصوصاً بذلك الحكم ، وممنوعاً عن إظهاره لسائر الناس ، فلا مندوحة حينئذٍ من إظهار هذا الذي أطلع عليه بصورة الاتفاق عليه والتسالم ، وهذا هو الأصل في كثير من الزيارات والآداب والأعمال المعروفة التي تداولت بين الإمامية ، ولا مستند ظاهر من أخبارهم ولا من كتب قدمائهم الواقفين علىٰ آثار الأئمة وأسرارهم .

ومن ذلك ما رواه والد العلّامة الحلّي والسيّد ابن طاووس عن السيّد الكبير العابد رضي الدّين محمّد بن محمّد الأزدي الحسيني المجاور بالمشهد الأقدّس الغروي ، عن صاحب الزمان في طريق الاستخارة بالسبحة ، وكما سمعه منه صلوات اللّه عليه ابن طاووس في السرداب ، وكدعاء العلوي المصري المعروف الذي علّمه محمّد بن علي العلوي الحسني المصري في حائر الحسين وقد أتاه في خمس ليال حتّى تعلّمه[1] .

وهذا هو الأصل في كثير من الأقوال المجهولة القائل ، فيكون المطّلع على قول الإمام لمّا وجده مخالفاً لمّا عليه الإمامية أو معظمهم ولم يتمكّن من إظهاره على وجهه ، وخشي أن يضيع الحقّ جعله قولاً ، ومن أقوالهم ، واعتمد عليه ، وأفتى به من دون تصريح بدليله .

فتحصّل من ذلك : أنّ العلماء لم يدّعوا في كتبهم حكماً من الأحكام من دون أن يعثروا عليه عن أئمتهم ، وقد يكون بطريق المشافهة من إمام العصر أرواحنا له الفداء ، فما ذكره المشايخ المتقدّمون في مزاراتهم من صلاة ركعتي الزيارة بعد الفراغ من زيارة

---

(١) بحار الأنوار ٥١ : ٣٠٧ ، معجم أحاديث المهدى : ٤٨٧ .

أبي الفضل لا ينبغي الوقفة في رجحانه عند أهل البيت ، إذ لعلّه وصل إليهم بالخصوص وإن جهلنا طريق الوصول إليهم .

ولو تنازلنا عن ذلك لدلّنا حديث أبي حمزة الثمالي المروي في كامل الزيارة ص ٢٤٠ عن الإمام الصادق الواردة في زيارة الحسين المشتملة على المقدّمات والمقارنات الكثيرة وفيه قال الصادق عليه السلام : «فإذا فرغت فصلّ ما أحببت ، إلّا أنّ ركعتي الزيارة لا بدّ منهما عند كُلّ قبر»[١] ؛ فإنّه أثبت بعمومه رجحان ركعتي الزيارة عند كُلّ مزور ، وليس له مخصّص يدفع العموم .

وخلوّ بعض الروايات الواردة في زيارة غير المعصومين من التعرّض لركعتي الزيارة لا ينهض لمصادمة العموم ، فالعامّ محكم في موارده حتّى يجيء المخصص المخرّج .

كما أنّ خلوّ رواية أبي حمزة الثمالي الواردة في زيارة العبّاس عليه السلام عن ذكر صلاة الزيارة لا يدل على عدم المشروعية .

والتنصيص في زيارة المعصومين لا يدلّ على عدم المشروعية في غيرهم .

فهذا العموم ، وما ذكر في مزارات من تقدّم ذكرهم من النصّ عليها ، كافٍ في المشروعية والرجحان .

فما حُكي عن بعض معاصري العلّامة المجلسي من منع صلاة الزيارة لغير المعصومين[٢] ، مستدلاً بخلو الأخبار الواردة في زياراتهم عنها ، في غير محلّه ؛ لمّا عرفتَ من الدليل عليه .

---

(١) كامل الزيارات : ٤١٧ ، بحار الأنوار ٩٧ : ١٣٣ .

(٢) بحار الأنوار ٩٨ : ٣٧٨ .

مضافاً إلى ما حكاه المجلسي في مزار البحار ص ١٨٠ ، عن مؤلّف المزار الكبير ، عن صفوان الجمال ، عن الصادق عليه السلام ، من الأمر بصلاة ركعتي الزيارة بعد الفراغ من زيارة علي الأكبر[١] ، ويتمّ في أبي الفضل بعدم القول بالفصل .

وفيه عن المزار الكبير[٢] ، ومزار الشهيد[٣] بعد ذكر زيارة مسلم بن عقيل قال : «ثُمّ انحرف إلى عند الرأس فصلّ ركعتين، ثُم صلِّ بعدهما ما بدا لك» ، وظاهره أن الركعتين للزيارة ، ولكنّه نقل عن مزار السيّد ابن طاووس التصريح بذلك ، فإنّه بعد الفراغ من الزيارة قال : «ثُمّ تقبّل الضريح وتصلّي صلاة الزيارة ، وتهدي ثوابها له ، ثمّ تودّعه وتنصرف»[٤] .

وفي مزار البحار عند ذكره زيارة هاني بن عروة قال : «ثُمّ صلّ صلاة الزيارة واهدها له ، وادع لنفسك بما شئت ، وودعه وانصرف»[٥] .

وعلى ما تقدّم من أنّ هؤلاء الأعلام لم يدعوا في مزاراتهم إلّا ما رووه عن أئمتهم أو وجدوه مروياً واعتمدوا عليه .

ويتضح لنا رجحان ركعتّي الزيارة لمسلم وهانئ ، على أنّ الإطلاق المذكور يشملهما .

فإذن في أبي الفضل عليه السلام بطريق أولى .

---

(١) بحار الأنوار ٩٨ : ٩٨ .
(٢) المزار للمشهدي : ١٧٩ .
(٣) المزار للشهيد الأوّل : ٢٨٠ .
(٤) بحار الأنوار ٩٧ : ٤٢٨ .
(٥) بحار الأنوار ٩٧ : ٤٢٩ .

تقبيل القبر

ممّا يدلّ على رجحان تقبيل قبر العبّاس بن أمير المؤمنينعليه السلام ما رواه في مزار البحار ص١٨٠ ، عن مؤلّف المزار الكبير ، عن صفوان الجمال ، عن الصادق . . . وساق الزيارة للحسين إلى أنّ قال :

«ثُمّ تأتي إلى قبر العبّاس بن علي وتقول : السلام عليك أيّها الولي ـ إلى أن قال ـ ثُمّ تنكب على القبر وتقبّله وتقول : بأبي وأُمّي يا ناصر دين اللّه ، السلام عليك يا بن أمير المؤمنين ، السلام عليك يا ناصر الحسين الصدّيق ، السلام عليك يا شهيد ابن الشهيد ، السلام عليك منّي أبداً ما بقيت ، وصلّى اللّه على محمّد وآل وسلم»[1] .

وفيه كفاية لمن يتطلب النصّ على المشروعية والرجحان ، ويضاف إليه ما ذكره المفيد وابن المشهدي وابن طاووس في مزاراتهم فإنّهم قالوا بعد الاستئذان : «ثُمّ ادخل وانكب على القبر وقل : السلام عليك أيّها العبد الصالح . . . إلى آخره» .

ولهذا وأمثاله كان شيخ المحقّقين ونخبة المرتاضين مجدّد المذهب في المائة الثانية عشر محمّد باقر البهبهاني إذا دخل إلى حرم أبي الفضلعليه السلام يقبّل عتبة الباب كما يفعل في حرم سيّد الشهداءعليه السلام[2] ، وفعل هذا المتبحّر حجّة ، وعمله أكبر برهان لمن يتبع الحقّ : **﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ﴾**[3] .

---

(١) المزار للمشهدي : ٤٣٣ ، بحار الأنوار ٩٨ : ٢٦١ .

(٢) أسرار الشهادة : ٦٦ .

(٣) يونس : ٣٥ .

أولاده وأحفاده

كان للعباس من الأولاد خمسة : عبيد اللّه[١] ، والفضل[٢] ، والحسن[٣] ، والقاسم[٤] ، وبنتان .

وعدّ ابن شهرآشوب من الشهداء في الطفّ ولد العبّاس محمّد[٥] .

فأمّا عبيد اللّه والفضل فأُمهما لبّابة بنت عبيد اللّه بن العبّاس ابن عبد المطلب ، وأُمّها أُم حكيم جويرية بنت خالد بن قرظ الكنانية .

كانت من أجمل النساء وأوفرهنّ عقلاً ، ولمّا قتل بسر بن أرطأة ولديها عبد الرحمن وقثم ، وكانا صبيين صغيرين ، وهي تنظر إليهما ، فقدت الصبر وأخذها الوجد ، فكانت تدور في البيت ناشرة شعرها وتقول في رثائهما[٦] :

---

(١) مستدركات علم الرجال للنمازي ٦ : ٢١٦ .

(٢) الجريدة في أنساب العلويين ٤ : ٣١٨ .

(٣) الجوهرة في نسب الإمام علي : ٥٧ .

(٤) الجريدة في أنساب العلويين ٤ : ٣٥١ .

(٥) الجريدة في أنساب العلويين : ٥٨٨ .

(٦) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢ : ١٣ ، تاريخ مدينة دمشق ١٠ : ١٥٣ ، بلاغات النساء لابن طيفور : ٢٠٢ ، الكامل في التاريخ ٣ : ٣٨٤ .

يـا مـن أحسّ بـابنيَّ اللـذين هـما
كـالدرّتين تشظّى عـنهما الصـدف
يـا مـن أحسّ يـا بـنيّ اللـذين هـما
سمعي وقلبي فمخي اليوم مـختطف
نُبّئت بسراً ومـا صـدّقت مـا زعـموا
من قـولهم ومـن الإفك الذي اقـترفوا
أنـحي عـلى ودجـي ابـنيّ مـرهفة
مشـحوذة وكـذاك الإفك يـقترف
حـتّىٰ لقـيت رجـالاً مـن أُرومـته
شمّ الأنوف لهـم فـي قـولهم شـرف
فـالآن ألعـن بسـراً حـقّ لعـنته
هـذا لعـمر أبـي بسـر هـو السـرف
مَـن ذلّ والهــة حـرّى مـولّهة
على صـبيّين ضـلا إذ غـدا السـلف

فسمع قولها هذا رجل من أهل اليمن فرق لها واتصل ببسر حتّى وثق به، ثُمّ احتال لقتل ابني بسر، فخرج بهما إلى وادي أوطاس فقتلهما وهرب، وقال[1]:

يا بسر بسر بـني أرطأة مـا طـلعت
شمس النهار ولا غابت على النـاس
خـير مـن الهـاشميين الذيـن هـم
عين الهدى وسمام الأسوق القـاسي

---

(١) الأغاني ١٥ : ٤٥.

مـــــاذا أردت إلى طـــفلي مـولّهة
تبكي وتنشد من اثكلت في النـاس
أمـا قـتلتهما ظـلماً فـقد شـرقت
من صـاحبيك قـناتي يـوم أوطـاس
فاشرب بكأسهما ثكلى كـما شـربت
أمّ الصـبيّين أو ذاق ابـن عـباس

ولمّا بلغ قتلهما أمير المؤمنين عليه السلام دعا على بسر فقال: «اللّهم اسلبه دينه وعقله»(١)، فخرف بسر حتّى كان يلعب بخرئه ويقول لمن حضر: انظروا كيف يطعمني هذان الغلامان ابنا عبيد اللّه هذا الخرء، فشدّوا يديه إلى ورائه ليُمنع من ذلك، فانجا يوماً في مكانه وأهوى بفمه ليتناول منه، فمنع منه، فقال: أنتم تمنعوني وعبد الرحمن وقثم يطعماني؟! وبقي على هذا حتّى مات في سنة ٨٦ هجرية أيام الوليد بن عبد الملك(٢).

خلف على لبابة بعد أبي الفضل عليه السلام زيد بن الحسن بن أمير المؤمنين، فأولدها نفيسة، تزوّجها الوليد بن عبد الملك بن مروان(٣).

فولدت له ولداً، فكان زيد بن الحسن يفد إلى الوليد ويجلس معه على السرير ويكرمه، لمكان ابنته عنده، ووهب له ثلاثين ألف دينار دفعة واحدة(٤).

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢: ١٨، أنساب الأشرف: ٤٦٠، الكامل في التاريخ ٣: ٣٨٥.
(٢) مروج الذهب ٢: ١٥٥.
(٣) تذكرة الخواص ٢: ٧١.
(٤) سرّ السلسلة العلوية للبخاري: ٢٩.

وخلف عليها بعد زيد بن الحسن الوليد بن عبتة بن أبي سفيان فولدت له القاسم[١].

واتفق أرباب النسب على انحصار عقب العبّاس ابن أمير المؤمنين في ولده عبيد اللّه، وزاد الشيخ الفتوني العقب للحسن بن العبّاس، وكان عبيد اللّه من كبار العلماء موصوفاً بالجمال والكمال والمروءةمات سنة ١٥٥ هجرية[٢].

تزوّج من ثلاث عقائل كرام: رقية بنت الحسن بن علي، وبنت معبد بن عبد اللّه بن عبد المطلب، وبنت المسوّر بن مخرمة الزبيري[٣].

ولعبيد اللّه هذا منزلة كبيرة عند السّجاد كرامة لموقف أبيه (قمر بن هاشم)، وكان إذا رأى عبيد اللّه رقّ واستعبر باكياً، فإذا سُئل عنه قال: «إنّي أُذكر موقف أبيه يوم الطفّ فما أملك نفسي».

وانحصر عقب عبيد اللّه في ولده الحسن، وكان لأُم ولد، عاش سبعاً وستّين سنة، أولد الحسن بن عبيد اللّه بن العبّاس خمسة:

١ ـ الفضل.

٢ ـ حمزة.

٣ ـ إبراهيم.

٤ ـ العبّاس.

٥ ـ عبيد اللّه.

---

(١) المجدي في أنساب الطالبين: ٢٣١.
(٢) المجدي في أنساب الطالبين: ٢٣١.
(٣) سرّ السلسلة العلوية: ٩٠ وذكر أنهنّ أربعة بإضافة أم علي بن الحسين بن علي.

وكُلّهم أجلاّء فضلاء أُدباء[1].

فأمّا الفضل فكان لسناً متكلّماً فصيحاً، شديد الدّين، عظيم الشجاعة، محتشماً عند الخلفاء[2]، ويقال له: (ابن الهاشمية). أعقب من ثلاثة: جعفر، والعبّاس الأكبر، ومحمّد، ولكُلّ منهم أولاد الأُدباء.

فمنهم أبو العبّاس الفضل بن محمّد بن الفضل بن الحسن بن عبيد اللّه بن العبّاس، كان خطيباً شاعراً، وقع عقبه إلى قم وطبرستان، وله أبيات في موقف جدّه العبّاس يوم الطف نذكرها في فضل المديح[3].

وأمّا حمزة فيشبه جدّه أمير المؤمنين، خرج توقيع المأمون بخطّه وفيه: يُعطي لحمزة بن الحسن بن عبيد اللّه بن العبّاس ابن أمير المؤمنين مائه ألف درهم، لشبهه بجدّه أمير المؤمنين.

تزوّج[4] زينب بنت الحسين بن علي بن عبد اللّه بن جعفر الطيار المعروف بـ(الزينبي)، نسبة إلى أُمه زينب بنت أمير المؤمنين، وكان حفيده محمّد بن علي بن حمزة متوجّاً شاعراً، نزل البصرة، وروى الحديث عن الرضا وغيره، مات سنة ٢٨٦ هـ[5].

وسيأتي في ترجمة ابن أخيه الحمزة صاحب المشهد بقرب الحلّة: «إنّ أُمّ صاحب الزمان التجأت إلى بيته».

وترجمه الخطيب في تاريخ بغداد ج٢ ص٦٣ وقال: «كان

---

(١) المجدي في أنساب الطالبين: ٢٣١.

(٢) سرّ السلسلة العلوية: ٩٠، المجدي في أنساب الطالبيين: ٢٣٢.

(٣) المجدي في أنساب الطالبين.

(٤) سرّ السلسلة العلوية: ٩١.

(٥) عمدة الطالب: ٣٥٨.

راوية للأخبار، وهو صدوق، وله الرواية عن جماعة كثير*[١].

وفي تهذيب التهذيب ج٩ ص٣٥٢ وصفه بالعلوي البغدادي، ونقل عن ابن أبي حاتم: أنّه صدوق ثقة[٢].

وأمّا إبراهيم ويُعرف بـ(جردقة) كان من الفقهاء الأُدباء والزهاد، وابنه علي أحد الأجواد، له جاه وشرف، مات سنة ٢٦٤هـ، أولد تسعة عشر ولداً، ومن أحفاده: أبو الحسن علي بن يحيىٰ بن علي بن إبراهيم جردقة، كان خليفة أبي عبد اللّه بن الداعي على النقابة ببغداد[٣].

وعبد اللّه بن علي بن إبراهيم جردقة جاء إلى بغداد، ثُمّ سكن مصر، وكان يمتنع من التحدّث بها، ثُمّ حدّث، وعنده كتب تسمّى (الجعفرية)، فيها فقه على مذهب الشيعة، توفي في مصر في رجب سنّة ثلاثمائة واثني عشر[٤].

وقال أبو نصر البخاري في سرّ السلسلة في العبّاس بن الحسن ابن عبيد اللّه بن العبّاس السقا: «ما رؤي هاشمي أعضب لساناً منه ولا أجرأ»[٥].

قدم بغداد في أيام الرشيد، وأقام في صحبته، ثُمّ صحب المأمون بعده، وكان من رجال بني هاشم فصاحة وشعراً[٦]،

---

(١) تاريخ بغداد ٣: ٣٢٨.
(٢) تهذيب التهذيب ٩: ٣١٤.
(٣) عمدة الطالب: ٣٢٤.
(٤) تاريخ بغداد: ١٠: ٣٤٥.
(٥) سر السلسلة العلوية: ٩٠، عمدة الطالب: ٣٥٩.
(٦) تاريخ الإسلام للذهبي ١٣: ٢٤٦، الوافي بالوفيات ١٦: ٣٧٠.

ولجلالته وفضله وبلاغته وفصاحته يكنّى عند الرشيد[١] ومن شعره في أخاه أبي طالب لعبد اللّه والد الرسول الأقدس ﷺ :

انـــا وإن رســول اللّـــه يــجمعنا
أب وأمّ وجـــدّ غـــير مـــوصوم
جـاءت بـنا ربـة من غـير أُسـرته
غراء مـن نسـل عـمران بـن مـخزوم
حزناً يـهادون مَـن يسـعى ليـدركها
قــرابــة مـن حـواهـا غـير مسـهوم
رزقاً مــن اللّــه أعــطانا فـضيلته
والناس من بين مرزوق ومحروم[٢]

وفي المجدي ممّا رثى به أخاه محمداً :

وارى البـــــقيع مــــحمّد
للّـــــه مـــا وارى البـــقيع
مـــن نـــائل ونـــدى ومـــعـ
ـــروف إذا ظـــنّ المـــنوع
وحـــبّاً لأيـــتام وأرمـــلة
إذا جـــفّ الربـــيع
ولى فـــولى الجـــود والمـــعـ
ـــروف والحسب الرفـيع[٣]

---

(١) عمدة الطالب : ٣٥٩ .
(٢) تاريخ بغداد ١٢ : ١٢٦ ، أعيان الشيعة ٧ : ٤١٣ .
(٣) المجدي في أنساب الطالبين : ٢٣٦ .

وقال وله أيضاً :

وقــالت قــريش لنــا مــفخر
رفــيع عــلى النــاس لا يــنكر
بــنا تــفخرون عــلى غــيرنا
فأمــا عــلينا فــلا تــفخروا[١]

أولد العبّاس عشرة ذكور منهم عبد اللّه ، وأُمّه أفطسية ، كان أديباً شاعراً ، فمن شعره ما في المجدي :

إنّــي لا ستحي أخــي أن أبــرّه
قــريباً وإن أجـفوه وهـو بـعيد
عليّ لإخواني رقيب من الهـوى
تبيد الليالي وهو ليس يبيد[٢]

وفي سرّ السلسلة : «قدم على المأمون ، فتقدّم عـنده ، ولمّـا سمع بموته قال : اسـتوى النـاس بـعدك يـابن عـباس ، ومشـى فـي جنازته ، وكان يسميه الشيخ ابن الشيخ»[٣] .

وفي العمدة : «كان من أحفاد العبّاس السقا أبو الطيّب محمّد ابن حمزة بن عبد اللّه بن العبّاس بن الحسن بن عبيد اللّه بن العبّاس السقا ، من أكمل النـاس مـروءة وسـماحة ، وصـلة رحـم ، وكـثرة معروف ، مع فضل كثير ، وجاه واسع ، اتخذ بمدينة الأردن ـ وهي طبرية ـ ضياعاً وأموالاً ، فحسده طغج بن جف الفرغاني ، فدسّ إليه جنداً قتلوه فـي بسـتان له بـطبرية فـي صـفر سـنة ٢٩١ هـ، ورثـته

---

(١) المجدي في أنساب الطالبين : ٢٣٦ .
(٢) المجدي في أنساب الطالبين : ٢٣٧ ، عمدة الطالب لابن عنبة : ٣٥٩ .
(٣) عمدة الطالب : ٣٥٩ .

الشعراء، فمن ذلك ما في المجدي:

أيّ رزء جـنى عـلى الإسـلام
أي خطب من الخطوب الجسام[١]

ويقال لعقبه: بنو الشهيد.

وترجمه المرزباني في معجم الشعراء ص٤٣٥ وقال: «شاعر الافتخار بآبائه، وكان في أيام المتوكّل وبعده، وهو القائل:

وإنّـي كـريم مـن أكـارم سـادة
أكـفّهم تـندى بـجزل المـواهب
هم خير من يـخفى وأفـضل نـاعل
وذروة هضب العرب من آل غـالب
هـم المَـنّ والسـلوى لدان بـوده
وكالسمّ في حلق العدوّ المجانب[٢]

وترجم له شيخنا الجليل العلّامة ميرزا عبد الحسين الأميني في شعراء الغدير ج٣ ص٣ طبع النجف.

وأمّا عبيد الله بن الحسن بن عبيد الله بن العبّاس السقا عليه السلام، ففيه يقول محمّد بن يوسف الجعفري: «ما رأيت أحداً أهيب، ولا أهيأ، ولا أمرأ من عبيد الله بن الحسن، تولّى إمارة الحرمين مكة والمدينة والقضاء بهما أيّام المأمون سنة ٢٠٤ هجرية»[٣].

وفي سنة ٢٠٤هـ، وسنة ٢٠٦هـ ولّاه إمارة الحاج[٤]، مات

(١) المجدي في أنساب الطالبين: ٢٣٧.
(٢) الوافي بالوفيات ٢: ٢٢٠؛ الغدير ٣: ٢.
(٣) تاريخ بغداد ١٠: ٣١٣.
(٤) تاريخ الطبري ٧: ١٥٦.

ببغداد في زمن المأمون ، وكانت أُمّه وأُم أخيه العبّاس أم ولد[1] وقع عقب علي بن عبيد اللّه قاضي الحرمين إلى دمياط ، ويقال : لهم بنو هارون ، وإلى فسا ويقال : لهم بنو الهدهد ، وإلى اليمن.

وأمّا الحسن بن عبيد اللّه الأمير القاضي فأولد عبد اللّه ، كان له إحدى عشر ذكراً ، لهم أعقاب ، منهم : القاسم بن عبد اللّه بن الحسن بن عبيد اللّه قاضي الحرمين بن الحسن بن عبيد اللّه بن العبّاس الشهيد السقا ، له خطر بالمدينة ، وأحد أصحاب الرأي ، لسناً ، متكلّماً ، سعى بالصلح بين بني علي وجعفر ، وهو صاحب أبي محمّد الحسن العسكري عليه السلام[2] .

فأحفاد العبّاس كُلّهم أجلّاء ، لهم المكانة العالية بين الناس ؛ لأنهم بين فقهاء ومحدّثين ونسّابين وأُمراء وأُدباء ، ولا بدع بعد أن عرق فيهم (أبو الفضل) ، فحووا عنه المزايا الحميدة والصفات الجميلة ، فكانت ملامح الشرف والسؤدد تلوح على أسارير جبهاتهم ، وملء أهابهم علم وعمل وحشو الردى هيبة ومنعة .

ومنهم السيّد الجليل صاحب الحرم المنيع والقبة السامية (الحمزة) ، المدفون بالمدحتية قرب الحلّة .

---

(١) تاريخ بغداد ١٠ : ٣١٣ .
(٢) عمدة الطالب : ٣٤٩ .

الحمزة

من أحفاد أبي الفضل السيّد الجليل أبو يعلى الحمزة ابن القاسم بن علي بن حمزة بن الحسن بن عبيد اللّه بن العبّاس ابن أمير المؤمنين عليه السلام ، وقد كتب الشيخ الجليل العلّامة ميرزا محمّد علي الأُوردبادي صحائف غُر في حياته نذكرها بنصها ، قال :

«كان أبو يعلى أحد علماء العترة الطاهرة ، وفذّاً من أفذاذ بيت الوحي ، وأوحدي من سروات المجد من هاشم .

روى الحديث فأكثر ، واختلف إليه العلماء للأخذ منه ، منهم : الشيخ الأجل أبو محمّد هارون بن موسى التلعكبري ، وأحد أعاظم الشيعة ، ومن حملة علومهم ، توفي سنّة ٣٨٥هـ .

والحسين بن هاشم المؤدّب ، وعلي بن أحمد بن محمّد بن عمران الدقاق ، وكلاهما من مشايخ الصدوق ابن بابويه القمّي .

وعلي بن محمّد القلانسي ، من مشايخ الشيخ المبجل أبي عبد اللّه الحسين بن عبيد اللّه الغضائري .

وأبو عبد اللّه الحسين بن علي الخزاز القمّي »[1] .

ويظهر من هذا أنّه كان في طبقة ثقة الإسلام الكليني ، قد أدرك القرنين آخر الثالث وأواخر الرابع ، ولأجله عقد له الشيخ العلّامة

---

(١) رجال النجاشي : ١٤٠ ، نقد الرجال للتفرشي ٢ : ١٦٧ ، رجال العلّامة : ١٢١ ، رجال ابن داود : ٨٥ .

الشيخ آغا بزرك الرازي في كتابه (نابغة الرواة في رابعة المئات) ترجمة ضافية، فهو من علماء الغيبة الصغرى.

وله من الآثار والمآثر: كتاب التوحيد، وكتاب الزيارات والمناسك، وكتاب الرّد على محمّد بن جعفر الأسدي، وكتاب من روى عن جعفر بن محمّد عليه السلام من الرجال، استحسنه النجاشي والعلّامة، ولهذا ترجمه شيخنا الرازي في مصفّى المقال في مصنفي علماء الرجال، وأسند النجاشي إلى هذه الكتب عن ابن الغضائري عن القلانسي عن سيّدنا المترجم.

وإليك كلمات العلماء في الثناء عليه:

قال النجاشي والعلّامة: «إنّه ثقة جليل القدر من أصحابنا، كثير الحديث»[1].

وقال المجلسي في الوجيزة: «ثقة»[2].

وفي تنقيح المقال للعلّامة المامقاني: «السيّد جليل حمزة، ثقة، جليل القدر، عظيم المنزلة»[3].

وفي الكنى والألقاب لشيخنا المحدّث الشيخ عباس القمّي: «إنّه أحد علماء الإجازة، وأهل الحديث، وقد ذكره أهل الرجال في كتبهم وأثنوا عليه بالعلم والورع»[4].

إنّ دون مقام سيّدنا المترجم أن نقول فيه: إنّه من مشايخ الإجازة الذين هم في غنى عن أيّ تزكية وتوثيق، كما نصّ به الشهيد الثاني، وتلقّاه من بعده بالقبول، فإنّ ذلك شأن من لا يعرف وجُهلت

---

(١) رجال النجاشي: ١٤٠/٣٦٤.
(٢) بحار الأنوار ٥٣: ٢٨٧.
(٣) تنقيح المقال ١: ٣٧٦.
(٤) الكنى والالقاب للقمي ١: ١٨٧.

شخصيته ، وإنّ مكانة سيّدنا أبي يعلى فوق ذلك كُلّه على ما عرفته من نصوص علماء الرجال .

ومن كراماته المريبة على حدّ الإحصاء ، المشهودة من مرقده المطهّر ، فهو من رجالات أهل البيت المعدودين من أعيان علمائهم بكُلّ فضيلة ظاهرة ومأثرة باهرة :

والشمس معروفة بالعين والأثـر

فليس هو ممّن نتحرّى إثبات ثقته حتّى نتشبّث بأمثال ذلك . نعم ، كثرة روايته للحديث تنمّ عن فضل كثار من غزارة علمه ، ومن قولهم عليهم السلام : «اعرفوا منازل الرجال منّا بقدر روايتهم عنّا» ، فإنّ ذلك يشفّ عن التصلّب في أمرهم ، والتضلّع بعلومهم ، والبث لمعارفهم ، وبطبع الحال إن كُلاً من هذه يقرّب العبد إلى اللّه تعالى وإليهم عليهم السلام زلفى ، فكيف بمن له الحظوة بها جمعاء ، كسيّدنا المترجم على نسبه المتألق المتصل بدوحهم القدسي اليانع ؟!

أمّا مشايخه في الرواية فجماعة عرفناهم بعد الفحص في المعاجم وكتب الحديث ، كرجال الطوسي ، وفهرست النجاشي ، وإكمال الدّين للصدوق ، منهم :

١ ـ الشيخ الثّقة الجليل سعد بن عبد اللّه الأشعري .

٢ ـ محمّد بن سهل بن ذارويه القمّي .

٣ ـ الحسن بن ميثل .

٤ ـ علي بن عبد بن يحيى .

٥ ـ جعفر بن مالك الفزاري الكوفي .

٦ ـ أبو الحسن علي بن الجنيد الرازي .

٧ ـ وأجلّ مشيخته عمّه مستودع ناموس الإمامة ، والمؤتمن على وديعة المهيمن سبحانه ، أبو عبد اللّه أو عبيد اللّه محمّد بن

علي بن حمزة الحسن بن عبيد اللّه بن العبّاس عليه السلام .

ومن جلالته أنّه لمّا وقعت الفتنة بعد وفاة أبي محمّد العسكري عليه السلام ، وكثر الفحص والطلب من زبانية الإلحاد وطواغيت الوقت على بيت الإمامة ونسائه وجواريه وإمائه ، حذار وجود البقية منه أو وجود حامل منهم تلده ، لمّا بلغ الطاغية أنّ الخلف بعد أبي محمّد العسكري يدمّر دولة الباطل ، فحسبه في العاجل وهو آجل ، فعند ذلك انتقلت الكريمة الطاهرة أُم الإمام المنتظر عجّل اللّه فرجه (نرجس) سلاّم اللّه عليه وعليها إلى بيت أبي عبد اللّه هذا ، كما نصّ به النجاشي للحفظ من عادية المرجفين[١] .

وإنّ الاعتبار لا يدعنا إلّا أن نقول بأنّ بيتاً يحوي أُم الإمام لابدّ أن يكون مختلف وليّ الدهر ، وصاحب العصر ، الناهض بعبء خلافة اللّه الكبرى ، ومحطّ أسراره ، ومرتكز أمره ، ومجرى علومه ، ومصبّ معارفه ، ليتعاهد الحرّة الطيبة أُمّه نرجس ، ويكون عليه السلام هو المجتبى في صدر ذلك الدست والمتربع على منصّه عزّه .

ولا شكّ أنّ أبا عبد اللّه هذا يقتبس من علومه ، ويستضيء بأنواره ، وحينئذٍ فدون مقامه إطراء العلماء له كقول النجاشي والعلّامة : «ثقة جليل» ، وكقول ابن داوود : «عين في الحديث ، صحيح الاعتماد»[٢] ، كتوثيقات الوجيزة ، والبلغة ، والمشتركات ، وحاوي الأقوال .

---

(١) رجال النجاشي : ٣٤٧ ، ولكن في كمال الدين وتمام النعمة للصدوق : ٤٥٩ ، ح٧ ، قال : «فماتت [يعني أم الامام الحجة] ـ في حياة أبي محمّد عليه السلام» .
(٢) رجال النجاشي : ٩٣٨/٣٤٧ ، وهذه عبارته وليست عبارة ابن داود ، وارجع إلى رجال الحلّي : ١٠٦/٣٦٠ ، ونقد الرجال ٤ : ٥٧٠/٤٩٢٦/٢٧٤ ، وغيرها .

وقال ابن عنبة في العمدة: «نزل البصرة، وروى الحديث عن علي بن موسى الكاظم عليه السلام وغيره بها وبغيرها، وكان متوجّهاً عالماً شاعراً»، وقال النجاشي: «له رواية عن أبي الحسن وأبي محمّد عليهما السلام، وإن له مكاتبة، وله مقاتل الطالبين»[١].

فحسب سيّدنا المترجم أبو يعلى من الشرف أن يكون معماً بمثله، وناهيه من الفضيلة أن يكون خريجاً لمدرسته.

ووالد أبي عبد اللّه هذا فهو علي بن حمزة بن الحسن، نصّ النجاشي والعلّامة الحلّي وفي الوجيزة والبلغة على ثقته.

وأبو حمزة الشبيه بجدّه أمير المؤمنين جليل القدر عظيم المنزلة، خرج توقيع المأمون بخطه: «يُعطى لحمزة ابن الحسن لشبهه بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب مائة ألف درهم»، قاله ابن عنبة في العمدة[٢].

وأبو حمزة هذا الحسن بن عبيد اللّه، فذكر النسّابة العمري في المجدي أنّه كان لأُمّ ولد، روى الحديث، وعاش سبعاً وستين سنة[٣].

ووافقه على عمره أبو نصر البخاري في سرّ السلسلة، وذكر أنّ العدد والثروة في ولده، وأنّ أُمّه وأُمّ شقيقه عبد اللّه بنت عبد اللّه بن معبد بن العبّاس بن عبد المطلب[٤].

قلت: والظاهر أنّ في النسخة غلط نسياني، فإنّ أبا نصر نفسه ذكر أنّ التي كانت تحت عبيد اللّه بن العبّاس عليه السلام هي أُمّ أبيها بنت

---

(١) معجم رجال الحديث للخوئي ١٧: ٣٥١، ١١٣٢١ ت.
(٢) عمدة الطالب لابن عنبة: ٣٥٨.
(٣) المجدي في أنساب الطالبين: ٢٣١.
(٤) سرّ السلسلة العلوية للبخاري: ٩٠.

معبد بن العبّاس لا ابنة ابنه .

وعبيد اللّه بن العبّاس أبو الحسن ذكر الشيخ العلّامة علي بن يوسف ابن المطهّر أخو آية اللّه العلّامة الحلي في العدد القوية ، عن الزبير بن بكار : أنّه من العلماء .

وقال أبو نصر البخارى : «تزوج أربع عقائل كرام : رقية بنت الإمام الحسن السبط ، وأُم علي بنت السجاد لم تلد منه ، وأُم أبيها بنت معبد بن العبّاس بن عبد المطلب ، وابنة المسوّر بن مخزوم الزبيري»(١) .

وأما سيّدنا أبو الفضل العبّاس قمر بني هاشم الذي هو بمنقطع الفضل ، ومنتهى الشرف ، وغاية الجلّالة ، وقصارى السؤدد ، فالبيان يتقاعس أنّه جاء ممدوحاً بلسان أئمة الدّين كابن أخيه الإمام السجاد ، ثُمّ الإمام الصادق .

ولسيّدنا المترجم أبي يعلى في أرض الجزيرة بين الفرات ودجلة من جنوب الحلّة السيفية مشهد معروف في قرية تعرف باسمه (قرية الحمزة) ، بالقرب من قرية «المزيدية» يقصد بالزيارة ، وتُساق إليه النذور ، ويتبرّك به ، وتُعزى إليه الكرامات ، تتناقلها الألسن ، ويتسالم عليها المشاهدون ، وتخبت بها النفوس ، وكان في ذي قبل يعرف بمشهد (حمزة بن الإمام موسى الكاظم) .

وبما أنّ الثابت في التاريخ والرجال أنّ قبر حمزة المذكور في الري ، إلى جنب مشهد السيّد الأجل عبد العظيم الحسني سلام اللّه عليهما .

كان سيّد العلماء والفقهاء المجاهدين سيّدنا المهدي القزويني

---

(١) سرّ السلسلة العلوية للبخاري : ٩٠ .

بعد أن هبط الحلّة الفيحاء، وأقام فيها دعامة الدّين، وشيّد أركان المذهب، يمرّ بهذا المشهد حين وفوده إلى بني زبيد للإرشاد والهداية، ولا يزوره، ولذلك قلّت رغبة الناس في زمانه، فصادف أن مرّ به مرّة، فطلب منه أهل القرية زيارة المرقد المطهّر، فاعتذر بما قدّمناه، وقال: «لا أزور من لا أعرفه.

فبات ليلة وغادر القرية من غدا إلى المزيدية وبات بها، حتّى إذا قام للتهجّد في آخر الليل وفرغ من عمله طفق يراقب طلوع الفجر، إذ دخل عليه رجل في زي علوي شريف من سادة تلك القرية، يعرفه المهدي بالصلاح والتقوى، فسلّم وجلس وقال له: استضعفت أهل الحمزة، وما زرت مشهده؟

قال: نعم.

قال: ولم ذلك؟

فأجابه بما قدّمناه من جوابه لأهل القرية.

فقال العلوي المذكور «ربَّ مشهور لا أصل له» وليس هذا قبر حمزة بن موسى الكاظم كما اشتهر، وإنّما هو قبر أبي يعلى حمزة ابن القاسم العلوي العباسي، أحد علماء الإجازة وأهل الحديث، وقد ذكره أهل الرجال في كتبهم وأثنوا عليه بالعلم والورع.

فحسب سيّدنا الحجّة المهدي أنّه أخذ هذا من أحد العلماء؛ لأنه كان من عوام السادة، وأين هو من الاطّلاع على الرجال والحديث؟! فاغفل عنه ونهض لفحص الفجر، وخرج العلوي من عنده.

ثمّ أدى السيّد الفريضة وجلس للتعقيب حتّى مطلع الشمس، وراجع كتب الرجال التي كانت معه، فوجد الأمر كما وصفه الشريف العلوي الداخل عليه قبيل الفجر، ثُمّ ازدلف أهل القرية إليه مسلّمين

عليه ، وفيهم العلوي المشار إليه ، فسأله عن دخوله عليه قبيل الفجر وإخباره إيّاه عن المشهد وصاحبه عمّن أخذه؟ ومن أين له ذلك؟ فحلف العلوي باللّه أنّه لم يأته قبل الفجر ، وأنّه كان بائتاً خارج القرية في مكان سمّاه ، وأنّه سمع بقدوم السيّد فأتاه زائراً في وقته هذا ، وأنّه لم يره قبل ساعته تلك .

فنهض السيّد المهدي من فوره وركب لزيارة المشهد وقال : الآن وجب علي زيارته ـ وإنّي لا أشكّ أنّ الداخل عليه الإمام هو الحجّة ـ وركب الطريق معه أهل المزيدية(١) .

ومن يومئذٍ اشتهر المرقد الشريف بالاعتبار والثبوت ، وازدلفت الشيعة إلى زيارته والتبرك والاستشفاع إلى اللّه تعالى به .

وبعد ذلك نص سيّدنا المهدي عليه في فلك النجاة ، وتبعه على ذلك من بعده العلّامة النوري في تحية الزائر ، والعلّامة المامقاني في تنقيح المقال ، وشيخنا المحدّث القمّي في الكنى والألقاب(٢) .

أخذنا هذا النبأ العظيم من جنة المأوى للعلّامة النوري .

هذا ما كتبه شيخنا العلّامة ميرزا محمّد علي الأُوردبادي أيده اللّه .

---

(١) الكنى والألقاب ١ : ١٨٦ .

(٢) شجرة طوبى للحائري : ١٧٣ .

عمارة المشهد

تمهيد:

لا شكّ في رجحان عمارة قبور الأولياء المقرّبين، لا سيما من حظي منهم بشرف المنبت النبويّ الطاهر الذي هو معدود من أكبر الفضائل ؛ لأنّه لا يزال بمجرّده متواصل العرى ، يحدو بصاحبه إلى أوج العظمة ، وكُلّ سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلّا نسبه وسببه ﷺ ، فهو مشرف من تحلّى به في الدنيا والآخرة ، فكيف به إذا كان مشفوعاً بعلم وتقى ومآثر ومفاخر؟!

١ ـ لأنّه من تعظيم شعائر اللّه : ﴿**وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ**﴾[1] ، ومن موارد حرماته المعيّنة بقوله تعالى : ﴿**وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ**﴾[2] .

وإذا كانت البُدن من الشعائر له سبحانه : ﴿**وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ**﴾[3] ، وليست البُدن إلّا بهيمة تُنحر في مرضات اللّه سبحانه وفي سبيل طاعته والشعار فيها نحرها .

فلماذا لا يكون عمل الولي المقرّب الشهيد الصديق المنحور

---

(١) الحج : ٣٢ .

(٢) الحج : ٣٠ .

(٣) الحج : ٣٦ .

على الدعوة الإلهية ، والمراق دمه الطاهر على مجزرة الشهادة ، من مستوى القدس ، من جملة الشعائر والحرمات التي يجب تعظيمها ، بتعاهد مرقده الأطهر ، وقصده بالزيارة ، والعبادة فيه ، وعمارته عند الانهدام ، ليأوى إليه الزائر ، ويتفيّأ بظلّه المتعبّد ، كما أنّ الأمر بطواف البيت يستدعي عمارته كُلّما أوشك أن يتضعضع بنيانه ؟!

٢ ـ على أنّ رجالات بيت النبوّة هم : **﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾**[1] ، والمراد من البيت : ما كان مسقوفاً ، ولذلك أطلقه في الكتاب المجيد على الكعبة المعظمة حيث يقول : **﴿الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾**[2] ، لكونها مسقوفة ؛ ولم يُرد من البيوت مطلق المساجد أو المساجد الأربعة وهي : المسجّد الحرام ، ومسجد النبيّ ، ومسجد الكوفة ، والبصرة ؛ فالمساجد كُلّما ذكر في القرآن أُطلق عليها المسجّد دون البيت ، مثل قوله تعالى :

﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى﴾[3] .

﴿عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾[4] .

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً﴾[5] .

﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً﴾[6] .

---

(١) النور : ٣٦ .
(٢) المائدة : ٩٧ .
(٣) التوبة : ١٠٨ .
(٤) الأعراف : ٢٩ .
(٥) التوبة : ١٠٧ .
(٦) الكهف : ٢١ .

﴿شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾(١) .

﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾(٢) .

والمساجد بمقتضى تشريعها مكشوفة ، والسقف الموجودة فيها حادثة ، لقصد أن يأوي إليها الوفود من المرامي السحيقة الذين لا مأوى لهم ، لتكنّهم من قائض الحرّ وقارص البرد ، فلا يناسب إطلاق البيت عليها ؛ لأنّه عبارة عن المحلّ المسقوف ، ولا يطلق على غير المسقوف ، ولذلك تجد إطلاق بيوت الأعراب على أخبيتهم دون الصحاري التي يسكنونها ، ومن ذلك أطلق البيت على الكعبة لكونها مسقوفة .

وكما لا يراد من تلك البيوت ـ التي يجب أن ترفع ويذكر فيها اسمه ـ المساجد ، لا يراد منها خصوص الكعبة المشرّفة ؛ لأنّ لفظ البيوت في الآية جمع ، وحينئذٍ فمن المتعيّن أن يراد منها بيوتات تكون مستوىً لذكر اللّه والدعوة إلية ، إمّا بألسنة ساكنيها أو بأعمالهم وجهادهم ، فتكون تلك البيوت منبثق أنوار اللّه .

وإذا فتشنا بيوت العالم فلا نجد ما هو أولىٰ بصدق هذه البيوت عليهم ، إلّا بيوت رسول اللّه ﷺ ، الذين أنفذوا طاقاتهم في رفع كَلمة اللّه العليا ، وتوحيده ، والذكير بوعده ووعيده ، فكانت مقصورة علىٰ ذلك دعوتهم ، منحصراً به هتافهم ، حتّىٰ أثبتوه علىٰ جبهة الدهر ، وكتبوا بدمائهم الزاكية علىٰ صحيفة الزمان ، مع ما لهم من الدؤوب علىٰ العبادة والتلاوة في آناء الليل وأطراف النهار ، وأُناس بهم أُسوة حسنة.

---

(١) البقرة : ١٤٤ .

(٢) البقرة : ١٩١ .

وليس من الرأي السديد قصرها علىٰ بيوتهم التي يسكنونها أيام حياتهم ، بل تعمّها ومشاهدهم المقدّسة ، فإنّهم ﴿ **أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ** ﴾[١]، وإذا ثبت في الشهداء ـ وهم دونهم بمراتب ـ أنّهم أحياء ، فإنّ أهل البيت أولىٰ بذلك ؛ لأنّهم الدعاة إلىٰ سبيل ربّهم بالحكمة والموعظة الحسنة ، أحياءً وأمواتاً ، وشهداءً في سبيل تلك الدعوة المقدّسة ، وشهداء علىٰ أعمال الأُمة المرحومة .

وعليه فلا يخلو إمّا أن يراد من الرفع في الآية خصوص العمارة ، وتشيدها ، كما هو الظاهر على حدّ قوله تعالى : ﴿ **وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ** ﴾[٢] ، أو يراد مطلق التعظيم ، وممّا لا شكّ فيه أنّ من أظهر مصاديقه عمارتها وتجديدها عند أولها إلى الخراب ، لتتمّ بقيّة أقسام التعظيم من تفيء المتعبدين، وانتجاع المزدلفين إليها ، واختلاف الزوّار اليها ، وذكر اللّه سبحانه ، والصلاة والترحّم على أولياء اللّه المتبوّئين هاتيك المشاهد المطهّرة ، وتكون تلك القباب والأبنية الشاهقة كنار تدل الوافدين على ما هناك من ضالتهم المنشودة .

٣ ـ ثُمّ إنّ في الكتاب العزيز شيء آخر دلّنا على مشروعية البناء على مراقد الصالحين واتخاذ خصوص المساجد عليها ، وهو قوله جلّ شأنه : ﴿ **قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا** ﴾[٣] ، وذلك أنّ المؤمنين مع ملكهم بيدروس وكان موحّداً ،

---

(١) آل عمران : ١٦٩ .

(٢) البقرة : ١٢٧ .

(٣) الكهف : ٢١ .

لما وصلوا إلى أصحاب الكهف واطلعوا على موتهم في مكانهم ، أمر الملك أن يتركوا في مكانهم ، ويبنى على باب الكهف مسجد يتعبّد فيه الناس ويتبرّكون بمكانهم[١] .

وهذا منه سبحانه وإن كان إخباراً عن عمل أُمّة سابقة على الإسلام ، لكنّه مقرون بالتقرير من اللّه عزّ ذكره ، وعدم الإنكار عليهم ، وكُلّما كان الحكم غير منكر من الإسلام فهو مستصحب البقاء ، والنسخ وإن وقع في الشريعة لكنّه لمجموع هاتيك الشرائع لا لجميعها ، فهو كالعشرة الإبراهيمية[٢] التي لم تنسخ ولا تنسخ أبداً كغيرها من الأحكام المستصحبة .

وإذا أجازت الشريعة الإلهية بناء المسجد على أولئك الصالحين من فتية الكهف للعبادة والتبرّك بهم ، فالحكم شرع سواء فيهم وفي من هو أفضل منهم ، الّا وهم الحجج المعصومون والأولياء المقرّبون من هذه الأمة المرحومة .

وعلى هذا النهج اللاحب جاءت سنّة الرسول الأعظم فإنّه صلّى اللّه عليه وآله لما دفن عثمان بن مظعون أمر بحجر فوضع عند رأسه ، معلّلاً بأنّه يُعلم منه قبر أخيه ليدفن إليه من مات من أهل

---

(١) تفسير البغوي ٣ : ١٥٢ ، الكشاف عن حقائق التنزيل ٢ : ٤٧٨ ، تفسير النسفي ٣ : ٩ ، التسهيل لعلوم التنزيل للكلبي ٢ : ١٨٥ ، تفسير أبي السعود ٥ : ٢١٥ ، تفسير الآلوسي ١٥ : ٢٣٤ ، الكامل في التاريخ ١ : ٣٥٩ ، قصص الأنبياء للراوندي : ٢٦١ ، قصص الانبياء للجزائري : ٥٢ .

(٢) خمسة من هذه العشرة في الرأس وهي : أخذ الشارب ، واعفاء اللحى ، وطمّ الشعر ، والسواك ، والخلال وخمسة في البدن : الختان ، وتقليم الأظفار ، والغسل من الجنابة ، والطهور بالماء ، وحلق الشعر من البدن ، تفسير القمّي ١ : ٥٩ ، التفسير الصافي للفيض الكاشاني ١ : ١٨٦ ، مجمع البحرين للطريحي ١ : ٢٤٧ .

بيته ، وهذا الحجر أخذه مروان بن الحكم ووضعه على قبر عثمان بن عفان ، فكلّمته بنو أُمية وقالوا : كيف تأخذ حجراً وضعه رسول اللّه ؟ فلم يعبا بهم[١] .

وإذا كان وضع الحجر للتعريف بالقبر ، فلا ريب أنّ البناء على القبر أوفى بهذه العلّة من وضع الحجر ، فيكون راجحاً بالأولوية .

على أنّ اهتمام النبيّ صلى الله عليه وآله بتعريف قبر عثمان دون غيره من المسلمين يدلّنا على امتياز بعضهم عن بعض بالفضل والعلم والورع والمعرفة ، وحينئذٍ يكون البناء على قبور الأنبياء والأوصياء والأولياء والأمثل فالأمثل امتيازاً عن غيرهم ، وإعلاماً لهم لما من شأن ورفعة أولى وأرجح .

وكانت فاطمة الزهراء عليها السلام تزور قبر حمزة وترمّه وتُصلحه وقد علّمته بحجر[٢] ، فدلّ على أنّ إصلاح القبر وتعاهده كي لا تندرس آثاره معروف في زمن الشارع المقدّس ، وإلّا لما فعلت ذلك سيّدة نساء العالمين ، والوحي ينزل في بيتها .

وإصلاح القبر يختلف باختلاف الأوقات والأزمنة ، فقد تقتضي الحالة والوقت إصلاح القبر بجمع ترابه ووضع الحجر عليه ، وقد تقتضي بناء قبّة عليه أو وضع جدار حوله .

ومن أجل ذلك دفنوا النبيّ صلى الله عليه وآله في حجرة عائشة ، وكانت مسقّفة بجريد النخل ، وأوّل من بناها باللبن عمر بن الخطّاب[٣] .

---

(١) وفاء الوفاء للسمهودي ٢ : ٨٥ ، وبعضها في نيل الأوطار للشوكاني ٤ : ١٣٢ ، بحار الأنوار ٤٨ : ٢٩٧ ، السنن الكبرى للبيهقي ٣ : ٤١٢ ، السيرة الحلبية ٢ : ٢٩٠ .

(٢) السيدة فاطمة الزهراء للبيومي : ١٣٤ .

(٣) وفاء الوفاء للسمهودي ١ : ٣٨٣ ، الشامي السيرة النبوية لابن كثير ٤ :

ثُمّ إنّ عبد اللّه بن الزبير شيّد جدران قبر النبيّ وجعلها مرتفعة ، وفي سنة ١٩٣هـ أمر الرشيد وإليه على المدينة أبا البختري أن يبني سقف الحجرة ، ثُمّ المتوكّل أمر واليه على الحرمين إسحاق بن سلمة أن يشيّد حجرة النبيّ بحجارة الرخام ففعل ذلك سنة ٢٤٢هـ .

وفي الأوراق البغدادية للسيّد إبراهيم الراوي أن المسلمين لمّا فتحوا بلاد الشام وبيت المقدس ورأوا على قبور الأنبياء المباني لم يهدموها ، ومن أشهرها البناء الذي على قبر إبراهيم الخليل عليه السلام ، وقد رأى ذلك عمر بن الخطّاب فلم يهدمه ولم يأمر بهدمه .

وغير خفيّ أنّ تقرير الصحابة ـ وفيهم الخلفاء ـ ذلك العمل دليل قويّ على تعارف البناء على القبور وجوازه لديهم .

وحدّث محمّد بن الحنفية المتوفى سنة ٨١ أنّ رسول اللّه دفن فاطمة بنت أسد في موضع المسجد الذي يقال له اليوم : (قبر فاطمة) ، وفيه دلالة كما عند السمهودي على أنّ قبرها كان عليه مسجد يُعرف به ذلك الزمان[١] ، وهو في المائة الأُولى من الهجرة ، كما كان على قبر حمزة بن عبد المطلب مسجداً يومئذ[٢] .

وكما بني على قبر العبّاس بن عبد المطلب قبّة دفن فيها الحسن والسجاد عليهما السلام[٣] ، والباقر[٤] ، والصادق[٥] ، ففي المائة الأُولى والثانية كانت القبة على قبر العبّاس موجودة .

= ٥٤١ ، سبل الهدىٰ والرشاد للصالحي .
(١) تاريخ المدينة لابن شبة النميري ١ : ١٢٣ .
(٢) المصدر السابق ١ : ١٢٦ .
(٣) وفيات الأعيان ٣ : ٣٦٩ .
(٤) وفيات الأعيان ٤ : ١٧٤ ، الوافي بالوفيات ٤ : ٧٧ .
(٥) وفيات الأعيان ١ : ٣٢٧ .

وإن الخطيب البغدادي المولود سنة ٣٩٢هـ حكى في ترجمة الإمام الكاظم أنّه دفن في مقام الشونيزية (مقابر قريش) خارج القبة وقبره هناك مشهور يزار... إلى آخره.

فدلّ على أنّه كان يوم وفاة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام قبّة في مقابر قريش[١].

وعليه يكون وضع القباب على القبور متعارف بين المسلمين لم تنكره علماء تلك العصور مع تبصّرهم بأحاديث الرسول صلى الله عليه وآله.

ومن هنا لم يمتنع الخلفاء من وضع القباب على قبور أسلافهم، فهذا الرشيد بنى قبّة على قبر أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب[٢]، وبنى المأمون على قبر الرشيد قبّة[٣] مع أنّ عصره كان حافلاً بالعلماء كالشافعي وابن حنبل وسفيان بن عيينة وغيرهم، فلم ينكر عليه أحد.

ولمّا توفي المعزّ البويهي سنة ٣٥٦هـ دفن في داره، ثُمّ نقل إلى مشهد بُني له في مقابر قريش[٤]، وابن وكيع الشاعر المتوفّي ٣٩٣هـ دفن في المقبرة الكبرى في القبّة التي بنيت له بها[٥]، وأبو

---

(١) في تاريخ بغداد ١٣ : ٢٩، «فقدم هارون منصرفاً من عمرة شهر رمضان سنة تسع وتسعين.
فحمل موسىٰ معه الى بغداد، وحبسه بها إلى أن توفّي في محبسه».
نعم في الارشاد للمفيد ٢ : ٢٤٣ : «ثم حمل فدفن في مقابر قريش» وكذلك في غيره، ومقابر قريش معروفة أنها في بغداد».
(٢) عمدة الطالب : ٦٢.
(٣) بحار الأنوار ٤٨ : ٣٢٣.
(٤) وفيات الأعيان ١ : ١٧٤.
(٥) وفيات الأعيان ٢ : ١٠٦.

تمام المتوفّي سنة ٢٧١هـ بنى على قبره نهشل بن حميد الطوسي قبة[1].

فما قيل من أنّ هذه القباب حدثت منذ القرن الخامس ، فهي من البدع غير المعروفة في زمن الشارع المقدّس وما بعده من الأكاذيب الفاضحة.

فتحصّل من جميع ما ذكرناه أنّ البناء على القبور وعمارتها وتجديدها وتعاهدها أمر راجح وعليه الأمة الأُسلامية من دون نكير بينها ، ويتأكّد في قبور الأولياء المقرّبين، والشهداء الصدّيقين، والعلماء الصالحين، وذوي المآثر والفضائل ؛ لأنّ فيه تعريفاً بالميت وتنويهاً بمقامه ، ليزوره الزائر ، ويستريح إليه المتعبّد ، لكونه من الأمكنة المحبوبة للّه تعالى ، فيها الذكر والطاعة وتحصيل المصالح الدينية.

وبذلك اتفقت كلمة العلماء الذين هم أعرف الأُمة بموارد الأمر والنهي ، بل زادوا على البناء والعمارة تزيينها بالمعلّقات والفرش والستائر ، وكُلّ ما فيه احترامهم وتعظيمهم.

مدّعين على ذلك ـ بعد الإجماع والاتفاق ـ أنّه من الشعائر ، وعدم إنكار الأئمة في عهود كانوا ظاهرين فيها ، والأخبار الكثيرة الدالة على ميلهم ورضاهم به ، وقد أمرت بالوقوف على باب الروضة أو القبّة أو الناحية المقدَّسة ؛ والاستئذان وتقبيل القبّة والدعاء عند ترائي القبّة الشريفة وغيرها ، ممّا يتوقّف على وجود الباب والقبّة والعتبة ، المتوقّف كُلّه على البناء ، فلولا البناء أين تكون القبّة ؟ وأين

(١) وفيات الأعيان ٢ : ١٧.

الباب؟ وأين العتبة؟ وأين الاستئذان عندها؟

مع صراحة خبر أبي عامر ـ واعظ أهل الحجاز ـ عن الإمام الصادق عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وفيه: «إن اللّه سبحانه جعل قلوب نجباء من خلقه وصفوة من عباده تحنّ إليكم، وتحتمل الأذى والمذلّة، فيزورون قبوركم، ويكثرون زيارتهم، تقرّباً منهم إلى اللّه تعالى، ومودّة منهم لرسوله، أولئك المخصوصون بشفاعتي، الواردون حوضي، وهم زواري غداً في الجنّة.

يا علي، مَن عمّر قبوركم وتعاهدها فكأنّما أعان سليمان على بناء بيت المقدس ـ الى أن قال ـ: ولكن حثالة من الناس يعيّرون زواركم كما تعيّر الزانية بزناها، أُولئك شرار أُمتي، لا نالتهم شفاعتي»[1].

وحينئذٍ فلا ريب في تخصيص العمومات المانعة من تجصيص القبر وتجديده، بل ادّعى صاحب الجواهر أعلى اللّه مقامه: «أنّ البناء على قبور الأئمة والصلحاء من ضروري المذهب، بل الدين»[2].

على أنّ النهي عن التجصيص معارض بما هو أقوى منه سنداً ودلالة وأكثر عدداً، ومنه حديث صفوان: زار الصادق عليه السلام قبر جدّه أمير المؤمنين وذكر فضل زيارته واستئذانه منه إعلام الشيعة بهذا

---

(١) تهذيب الأحكام ٦: ٢٢، المزار للشيخ المفيد: ٢٢٨، وغيرها من المصادر باختلاف في بعض الالفاظ.

(٢) جواهر الكلام ٤: ٣٤١ وعبارته بعد الكلام عن القبور كالنالي: «وحاصل الكلام أن استحباب ذلك كاستحباب المقام عندها وزيارتها وتعاهدها كاديكون من ضرورات المذهب إن لم يكن الدين».

الفضل إلى أنّ قال : «وأعطاني دراهم فأصلحت القبر»[١] .

ويحدّث يونس بن يعقوب أنّ الإمام الكاظم عند رجوعه من بغداد ماتت ابنة له بـ(فيد) ، فدفنها وأمر بعض مواليه أن يجصّص قبرها ، ويكتب على لوح اسمها ويجعله في القبر[٢] .

وماتت أُمّ الإمام الحجّة صاحب الزمان عجّل اللّه فرجه في أيّام أبي محمّد الحسن العسكري ، فدفنت في الدار وكتب على لوح : «هذا قبر أُمّ محمّد عليه‌السلام» ووضع في القبر[٣] .

وليس هو من خصائص أولادهم ، وإنّما جرى الأمر على العادة المألوفة من التعريف بالميت والتنويه بذكره ، فيكون الفعل في غيرها من الأنبياء عليهم‌السلام والعلماء الصالحين أولى وأرجح وأأكد .

والمراد من البناء المكروه ـ كما نصّ عليه الأردبيلي وكاشف الغطاء[٤] ـ هو ما كان فوق القبر بحيث يصير القبر تحت الحائط ، فإنّه غير مناسب لحرمة الميت ، وأمّا البناء المتعارف المتداول بحيث يكون القبر تحت القبة فلا يشمله النهي ، كما لا يشمل عمارة القبة وتجصيصها وتزيينها ، ولا وضع الصناديق المزينة والأقمشة النفيسة على القبور والوقف لها .

وإليكَ أسماء مَن تعرض لهذا الحكم من علمائنا عند مسألة

---

(١) الغارات للثقفي ٢ : ٨٥٦ ، فرحة الغري لابن طاووس : ١٣٢ ، بحار الأنوار ٩٧ : ٢٨٠ .

(٢) الكافي ٣ : ٢٠٢ ، ح٣ ، التهذيب ١ : ٤٦١ ، ح١٤٦ ، الاستبصار ١ : ٢١٧ ، ح٢ ، وغيرها من المصادر .

(٣) كمال الدين للصدوق : ٤٣١ ، وفي الإكمال : ٤٥٩ أنّها ماتت في زمن الإمام الحسن العسكري عليه‌السلام وقد تقدّم ذكر ذلك في الهامش .

(٤) كشف الغطاء ١ : ٢٠٨ .

تجصيص القبور من أحكام الأموات وغيرها، مرتّبين على سَنة الوفاة:

السيّد عبد الكريم بن طاووس في الفرحة، المتوفّي سنة ٦٩٣هـ[١].

الشهيد الأوّل في الذكرى والدروس، المتوفّي سنة ٧٨٦هـ[٢].

المحقّق الكركي في جامع المقاصد، المتوفّي سنة ٩٣٣هـ[٣].

الشهيد الثاني في روض الجنان، المتوفّي سنة ٩٦٦هـ[٤].

الأردبيلي في شرح الإرشاد المتوفّي سنة ٩٩٣هـ[٥].

السبزواري في الذخيرة، المتوفّي سنة ١٠٩٠هـ[٦].

الحر العاملي في الوسائل، المتوفّي سنة ١١٠٤ هـ[٧].

المجلسي في مزار البحار ومرآة العقول، المتوفّي سنة ١١١٠هـ[٨].

السيّد جواد العاملي في مفتاح الكرامة، المتوفّي سنة ١٢٢٦هـ[٩].

---

(١) فرحة الغري: ٦٠

(٢) الذكرىٰ ٢: ٣٧، الدروس الشرعية ١: ٣١٨.

(٣) جامع المقاصد ١: ٤٤٩. علماً بأنّ وفاة المحقّق الكركي كانت سنة ٩٤٠هـ.

(٤) روض الجنان: ٣١٧.

(٥) مجمع الفائدة والبرهان ٢: ٤٩٩.

(٦) ذخيرة المعاد ١: القسم الثاني: ٣٤٣.

(٧) وسائل الشيعة ٣: ٢١١.

(٨) بحار الأنوار ٩٩: ٣٠٠.

(٩) مفتاح الكرامة ٤: ٤٨٠.

كاشف الغطاء في نهج الرشاد ص٧١، المتوفّي سنة ١٢٢٨هـ[١].

السيّد علي في الرياض، المتوفّي سنة ١٢٣١هـ[٢].

الميرزا القمّي في الغنائم، المتوفّي سنة ١٢٣١هـ[٣].

النراقي في المستند، المتوفّي سنة ١٢٤٤هـ[٤].

الكرباسي في منهاج الهداية، المتوفّي سنة ١٢٦٢هـ.

صاحب الجواهر فيها، المتوفّي سنة ١٢٦٦هـ[٥].

النوري في المستدرك، المتوفّي سنة ١٣٣٠هـ[٦].

---

(١) كشف الغطاء ١ : ١٥٧.

(٢) رياض المسائل ٢ : ٢٢١.

(٣) غنائم الأيام ٣ : ٥٣٥.

(٤) مستند الشيعة ٣ : ٣٧٣.

(٥) جواهر الكلام ٤ : ٣٣٢.

(٦) مستدرك الوسائل ٢ : ٣٧٩.

عمارة مرقد العبّاس

إذا تمهّد ما ذكرناه، فمشهد سيّدنا أبي الفضل عليه السلام من أظهر مصاديق تلك البيوت التي أذن اللّه أن تُرفع ويذكر فيها اسمه، كما أنّه في الرعيل الأوّل من أولئك الصدّيقين والشهداء الصالحين، وفي تشييد قبّته السامية إبقاء لما أوعزنا إليه من السرّفي إنحياز قبره عن مجتمع الشهداء.

وإذا أعلمنا الإمام الصادق عليه السلام في زيارته بما له من المقام الرفيع في ملأ القدس وعند مجتمع الأنبياء والرسل، وقد حاز بذلك إكباراً منهم وتبجيلاً حتّى غبطه على ما حباه اللّه جميع الشهداء والصدّيقين، لتفرّده بتلك المنعة والخطر؛ كان الاحتفاء بمشهده القدسي من العمارة والتعاهد من أوّليات فرائض عالم الشهود.

ثُمّ إنّه سبحانه قيّض لعمارة هذا المشهد الكريم أُناساً قدّر لهم الخير والسعادة، وأجرى على أيديهم المبرّات، ففازوا بالباقيات

الصالحات، وكانت لهم الذكرى الخالدة في الدارين، والسعادة في النشأتين، من ملوك، وأُمراء، وعلماء، ووجهاء، فتعاقب عليه العمران، وفي كُلّ يوم يزداد بهجة وبهاء حتّى تجلّى - كما هو اليوم - في أبهج المناظر بقبّته التي تحاك السماء رفعة، وان شئت النجوم بهجة، وذلك الحرم المنيع المضاهي للعرش عظمة، وأروقته المغشاة بالقوارير التي تفوق الأفلاك بذخاً، وذلك الصحن الذي هو ساحة القدس وباحة الجلال، والبهو الكبير الذهبي الذي دونه عرش الملك ومناط الأُبهة، فحاكى غرف الجنان وصروحها.

ويتحدّث المؤرّخون أنّ الشاه طهماسب في سنة ١٠٣٢ هجرية زيّن القبة السامية بالكاشاني، وبنى شبّاكاً على الصندوق، ونظّم الرواق والصحن، وبنى البهو أمام الباب الأوّل للحرم، وأرسل الفرش الثمينة من صنع إيران.

وفي سنة ١١٥٥ هـ أهدى نادر شاه إلى الحرم المطهّر تُحفاً كثيرة، وزيّن بعض تلك المباني بالقوارير.

وفي سنة ١١١٧ هـ زار الحسين وزيره الشهم، فجدّد صندوق القبر، وعمّر الرواق، وأهدى ثريا يوضع فيها الشمع لإنارة الحرم الشريف.

وبعد حادثة الوهابية بكربلاء سنة ١٢١٦ هـ، ونهب ما في الحرم من الأعلاق النفيسة والذخائر المثمنة، نهض الشاه فتح علي وجدّد ما نهب من الحسين وأخيه أبي الفضل، وعمّر قبّة العبّاس

بالكاشاني ، كما أنّه ذهّب قبّة سيّد الشهداء وصدر الأيوان الذي أمام الباب الأُولى للحرم من جهة القبلة ، وأنشأ صندوق ساج على قبر أبي الضيم أبي عبد اللّه عليه السلام ، وفضّض الشباك المطهّر .

وفي كتاب طاقة ريحان ص٩١ للعلّامة الحاج ميرزا عبد الكريم المقدّس الارومي : أنّ خال جدّته لأُمه الحاج شكر اللّه بن بدل بك الأفشاري ذهّب الإيوان الذي هو أمام حرم أبي الفضل ، وأنفق على ذلك كُلّ ماله ، وذلك بإيعاز زين الفقهاء والمجتهدين الشيخ زين العابدين المازندراني المتوفّي ١٢ ذي العقدة سنة ١٣٠٩هـ ، وكتب اسمه في الجانب الغربي من جدار الأيوان على صفائح الذهب بخطّ ذهبي موجود إلى الآن وتاريخ الكتابة سنّة ١٣٠٩هـ .

وفي الكتاب المذكور أن نصير الدولة ذهّب منارة أبي الفضل ، وكان الصائغ يغش في تطلية الطاقات الصفرية بالذهب ، فعرف منه ذلك ، وجيء به من بغداد إلى كربلاء ، فَلمّا دخل الصحن اضطرب وأسود وجهة سواداً شديداً ومات من الغد .

وحدّثني العلّامة الحجّة السيّد حسن مؤلّف كتاب (فدك) وغيره من المؤلّفات القيّمة : أنّ الإيوان الصغير الذهبي الذي هو أمام الباب الأُولى أنشأه ملك لكنهو محمّد شاه الهندي ، وأمّا الطارمة المسقفة بالخشب فبأمر السلطان عبد الحميد خان ، وجدّد بناء القبّة بالكاشاني محمّد صادق الأصفهاني الشيرازي الأصل ، وهو الذي اشترى الدور الملاصقة للصحن الشريف وزادها في الصحن وبناه بما هو المشاهد ، وكانت الزيادة من جهة القبلة أكثر من سائر الجهات

قدر إيوانين أو ثلاث ، ودفن في حجرة عند باب القبلة تعرف باسمه ، وبنى الصحن بالكاشاني ﷺ وجزاه لخدمته لأبي الفضل أفضل جزاء المحسنين.

وجدّد السيّد المبجّل سادن الروضة المقدسة السيّد مرتضى الباب الفضّي التي هي في الأيوان الذهبي أمام حضرة العبّاس عليه السلام سنّة ١٣٥٥ هـ ، وكتب على المصراعين قصيدة الخطيب الأُستاذ الشيخ محمّد علي اليعقوبي ، وتفضّل حفظه اللّه بها ، ولطروس الإنشاء الذي ذكرناه فيما تقدّم ، وهذه القصيدة :

لذ بأعتاب مرقد قد تمنّت
أن تكون النجوم من حصباه

وانتشق من ثرى أبي الفضل نشراً
ليس يحكي العبير نفح شذاه

غاب فيه من هاشم أيّ بدر
فيه ليل الضلال يمحي دجاه

هو يوم الطفوف ساقي العُطاشى
فاسق من فيض مقلتيك ثراه

وأطل عنده البكاء ففيه
قد أطال الحسين شجواً بكاه

لا يُضاهيه ذو الجناحين لمّا
قطعت في شبا الحسام يداه

هو باب الحسين ما خاب يوماً
وافد جاء لائذاً في حماه

قام دون الهدى يناضل عنه
وكفّاه ذاك المقام كفاه

فادياً سبط أحمد كأبيه
حيدر مذ فدى النبيّ أخاه

جدّد المرتضى له باب قدس
من لجين يغشى العيون سناه

إنّه باب حطة ليس يخشى
كلّ هول مستمسك في عراه

قف به داعياً وفيه توسّل
فبه المرء يستجاب دعاه

السدانة

السدانة : هي خدمة المعبد والقيام بشؤونه ولوازمه وتحرّي كلاءته عن أي عادية ، وقد اتّخذت العرب بيوتاً تعظّمها كتعظيم الكعبة وجعلوا لها حجاباً وسدنة ، وكانوا يهدون إليها كما يهدون إلى الكعبة ، ويطوفون كما يطوفون بالكعبة ، وينحرون بها مثلها . كلّ ذلك مع معرفتهم فضل البيت الحرام والكعبة المشرفة ؛ لأنّها بناء الخليل[1] .

فالبيت المعظّم الذي يتخذ معبداً ومأوى للوفود والزائرين ومحلاً للدعاء والابتهال لا بّد وان يجعل له حجبة وسدنة ، يرعون حرمته ، فنصب السادن من لوازم جلالة المحلّ ووجود المثمنات فيه ، فلن تجد محلّاً له شأن إلا ورأيت له خدمة .

وبمناسبة منعة المحلّ لا يقيّض له من سوقة الناس ومن لا كفاءة له بالقيام بالخدمة ؛ لأنّ فيه حطّاً من كرامته ، وتحطيماً لمكانته ، فمن حقّ المقام أن يكون السادن شريف قومه ، وكريم

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٢ : ٢٤٣ ، السيرة النبوية لابن هشام ١ : ٥٤ ، تفسير ابن كثير ٤ : ٢٧١ .

بيته ، لا يسبق بمجد ، ولا يلحق بشرف .

ومن هنا نشاهد السدانة في حرم أبي الفضل عليه السلام يتولّاها شريف بعد شريف ، حتّى انتهى الأمر إلى الهاشمي المبجّل السيّد مصطفى ، ومنه إلى خلفه الشهم الهمام السيّد مرتضى الذي لا تعدّ مآثره ، ولا آثاره وأياديه الجميلة ، ومساعيه المشكورة حول خدمة الحرم وعمارته وتنويره وتزيينه ، وكان كما يهواه السؤدد والخطر ، وتختاره طهارة العنصر ، ونزاهة الأعراق ، ويرتئيه المجد الهاشمي ، والمولد العلوي .

وقام نجله الزكي السيّد محمّد حسن بكُلّ ما يستطيعه من خدمة الحرم .

حامي الجوار

لقد عرف العلماء مكانة أبي الفضل عند اللّه سبحانه وتعالى وما حباه به وأعدّه له من جزيل الفضل، تقديراً لأعماله، وما قاساه من فوادح وآلام، فكان ملجأ الخائف، ولهف اللاجىء، وغوث الصريخ، وحمى المستجير، فلاذوا بجنابه عند الممّات، وجاوروا مرقده الأطهر، والتجأوا إلى كهفه المنيع، ليمنحهم الشفاعة، فيفوزوا بالخلد، ويتقلّبوا على أسرّة النعيم الدائم، وحاشا أبو الفضل أن يخفر الجوار ويتباعد عمّن عقل ناقته بفنائه.

ومن هؤلاء الأعلام ما في الذريعة إلى مصنفات الشيعة ج٣ ص١٩٩ : أنّ الحاج السيّد محمّد بن محسن الزنجاني توفّي بزنجان سنة ١٣٥٥ هـ وحُمل إلى جوار أبي الفضل العبّاس بوصيّة منه.

وفيه ص٣٢٣ : أنّ الشيخ علي بن زين العابدين البارجيتي اليزدي الحائري صاحب كتاب (إلزام الناصب في أحوال الحجّة الغائب) دفن في صحن العبّاس عليه السلام.

والعلّامة الشيخ علي اليزدي البقروئي، من أجلاء تلامذة الأردكاني، دفن في البهو أمام حضرة العبّاس.

والسيّد كاظم البهبهاني، من تلامذة المرحوم آية اللّه السيّد هاشم القزويني، دفن في الرواق.

والعلّامة السيّد عبد اللّه الكشميري ، من تلامذة الأردكاني ، دفن في الحجرة الرابعة من الشرق الجنوبي .

الشيخ ملّا عباس المعروف باليزدي المشهور بسيبويه ، وأخوه ملّا علي المعروف بالأخفش ، لهما مكانة عالية في التدريس ، دفنا في الحجرة المختصّة بهم الملاصقة للباب المعروفة بباب صاحب الزمان .

والشيخ كاظم الهرّ ، له فضل في العلم والأدب ، تلمّذ على الشيخ صادق ابن العلّامة الشيخ خلف عسكر ، دفن في الحجرة الأخيرة من الشرق الشمالي .

المديح والرثاء

من الواضح الذي لا يرتاب فيه أنّ نظم الشعر في أيّ رجل تعريف به وإحياء لذكره وإقامة لأمره ، فإنّ آثار الرجال مهما كبرت في النفوس وعظم أمرها قد يهمل ذكرها بمرور الزمن، وتباعد العهد ، فيغفل عن تلك المآثر ويتناسى مالها من أهميّة كبرى .

ولمّا كان القول المنظوم أسرع تأثيراً من الأصاخة ، لرغبة الطباع إليه ، فتسير به الركبان ، وتلوكه الأشداق ، وتتحفّظ به القلوب ، وتتلقّاه جيلاً بعد جيل ، وتأخذه أُمّة بعد أُمّة حتّى يرث اللّه الأرض ومن عليها ، فتلتفت إلى ذلك الفضل المتقادم ، وقد حفظ لنا الأدب العربي كثيراً من قضايا الأُمم وسيرها وحروبها في الجاهلية والإسلام .

وبما أنّ ذكرى أهل البيت قوام الدّين، وروح الأصلاح ، وبها تدرس تعاليمهم ، ويقتفي آثارهم ؛ طفق أدباء هذه الأمة يذكرون مالهم من فضل كثار ، وما جرى عليهم من المصائب ولاقوا في سبيل إحياء الدّين من كوارث ومحن؛ لأنّ في ذلك إحياء أمرهم ، ورحم اللّه من أحيىٰ أمرهم ودعا إلى ذكرهم ، وقد تواتر الحثّ من الأئمة المعصومين على نظم الشعر فيهم ، مدحاً ورثاءً ؛ بحيث عدّ من أفضل الطاعات .

ولم يعهد من الأئمة الطاهرين ـ مع تحفّظهم على التقية وإلزام شيعتهم بها ـ تثبيط الشعراء عن المكاشفة في حقّهم وإظهار باطل المناوئين، مع أنّ في الشعراء من لا يقرّ له قرار، ولا يأويه مكان، فرقاً من أعداء أهل البيت، لمحض مجاهرتهم بالولاء والدعوة إلى طريقة أبناء الرسول صلوات اللّه عليه، كالكميت ودعبل الخزاعي ونظرائهما.

بل كان الأئمة يؤكّدون ذلك بالتحبيذ وإدرار المال عليهم، وإجزال الهبات لهم، وذكر المثوبات، وليس ذلك إلّا لأنّ المكاشفة أدخل في توطيد أُسس الولاية، وعامل قويّ لنشر الخلافة الحقّة، حتّى لا يبقى سمع إلّا وقد طرقه الحقّ الصراح، ثُمّ تتلقّاه الأجيال الآتية، كُلّ ذلك حفظاً للدّين عن الاندراس، ولئلا تذهب تضحية آل اللّه في سبيله أدراج التمويهات.

ولولا نهضة أولئك الأفذاذ من رجالات الشيعة للذبّ عن قدس الشريعة بتعريض أنفسهم للقتل كحجر بن عدي، وعمرو بن الحمق، ورشيد، وميثم التمار، وأمثالهم، ومجاهرة الشعراء بما قدّم به الأطهار من أهل البيت النبويّ، لما عرفت الأجيال المتعاقبة صراح الحقّ.

وممّا ورد من الحثّ على نظم الشعر مدحاً ورثاءً قولهم عليهم السلام: «من قال فينا بيتاً من الشعر بنى اللّه له بيتاً في الجنّة»، وفي آخر: «حتّى يؤيّد بروح القدس»[1].

وفي ثالث: «ما قال فينا مؤمن شعراً يمدحنا إلّا بنى اللّه له في

---

(١) عيون أخبار الرضا للشيخ الصدوق ٢: ١٥، وسائل الشيعة ١: ٤٦٧، بحار الأنوار ٢٦: ٢٣١، وورد بلفظ: «ما قال فينا قائل بيتاً من الشعر حتّى يؤيّد بروح القدس».

الجنة مدينة أوسع من الدنيا سبع مرّات ، يزوره فيها كُلّ ملك مقرب ونبيّ مرسل »[١] .

وقال أبو جعفر الباقر للكميت لما أنشده :

من لقلب متيّم مستهام .

القصيدة : « لا تزال مؤيّداً بروح القدس ما دمت تقول فينا »[٢] .

وأذن الإمام الجواد عليه‌السلام لعبد اللّه بن الصلت أنّ يندبه ويندب أباه الرضا عليه‌السلام .

وكتب إليه أبو طالب أبياتاً يستأذنه فيها في رثاء أبيه الرضا ، فقطع أبو جعفر الأبيات وكتب إليه : « أحسنت وجزاك اللّه خيراً »[٣] .

وتقدّم في ص١٧٢ مدح الصادق لمن يرثي لهم ويمدحهم .

وحسب الشاعر أن يترتّب على عمله البار هاتيك المثوبات الجزيلة التي تشفّ عن أنّ ما يصفه بعين اللّه سبحانه حتّى يبوّأه الجليل عزّ شأنه من الخلد حيث يشاء ، وتزدان به غرف الجنان ، ولا بدع فإنّه بهتافه ذلك معدود من أهل الدعوة الإلهية ، المعلنين لكلمة الحقّ وتأييد الدّين ، فهو بقوله الحقّ يرفع دعامة الإصلاح ، وتشييد مبانية ، ويطأ نزعة الباطل بأخمص الهدى ، ويقم أشواكه المتكدّسة أمام سير المذهب ، ويلحب طريقه الواضح ، فحيّاهم اللّه من دعاة إلى مراضيه .

وبما أنّ أبا الفضل العبّاس من أُولئك الأطهار الذين بهم تمّت الدعوة الإلهية ، وعلت كلمة اللّه العليا ، بإزهاق نفوسهم المقدّسة

---

(١) عيون أخبار الرضا ٢ : ١٥ ، وسائل الشيعة ١٤ : ٥٩٧ .

(٢) وسائل الشيعة ١٤ : ٥٩٨ ، بحار الأنوار ٤٧ : ٣٢٤ .

(٣) وسائل الشيعة ١٤ : ٥٩٨ ، بحار الأنوار ٢٦ : ٢٣٢ .

حتّى قضوا كراماً طيّبين، مضافاً إلى ما حواه من صفات الجلال والجمال ممّا أوجب أن يغبطه الصديقون على ما منحه الباري سبحانه عوض شهادته؛ بادر من كهربه الولاء الخالص طلباً لذلك الأجر الجزيل بنظم مديحه ورثائه، وأوّل من رثاه أُمّه أُمّ البنين كما في مقاتل الطالبيين، فإنّها كانت تخرج إلى البقيع تندب أولادها أشجى ندبة وأحرقها، فيجتمع الناس لسماع ندبتها، وكان مروان يجيء لذلك فلا يزال يبكي[1]، فمن رثائها فيهم:

لا تـدعوني وَيْكَ أمّ البـنين
تـذكّروني بـليوث العـرين

كـانت بـنون لي أُدعـى بـهم
واليوم أصبحتُ ولا من بـنين

أربـعة مـثل نسـور الربـى
قد واصلوا الموتَ بقطع الوتين

تـنازع الخـرصان أشـلاءهم
فكـلّهم أمسـى صـريعاً طـعين

يـا ليت شـعري أكـما أخـبروا
بأنّ عـبّاساً قـطيع الوتـين

وقولها الآخر:

يـا مَـن رأى العـبّاس كـرّ
عـلى جـماهير النـقد

---

(١) مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصفهاني: ٥٦، وعنه بحار الأنوار ٤٥: ٤٠، والعوالم للبحراني: ٢٨١.

ووراه مـــن أبـــناء حـــيدر

كـــــلّ ليث ذي لبــــــد

نُـــبّئت أنّ ابـــني أُصـــيب

بـــرأســـه مـــقطوع يـــد

ويـــلي عـــلى شـــبلي أمـــال

بـــرأســـه ضـــرب العـــمد

لو كـــان ســـيفك فـــي يـــدِ

يكُ لمـــا دنـــا مـــنه أحـــد

ورثاه حفيده الفضل بن محمّد بن الفضل بن الحسن ابن عـبيد اللّه بن العبّاس بن أمير المؤمنين على ما في المجدي .

إنّـــي لأذكـــر للـــعبّاس مـــوقفه

بكـــربلاء وهـــام القـــوم يـــختطف

يحمي الحسين ويحميه على ظمأ

ولا يـــولّي ولا يـــثني فـــمختلف

ولا أرى مشـــهداً يـــوماً كـــمشهده

مع الحسين عليه الفضل والشرف

أكـــرم بـــه مشـــهداً بـــانت فـــضيلته

ومـــا أضـــاع له أفـــعاله خـــلف

وحكى الشيخ الجليل العلّامة ميرزا عبد الحسين الأميني فـي كتاب (الغدير) ج٣ ص٥ عن روض الجنان في نيل مشتهى الجنان ، المطبوع للمؤرّخ الهندي أشرف علي ، أنّ الفضل بن الحسن المذكور قال في جدّه العبّاس عليه السلام :

أحقّ الناس أن يبكى عليه

فتى أبكى الحسين بكربلاء

أخوه وابن والده عليّ

أبو الفضل المضرّج بالدماء

ومَن واساه لا يثنيه شيء

وجاد له على عطش بماء

وهذه الأبيات نسبها أبو الفرج في المقاتل إلى الشاعر، ونسبها السيّد الحجّة المتتبّع السيّد عبد اللّه شبّر رحمه الله في جلاء العيون إلى الحسين عليه السلام .

وقد رثى أبا الفضل العبّاس جماعةٌ كثيرة من الفضلاء الأدباء والعلماء البارعين، لو جُمعت لكانت مجلّداً ضخماً، ولعلّ فيض أبي الفضل يشملنا فنخرجها إلى القرّاء بالقريب العاجل، وفي هذا الكتاب نذكر ما يتحمّله منها.

ومن جيّد ما رثي به قصيدة الشاعر الشهير الحاجّ هاشم ابن حردان الكعبي الدروقي المتوفّى سنة ١٢٣١هـ، وهي مثبتة في ديوانه المطبوع في النجف، وفي كشكول الشيخ يوسف البحراني صاحب الحدائق في الفقه ج٢ ص٣٩٢، وفي الدرّ النضيد للعلّامة السيّد محسن الأمين ومطلعها:

هل أم طوق كذات الطوق في السلم

نحن شوقاً إلى أيامنا القدم

إلى أن يقول:

يــومُ أبــو الفــضل تــدعوا الظـاميات بـه
والمـــاء تـــحت شـــبا الهـندية الخــذم

والخـيل تـصطكّ والزعـف الدلاص عـلى
فـــرسانها قــد غــدت نــاراً عــلى عـلم

وأقـــبل اللـــيث لا يــلويه خــوف ردى
بـــادي البشـــاشة كـــالمدعوّ للـــنعم

يــبدو فــيغدر صــميم الجـمع مـنصدعاً
نـــصفين مـــا بـــين مـطروح ومــنهزم

ورثاه العلّامة الشيخ محسن آل الشيخ خضر المتوفّى حـوالي سنة ١٣٠٣هـ:

فـــللّه زيـــنب إذ تســـتغيث
أبا الفضل يا كهف عزّي المهابا

ويا ليث قومي إذا الخطب نـاب
وكشّــرت الحـرب سـناً ونـابا

أتـــتركني نـصب عـين العـدو
تـــنتهب القــوم رحـلي انـتهابا

وللّـــه مـــقولها إذ تـــقول
يـنشعب القـلب مـنه انشـعاباً

عـذرتك يـا ابـن أبـي فـالحميم
بكـفّيه يـحمي إذا الخـطب نـابا

فشـــلّت أكــفّ عــلوج بــرت
يــمينك إذ يسـلبوني النـقابا

وذاب عــــمود حــــديد رمــاك

وأخــطأ ســـهم حشــاك أصــابا

ورثاه شاعر أهل البيت في عصره السيّد حيدر الحلّي المتوفّى سنة ١٣٠٤هـ، وهي مثبتة في ديوانه مطلعها:

حلولك في محلّ الضـيم داما

وحدّ السيف يأبى أن نـضاما

ورثاه العلّامة السيّد جعفر الحلّي المتوفّى سنة ١٣١٥هـ، وقد أبدع فيها وهي مثبتة في ديوانه المطبوع في صيدا وفي منير الأحزان والدرّ النضيد مطلعها:

وجه الصباح عليَّ ليل مظلم

وربـيع أيّـامي عـليَّ مـحرّم

وفي ص٩٩ وص١٥٣ وص١٥٠ ذكرنا أبياتاً منها.

ورثاه الحاجّ محمّد رضا الأزري ومطلعها:

أومــا أتــاك حـديث وقـعة كـربلاء

إنّــي وقــد بـلغ الســماء قــتامها

طبعت في منير الأحزان للعلّامة الشيخ شريف الجواهري، وفي الدرّ النضيد.

ورثاه الإمام الحجّة الشيخ محمّد حسن كاشف الغطاء أدام اللّه ظلّه[١]:

أبـــا صـــالح إنّ العــزا لمــحرّم

ومنكم بنو الزهراء استحلّ به الدم

---

(١) نقلتها من كتاب سوانح الأفكار في منتخب الأشعار تأليف الفاضل المهذّب الخطيب السيّد محمّد جواد شبّر.

لكم بين أضلاعي مواقد لوعة
بذكر رزاياكم تشبّ وتضرم

تزاحم في فكري إذا رمت عدّها
رزاياكم الجلى فأبكى وأوجم

وما أنس من شيء فلا أنس وقعة
تهدّ لها السبع الطباق وتهدم

وقد جدّدت حزني ولم يك مخلقاً
غداة استهلت أدمعي والمحرم

أصاب بها من كربلا قلب أحمد
وقلب عليّ والبتولة أسهم

غداة بنوه الغرّ في نصر دينه
سرت ونهار العدل بالحور مظلم

بفتيان صدق في الحفيظة يممت
ركاب العلى في ظعنهم حيث يمموا

تطالع أقماراً بهم وأهلة
إذا أسفروا في موكب وتلثّموا

وإن صرت الهيجاء ناباً تراهم
أسوداً فأفياء الضبا تتأجّم

وإن فلّ حدّ السيف أمضاه عزمهم
بأمضى شبا منهم فلا يتكتّم

وتهوي المنايا للهوان كأنّما
المنايا لها دون الدنيّة مغنم

ميامين يوم السلم لكن يومهم
على من دنا بالشؤم منهم لأشأم
قد أدرعوا درعاً جديداً وأخّروا
من الصبر أقوى منه نسجاً وأحكم
وما راع جيش الكفر إلّا عصابة
حداها من الإيمان جيش عرمرم
حجازيّة نحو العراق ومنجد
ثناها باجواز الفيافي ومتّهم
بأجسامها في عرصة الطفّ عرّست
وأرواحها في عالم القدس عوم
تضاحك بشراً بالمنون كأنّما
الحياة عذاب والمنون تنعم
وترقص شوقاً للّقاء قلوبها
إذا أخذت في ذكرها تترنّم
وإن بزغ النور الإلهي بينها
ترى البدر حفّت فيه بالسعد أنجم
لقد ثبتوا للذبّ عنه بموقف
يشيب به طفل القضاء ويهرم
وتذهل أملاك السماء لوقعه
ويذبل منه يذبل ويلملم
ولمّا قضوا في حلبة المجد حقّها
وحقّ لها نحو الجنان التقدّم

تهاووا فقل زهر النجوم وتـهافتت

وأهووا فـقل شـمّ الرواسـي تـهدّم

بحرب على أعوان حرب قد انكـفى

صواعق مـن قـرع الأسـنّة تـضرم

تـــعثر فـيه بـالجماجم خـيلهم

وأجسامهم للطير والوحش مـطعم

وتـعبس مـن خـوف وجـوه أمـيّة

إذا كـرّ (عـباس) الوغـى يـتبسّم

أبو الفضل تأبى غيره الفضل والإبا

أباً فـهو أمـا عـنه أو فـيه يـرسم

عـليم بـتأويل المـنيّة سـيفه

نـزول عـلى مـن بـالكريهة مـعلم

ويمضي إلى الهيجاء مستقبل العدى

بـماضي بـه أمـر المـنيّة مـبرم

وإن عاد ليل الحرب بـالنقع أليـلاً

فـيوم عـداه مـنه بـالشرّ أيـوم

وإن سمع الأطـفال تـصرخ للـظما

تـصارخ مـنه الجـحفل المـتضمّم

وصال عليهم صولة الليث مغضباً

يحمحم من طول الطـوى ويـدمدم

وراح لورد المستقى حـامل السـقا

وأصـدر عـنه وهـو بـالماء مـفهم

ومـذ خـاض نـهر العـلقمي تـذكّر
الحسين فولّى عنه والريـق عـلقم

وأضحى ابن ساقي الحوض سقا ابن
أحمد ويعطاشاً للمصطفى الطهر ظلموا

ولمّـا أبـى مـنك الإبـاء تأخّـراً
وأنّ أبـا الفـضل الذي يـتقدّم

بـهم حسـمت يـمناك ظـلما ولم
أخل يمين القضا في صارم الشرك تحسم

وإنّ عـمود الفـضل يـخسف هـامه
عـمود حـديد للـضلالة يـدعم

وحـين هـوى أهـوى إليـه شـقيقه
يشـقّ صـفوف المـخلدي ويـحطّم

فألفـاه مـقطوع اليـدين مـعفّراً
يـفور مـن مـخسوف هـامته الدم

فقال: أخي قد كنت كـبش كـتيبتي
وجـنّة بأس حـين أدهـى وأدهـم

فمن نـاقع حـرّ القـلوب مـن الظـما
ومن دافع شرّ العـدى يـوم تـهجم

ومن يكشف البلوى ومن يحمل اللوا
ومـن يـدفع اللأوي ومـن يـتقحّم

رحلت وقد خـلّفتني يـا بـن والدي
أغاض بأيـدي الظـالمين وأهـضم

أحاطت بي الأعداء من كلّ جانب
ولا ناصر إلّا سنان ولهذم

فما زال ينعاه ويندب عنده
إلى أن أفاض البقعة الدمع والدم

وأقبل محنيّ الضلوع إلى النسا
يكفكف عنها الدمع والدمع يسجم

ولاحت عليه للرزايا دلائل
تبين لها لكنّه يتكتّم

وأقدم فرداً للكريهة ليثها
وسبعون ألفاً عنه في الكرّ أحجموا

فتحسب عزرائيل صاح بسيفه
عليهم ففرّوا من يديه وأُهزموا

وقل غضب الجبّار دمدم صاعقاً
بمنحوس ذياك الوجود وأُعدموا

ولمّا أعاد البرّ بحراً جواده
السفين به لكنّما الموج عندم

نمت عزمه البقيا عليه فما انثنوا
ورقّ على من لا يرقّ ويرحم

وقام لسان اللّه يخطب واعظاً
فصمّوا لمّا عن قدس أنواره عموا

وقال انسبوني من أنا اليوم وانظروا
حلالاً لكم منّي دمي أم محرّم

فـمـا وجـدوا إلّا الـسـهام بـنحره
تــراش جــواباً والعـوالي تـقوم

ومذ أيقن السبط انمحى دين جدّه
ولم يبق بين الناس في الأرض مسلم

فدى نفسه في نصرة الدين خائضاً
عن المسلمين الغـامرات ليسـلموا

وقال خذيني يا حـتوف وهـاك يـا
سيوف فأوصالي لك اليـوم مـغنم

وهيهات أن أغدوا على الضيم حائماً
ولولي عــلى جـمر الأسـنّة مـجثم

وكرّ وقد ضاق الفضا وجرى القضا
وسال بوادي الكـفر سـيل عـرمرم

ومــذ خـرّ بـالتعظيم للّـه سـاجداً
له كبّروا بـين السـيوف وعـظّموا

وجــاء إليـه الشـمر يـرفع رأسـه
فـقام بــه عــنه السـنان المـقوم

وزعزع عرش اللّـه وانـحط نـوره
فأشرق وجه الأرض والكون مظلم

ومذمال قطب الكـون مـال وأوشك
انــقلاباً يــميل الكـائنات ويـعدم

وحين ثوى في الأرض قرّ قـرارهـا
وعادتومن أوج السما وهي أعظم

فـلهفي له فـرداً عـليه تـزاحـمت
جموع العـدى تـزداد جـهلاً فـيحلم

لهـفي له ضـام يـجود وحـوله
الفـرات جـرى طـام وعـنه يـحرم

ولهـفي له مـلقى ولـلخيل حـافر
يجول على تـلك الضـلوع ويـنسم

ولهفي على أعضاك يـا بـن مـحمّد
تـوزّع فـي أسـيافهم وتسـهم

فجسمك مـا بـين السـيوف مـوزّع
ورحـلك مـا بـين الأعـادي مـقسّم

فلهفي على ريحانة الطُـهر جسـمه
لكـلّ رجـيم بـالحجارة يـرجـم

وللعلّامة الشيخ محمّد حسين الإصفهاني ﷺ المتوفّى سنة ١٣٦١ هـ ذي الحجّة :

أبـو الإبـاء وابـن بـجدة اللـقا
رقـى مـن العـلياء خـير مـرتقى

ذاك أبـو الفـضل أخـو المـعالي
سـلالة الجـلال والجـمال

شـبل عـلي ليث غـابة القـدم
ومـن يشـابه أبـه فـما ظـلم

صـنو الكـريمين سليلي الهـدى
عـلماً وحـلماً شـرفاً وسـؤددا

وهو الزكي في مدارج الكرم
هو الشهيد في معارج الهمم

وارث من حاز مواريث الرسل
أبو العقول والنفوس والمثل

وكيف لا وذاته القدسيّة
مجموعة الفضائل النفسيّة

عليه أفلاك المعالي دائرة
فإنّه قطب محيط الدائرة

له من العلياء والمآثر
ما جلّ أن يخطر في الخواطر

وكيف وهو في علوّ المنزلة
كالروح من نقطة باء البسملة

وهو قوام مصحف الشهادة
تمّت به دائرة السعادة

وهو لكلّ شدّة ملمّة
فإنّه عنقاء قاف الهمّة

وهو حليف الحقّ والحقيقة
والفرد في الخلقة والخليقة

وقد تجلّى بالجمال الباهر
حتّى بدا سرّ الوجود الزاهر

غُرّته الغرّاء في الظهور
تكاد أن تغلب نور الطور

رقى سماء المجد والفخار
بالحقّ يدعى قمر الأقمار

بل في سماء عالم الأسماء
كالقمر البازغ في السماء

بل عالم التكوين من شعاعه
جلّ جلال اللّه في إبداعه

سرّ أبيه وهو سرّ الباري
مليك عرش عالم الأسرار

أبوه عين اللّه وهو نورها
به الهداية استتناء طورها

فإنّه إنسان عين المعرفة
مرآتها لكلّ اسم وصفة

ليس يد اللّه سوى أبيه
وقدرة اللّه تجلّت فيه

فهو يد اللّه وهذا ساعده
تغنيك عن إثباته مشاهده

فلا سوى أبيه للّه يد
ولا سواه لأبيه عضد

له اليد البيضاء في الكفاح
وكيف وهو مالك الأرواح

يمثّل الكرّار في كرّاته
بل في المعاني الغرّ من صفاته

صولته عند النزال صولته
لولا الغلوّ قلت جلّت قدرته

هو المحيط في تجوّلاته
ونقطة المركز في ثباته

سطوته لولا القضاء الجاري
تقضي على العالم بالبوار

وواسم المنون حدّ مفرده
والفرق بين الجمع من ضرب يده

بارقة صاعقة العذاب
بارقة تذهب باللباب

بارقة تحصد في الرؤوس
تزهق بالأرواح والنفوس

واسى أخاه حين لا مواسي
في موقف يزلزل الرواسي

بعزمة تكاد تسبق القضا
وسطوة تملأبالرعب الفضا

دافع عن سبط نبيّ الرحمة
بهمّة ما فوقها من همّة

بهمّة من فوق هامة الفلك
ولا ينالها نبيّ أو ملك

واستعرض الصفوف واستطالا
على العدا ونكّس الأبطالا

لفّ جـيوشَ البـغي والفسـاد
بـنشر روح العـدل والرشـاد

كـرّ عـليهم كـرّة الكـرّار
أوردهـم بـالسيف ورد النـار

آثـر بـالماء أخـاه الضـامي
حـتّى غـدا مـعترض السـهام

ولا يـهمّه السـهام حـاشا
مـن هـمّه سـقاية العـطاشى

فـجاد بـاليمين والشـمال
لنـصرة الديـن وحـفظ الآل

قـام بـحمل رايـة التـوحيد
حـتّى هـوى مـن عـمد الحـديد

والديـن لمّـا قـطعت يـداه
تـقطّعت مـن بـعده عـراه

وانـطمست مـن بـعده أعـلامه
مـذ فـقدت عـميدها قـوامـه

وانـصدعت مـهجة سيّد البشـر
لقـتله وظـهر سـبطه انكسـر

وبـان الإنكسـار فـي جـبينه
فـانكدت الجـبال مـن حـنينه

وكـيف لا وهـو جـمال بـهجته
وفـي مـحياه سـرور مـهجته

كـــافل أهــله وســاقي صــبيته
وحـــامل اللـــوا بــعالي هــمّته
واحـــدة لكـــنّه كـــلّ القــوى
وليث غـــابة بـــطفّ نـــينوى
نـــاح عــلى أخــيه نــوح الثكـلى
بــل النــبيّ فــي الرفـيق الأعـلى
وانشـــقّت الســـما وأمــطرت دمـا
فـــــما أجــلّ رزأه وأعـــظما
بكـــاه كـــالهطال حــزناً والده
وكـــيف لا وبـــان مــنه ســاعده
بكــاه صــنوه الزكــي المــجتبى
وكـــيف لا ونـــور عــينه خــبا
نـــاحت بــنات الوحــي والتــنزيل
عـــليه مـــذ أمست بــلا كــفيل
ناحت عـليه الحـور فـي قـصورها
لنــوح آل البــيت فــي خــدورها
نـــــاحت عـــليه زمــر الأمــلاك
مـــذ نـــاحت العــقائل الزواكــي
فــمَن لتــلك الخــفرات الطــاهرة
مذ سبيت حسـرى القـناع سـافرة
أيـــن ربـــيب المــجد أمّاً وأباً
عــن أخــواتــه وهــنّ فـي السـبا

وأيـــن عـــن ودائـــع الـنـبـوّة
مـــمثّل الغـــيرة والفـــتوّة

وأيـــن عـــنها ربّ أربـــاب الإبـــا
إذ هـــجم الخـــيل عـــنهن الخـــبا

فأصـــبحت نـــهباً لكـــلّ مـــارق
مســـوّدة المـــتون والعـــواتـــق

فيها اشـتفى العـدوّ مـن ضـغائنه
فأيـن حـامي الظـعن عـن ظـعائنه

أيـن فـتى الفـتيان يـوم المـلحمة
عـــن فـــتياته بأيـــدي الظـلمة

فـــليته يـــرى بـــعين البـــاري
عـــزائـــز اللّـــه عـــلى الأكـــوار

يـــهدي بـــها مـــن بـــلد إلى بـــلد
وهـــنّ فـــي أعـــظم كـــرب وكـــمد

وللعلّامة الشيخ حسن ابن الشيخ محسن مصبّح الحلّي[1] من قصيدة في الحسين عليه السلام :

---

(١) آل مصبّح أُسرة في الحلّة اشتهرت بالعلم والأدب ، منهم : شيخ حسين جدّ المترجم ، وابنه الشيخ محسن والد المترجم ، كان من العلماء الأفاضل ، رثاه السيّد حيدر في قصيدة مثبتة في ديوانه ، ومنهم المترجم ولد في الحلّة وهاجر إلى النجف لطلب العلم ولمّا يبلغ العشرين من عمره ورجع بعد استكمال الفضيلة ، وحجّ مكّة المكّرمة خمساً وعشرين مرّة تطوعاً تارة ، ونائباً ومعلّماً أخرى ، جمع ديوانه في حياته وهو حسن جدّاً يناهز العشرة آلاف بيتاً ، وجلّ شعره في أهل البيت مدحاً ورثاءً ، توفّي عن عمر تجاوز السبعين سنة ١٣١٧ هـ ، وحمل إلى النجف (البابليّات للخطيب الأستاذ الشيخ محمّد علي اليعقوبي) .

فهناك هبّ ابن الوصيّ إلى الوغى
بهمّة ليث لم يرعه قتامها
أبو الفضل حامي ثغرة الدين جامع
فرائده إن سلّ منها نظامها
نضى لقراع الشوس غضباً بحدّه
ليوم التنادي يستكنّ حمامها
عليه انطوت في حلبة الطعن فانطوى
عليه الفضا منه وضاق مقامها
وخاض بها جرّاً يرفّ عبابه
ضباً ويد الأقدار جالت سهامها
فحلأها عن جانب النهر عنوة
وولّت عواديها يصل لجامها
ودمدم ليث الغاب يعطو بسالة
إلى الماء لم يكبر عليه ازدحامها
ثنى رجله عن صهوة المهر وامتطى
قرى النهر واحتلّ السقاء همامها
وهبّ إلى نحو الخيام مشمّراً
لري عطاشا قد طواها أوامها
ألّمت به سوداء يخطف برقها
البصائر من رعب ويعلو قتامها
جلاها بمشحوذ الغرارين أبلج
يدبّ به لدار عين حمامها

فلولا قضاء اللّه لم يبق منهم
حسيس ولم يكبر عليه اتّصامها

بماضية الأقدار جدّت يساره
وثنت بيمنى منه طاب التثامها

وفي عمد حتم القضا شجّ رأسه
ترجّل وانثالت عليه لئامها

به انتظمت سمر القنا وتشاكلت
وكم فيه يوم الروع حلّ نظامها

دعا يا حمى الإسلام يا بن الذي به
دعائم دين اللّه شدّ قوامها

جرى نافذ الأقدار في من تحمه
سراعاً فإنّ النفس حان حمامها

فشدّ مجيباً دعوة الليث طالباً
تراب به الأعداء طال اجترامها

طواها ضراباً سلّ فيه نفوسها
وحلّق فيها للبوار اخترامها

وأحنى عليه قائلاً هتك العدى
حجاب المعالي واستحلّ حرامها

أخي بمن أسطو وإنّكَ ساعدي
وعضبي إذا ما ضاق يوماً مقامها

أخي فمَن يُعطي المكارم حقّها
ومَن فيه إعزازاً تطاول هامها

أخـــي فــمن للــمحصنات إذا غــدت
بــملساء يــذكي الحــائمات رغــامها
أخـــي لمــن أُعــطي اللــواء ومَـن بـه
يشقّ عباب الحـرب إن جـاش سـامها
أخـــي فــمن يــحمي الذمــار حـفيظة
إذا مــا كــبا بــالضاريات اعــتزامـها
كــفى أســفاً أنّــي فـقدت حشـاشتي
بـــفقدكَ والأرزاء جـــدّ احـتدامــها
فــوالهــفتا والدهــر غــدر صــروفه
عــليكَ وعــفواً نــاضلتني ســهامها
إلى اللّـــه أشكــو لوعــة لو أبــثّها
على شـامخات الأرض سـاخ شـمامها
عـــلى أنّــني والحكــم للّــه لاحـق
بأثـــرك والدنـــيا قـــليل دوامــها
فقام وقد أحـنى الضـلوع عـلى جـوى
يـــئنّ كـما فــي الدوح أنّ حـمامها
حســبتك للأيــتام تــبقى ولم أخــل
تـــجرّ عـــليّ الداهــيات طــغامها

للعلّامة الحجّة الشيخ عبد الحسين صادق العاملي[1] :

---

(١) ولد في النجف الأشرف في شهر صفر سنة ١٢٧٩هـ وتوفّى ١٢ ذي الحجّة سنة ١٣٦١ ، ودفن في مقبرة بجنب الحسينيّة التي أسّسها في (النبطيّة) .

بكر الردى فاجتاح في نكبائه

نور الهدى ومحاسنا سيمائه

ودهى الرشاد بناسف لأشمّه

وبخاسف أواه بدر سمائه

ورمى فأصمى الدين في نفاذه

وارحمتاه لمنتهى أحشائه

يوماً به قمر الغطارف هاشم

صكّت يد الجلى جبين بهائه

سيم الهوان بكربلاء فطار للعزّ

الرفيع به جناح آبائه

أنّى يلين إلى الدنيّة ملمساً

أو تنحت الأقدار من ملسائه

هو ذلك البسام في الهيجاء

(والعبّاس) نازلة على أعدائه

من حيدر هو بضعة وصفيحة

من عزمه مشحوذة بمضائه

واسى أخاه بموقف العزّ الذي

وقفت سواري الشهب دون علائه

ملك الفرات على ظماه وأُسوة

بأخيه مات ولم يذق من مائه

لم أنسه مذكّر منعطفاً وقد

عطف الوكاء على معين سقائه

ولوى عـنان جـواده سـرعان نـحو
مـخيّم يـطفي أوار ظـمائه
فـاعتاقه السـدان مـن بـيض ومـن
سـمر وكـلّ سـدّ رحب فـضائه
فـانصاع يـخترق الصـوارم والقـنا
لا يـرعوي كـالسهم فـي غـلوائـه
يـفري الطـلا ويـخيط أفـلاذ الكـلا
بشـباة أبـيضه وفـي سـمرائـه
ويـجول جـولة حـيدر بكـتائب
مـلأ الفـضا كـالليل فـي ظـلمائه
حـتّى إذا مـا حـان حـين شـهادة
رقـمت له فـي لوح فـضل قـضائه
حسـمت مـذربة الحسـام مـقلة
لسـقائه ومـجيلة للـوائـه
أمـن العـدى فـتكاته فـدنا له
مـن كـان هـياباً مـهيب لقـائه
وعـلاه فـي عـمد فـخر لوجـهه
ويـمينه ويسـاره بأزائـه
نـادى أخـاه فكـان عـند نـدائـه
كـالكوكب المـنقضّ فـي جـوزائـه
وافـى عـليه مـفرّقاً عـنه العـدى
ومـجمعاً مـا أنـبثّ مـن أشـلائه

وهــــوى يـــقبّله ومــا مــن مــوضع
للـــــــثم إلّا غــــــارق بــــدمائه

ويــــميط عــن حــرّ المـحيا حـمرة
عــــلقية صـــــبغت لجـــين صـفائه

يـــا مــــبكياً عــــين الإمــام عـليك
فـــلتبك الأنــــام تأسّــيساً بـبكائه

ومــــقوّساً مـــــنه القـــوام وحــانياً
مــنه الضــلوع عــلى جـوى بـرحائه

فــلننحني حـــزناً عـــليك تأسّــياً
بـــالسبط فـــي تـقويسه وحـنائه

أنتَ الحـــريّ بأن تـقيم بـنو الورى
طــرى ليــوم الحشــر سـوق عـزائه

هذا آخر ما وقفنا عليه من حياة قمر الهاشميّين، واللّه وليّ التوفيق، والحمد للّه ربّ العالمين، وصلّى اللّه على محمّد وآله الهداة الميامين، ونسأله سبحانه الهداية لما يرضيه والزلفى لديه تعالت آلآؤه.

فهرس المصادر

القرآن الكريم: كتاب اللّه سبحانه وتعالىٰ المنزل.

١ ـ **الرد علىٰ المتعصب العنيد**، الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن علي المعروف بابن الجوزي ت٥٩٧، تحقيق الشيخ محمّد كاظم المحمودي، طبع سنة ١٤٠٣ ـ ١٩٨٣.

٢ ـ **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، يوسف بن عبد اللّه بن محمّد ابن عبداللّه القرطبي ت٤٦٣، تحقيق علي محمّد معوض وعادل أحمد عبدالموجود، الطبعة الأُولىٰ ١٤١٥هـ ـ١٩٩٥م دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٣ ـ **الجامع لأحكام القرآن**، محمّد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ت ٦٧هـ، تحقيق ابراهيم أصفيش، طبع سنة ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م، دار لحياة التراث العربي ـ بيروت.

٤ ـ **الخرائج والجرائح**، قطب الدين الراوندي، ت٥٧٣، تحقيق محمّد باقر المحمودي، الطبعة الأُولىٰ ١٤٠٩هـ، مؤسسه الامام المهدي عليه‌السلام ـ قم.

٥ ـ **الاحتجاج**، أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، تعليق محمّد باقر الخرساني، سنة الطبع ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م، دار النعمان ـ النجف الأشرف.

٦ ـ **إحقاق الحق وازهاق الباطل**، نور اللّه الحسيني التستري، ت١٠١٩، تعليق السيّد شهاب الدين المرعشي، منشورات مكتبة آية اللّه العظمىٰ المرعشي النجفي ـ قم ـ إيران.

٧ ـ **الأخبار الطوال**، أحمد بن داود الدينوري ، ت ٢٨٢هـ ، تحقيق عبد المنعم عامر الطبقه الأُولىٰ ١٩٦٠م ، دار احياء الكتاب العربي ـ القاهرة .

٨ ـ **الاختصاص**، الشيخ المفيد ، تحقيق علي أكبر الغفاري ومحمود الزرندي ، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م دار المفيد ـ بيروت .

٩ ـ **الإرشاد**، محمّد بن النعمان العكبري البغدادي المعروف بالشيخ المفيد ، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام ـ الطبعة الثانية ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣ م ، دار المفيد ـ بيروت ـ لبنان .

١٠ ـ **الاستيعاب في معرفة الأصحاب** ، أحمد بن عبداللّه بن أحمد ابن عبد البر ، ت ٤٦٣ ، تحقيق علي محمّد البجاوي ، الطبقة الأُولىٰ ١٤١٢هـ ـ دار الجبل ـ بيروت .

١١ ـ **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم المعروف بابن الأثير ، دار الكتاب العربي ـ بيروت .

١٢ ـ **الإصابة في تمييز الصحابة**، أحمد بن حجر العسقلاني ، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمّد عوض ، الطبقة الأُولىٰ ١٤١٥هـ ـ دار الكتب العلميه ـ بيروت .

١٣ ـ **الإصابة في تمييز الصحابة**، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، ت ٨٥٢هـ ، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود علي محمّد معوض ، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ ، ٢٠٠٢م ، دار الكتب العلمية ـ بيروت .

١٤ ـ **الأصول الستة عشر من الأصول الأولية**، تحقيق ضياء الدين المحمودي ، الطبعة الأُولىٰ ١٤٢٣هـ ـ ١٣٨١ ش ، دار الحديث قم .

١٥ ـ **الأغاني** ، علي بن الحسين أبو الفرج الاصفهاني ، ت ٣٥٦ ، الطبعة الأُولىٰ ، دار احياء التراث العربى ـ بيروت .

١٦ ـ **الأمالي**، علي بن الطاهر المعروف بالمرتضىٰ ، تحقيق محمّد بدر الدين الحلبي ، الطبعة الأُولىٰ ١٣٢٥ ـ ١٩٠٧م ، منشورات مكتبة آية اللّه

المرعشي.

١٧ ـ الأمالي، محمّد علي بن الحسن بن بابويه القمّي، تحقيق قسم الدراسات السلامية، الطبعة الأُولىٰ ١٤١٧هـ ـ مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة.

١٨ ـ إمتاع الأسماع، تقي الدين أحمد بن علي بن القاد المقريزي، ت ٨٤٥هـ ـ تحقيق محمّد عبد الحميد النميسي الطبعة الأُولىٰ ١٤٢٠ هـ ١٩٩٩م، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

١٩ ـ أوائل المقالات، محمّد العكبري البغدادي المعروف بالشيخ المفيد، ت ٤١٣، تحقيق إبراهيم الانصاري الطبعة الثانية ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م، دار المفيد ـ بيروت.

٢٠ ـ إيمان أبي طالب، محمّد بن محمّد بن النعمان العكبري البغدادي المعروف بالشيخ المفيد، تحقيق مؤسسة البعثة، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م، دار المفيد ـ بيروت ـ لبنان.

٢١ ـ بحار الأنوار، محمّد باقر المجلسي، تحقيق محمّد باقر البهبودي، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٢٢ ـ البداية والنهاية، إسماعيل بن كثير الدمشقي، تحقيق علي شيري، الطبعة الأُولىٰ ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م، دار التراث العربي ـ بيروت.

٢٣ ـ بشارة المصطفىٰ، محمّد بن علي الطبري، ت ٥٢٥، تحقيق جواد القيومي الاصفهاني، الطبعة الأُولىٰ ١٤٢٠هـ ـ مؤسسة النشر الاسلامي التابعة جماعة المدرسين بقم.

٢٤ ـ بصائر الدرجات، محمّد بن الحسن الصفار، ت ٢٩٠، تحقيق ميرزا حسن باغي طبع سنة ١٤٠٤هـ ـ الأحمدي ـ طهران.

٢٥ ـ تاريخ الإسلام، محمّد بن أحمد بن عثمان شمس الدين الذهبي، تحقيق عمر عبدالسلام ترمزي، الطبعة الأُولىٰ ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م، دار

الكتاب العربي ـ بيروت .

٢٦ ـ **تاريخ الأمم والملوك**، محمّد بن جرير الطبري ، ت ٣١٠، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ـ لبنان ، مقابلة على النسخة المطبوعة في لندن ١٨٧٩ .

٢٧ ـ **تاريخ الأمم والملوك** ، محمّد بن جرير الطبري ت ٣١٠، تحقيق نخبه من العلماء ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ـ لبنان .

٢٨ ـ **تاريخ بغداد**، أحمد بن علي البغدادي ، تحقيق مصطفىٰ عبد القادر عطا ، الطبعة الأُولىٰ ١٤١٧هـ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت .

٢٩ ـ **تاريخ مدينة دمشق**، علي بن الحسن بن هبة اللّه المعروف بابن عساكر ، تحقيق علي شيري ، سنة الطبع ١٤١٥ ، دار الكتب العلمية ـ بيروت .

٣٠ ـ **تاريخ اليعقوبي** ، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب المعروف باليعقوبي ، ت ٢٨٤ ، نشر مؤسسة نشر فرهنگ أهل بيت:ـ قم ـ إيران .

٣١ ـ **تخريج الأحاديث والآثار**، جمال الدين الزيلعي ، ت ٧٦٢ ، تحقيق عبداللّه بن عبدالرحمان السعد ، الطبعة الأُولىٰ ١٤١٤هـ الرياض دار ابن خزيمة .

٣٢ ـ **تذكرة الخواص**، يوسف بن قزغلي ، سبط ابن الجوزي ،ت ٦٥٤ ، تحقيق حسن تقي زاده ، الطبعة الأُولىٰ ١٤٢٦ هـ ، مجمع أهل بيت عليهم السلام .

٣٣ ـ **تذكرة الموضوعات**، محمّد طاهر بن علي الهندي الفتني ، ت ٩٨٦ هـ .

٣٤ ـ **تفسير ابن أبي حاتم**، ابن أبي حاتم الرازي ، تحقيق أسعد محمّد الطيب ، المكتبة العصرية ـ صيدا .

٣٥ ـ **تفسير ابن كثير**، إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، ت ٧٧٤هـ ، تحقيق يوسف عبدالرحمان المرعشلي ، طبع سنة ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢ م ، دار

المعرفة ـ بيروت ـ لبنان .

٣٦ ـ **تفسير الآلوسي**، الآلوسي ، ت ١٢٧٠هـ .

٣٧ ـ **تفسير البغوي** ، ت ٥١٠ ، خالد عبدالرحمن الملك ، دار المعرفة ـ بيروت .

٣٨ ـ **تفسير الثعلبي**، ت ٤٣٧ ، تحقيق الإمام علي عاشور ، الطبعة الأُولىٰ ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م ، بيروت ـ لبنان .

٣٩ ـ **التفسير الكبير**، الفخر الرازي ، تحقيق دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الثانية ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت .

٤٠ ـ **تاريخ اليعقوبي** ، أحمد بن أبي يعقوب بن وهب ، طبعة دار صادر ـ بيروت ، نشر مؤسسة ونشر فرهنگ أهل بيت عليهم السلام ـ قم .

٤١ ـ **تهذيب الأحكام في شرح المقنعة**، محمّد بن الحسن الطوسي ، ت ٤٦٠هـ ، تحقيق السيّد حسن الخرساني ، الطبعة الرابعة ١٣٥٦ش ، دار الكتب الاسلامية ـ طهران .

٤٢ ـ **تهذيب الكمال** ، جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي ، ت ٦٥٤ ـ ٧٤٢، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف ، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت .

٤٣ ـ **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، محمّد بن جرير الطبري ، تحقيق الشيخ خليل الميس ، طبع سنة ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م ، دار الفكر ـ بيروت .

٤٤ ـ **جمال الاسبوع**، السيّد ابن طاوس ، ت ٦٦٤ ، تحقيق جواد فيومي الجنائي الاصفهاني ، الطبعة الأُولىٰ ، ١٣٧١ .

٤٥ ـ **حلية الأبرار في أحوال محمّد وآله الأطهار** عليهم السلام ، السيّد هاشم البحراني ، تحقيق غلام رضا مولانا البروجردي ، الطبعة الأُولىٰ ١٤١٤هـ ـ مؤسسة المعارف الإسلامية ـ قم .

٤٦ ـ **الدرجات الرفيعة**، السيّد علي خان المدني ، ت ١١٢٠هـ ، طبع سنة

١٣٩٧، بصيرتي ـ قم .

٤٧ ـ **الدرر في اختصار المغازي**، أحمد بن عبد اللّه بن أحمد ابن عبد البر، ت ٤٦٣ .

٤٨ ـ **الدرّ النظيم**، جمال الدين يوسف بن حاتم بن فوز العاملي، ت ٦٦٤، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ـ قم .

٤٩ ـ **الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور**، جلال الدين السيوطي، ت ٩١١، دار المعرفه للطباعة والنشر بيروت ـ لبنان .

٥٠ ـ **الدمعة الساكبة في أحوال النبي صلى الله عليه وآله وسلم والعترة الطاهرة**، محمّد باقر البهبهاني، ت ٢٨٥، الطبعة الأُولىٰ ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م، مؤسسة الأعلمي ـ بيروت .

٥١ ـ **الذرية الطاهرة**، محمّد بن أحمد بن حماد الدولابي، ت ٣١٠هـ، تحقيق السيّد محمود الجلالي، الطبعة الأُولىٰ ١٤٠٧هـ، مؤسسة النشر الإسلامي ـ قم .

٥٢ ـ **رياض الصالحين**، يحيىٰ بن شرف النووي الدمشقي، ت ٦٧٦، الطبعة الثانية ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م، دار الفكر المعاصر، بيروت ـ لبنان .

٥٣ ـ **روضة الواعظين**، محمّد بن الفتال النيسابوري، ت ٥٠٨، تحقيق السيّد محمّد مهدي الخرساني، منشورات الشريف ـ قم .

٥٤ ـ **زاد المسير**، عبد الرحمن بن علي بن محمّد الجوزي، تحقيق محمّد بن عبد الرحمٰن، الطبعة الأُولىٰ ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان .

٥٥ ـ **سنن ابن ماجة**، محمّد بن يزيد القزويني، تحقيق محمّد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر ـ بيروت .

٥٦ ـ **سرّ السلسلة العلوية**، أبي نصر البخاري، ت ٣٤١، تقديم محمّد صادق بحر العلوم، الطبعة الأُولىٰ ١٤١٣هـ، انتشارات الشريف الرضي .

٥٧ ـ **سنن الترمذي**، محمّد بن عيسىٰ الترمذي، تحقيق عبد الرحمن محمّد عثمان، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م دار الفكر ـ بيروت.

٥٨ ـ **السياسة الشرعية**، محمّد بن عبد الحليم الحراني، سي دي مؤلفات الشيخ والتلميذ.

٥٩ ـ **السنن الكبرىٰ**، أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق الدكتور عبد الغفار سليمان البندادي، وسيّد كسروي حسن، الطبعة الأُولىٰ ١٤١١ هـ ـ ١٩٩١م، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٦٠ ـ **السيرة الحلبية**، برهان الدين الحلبي الشافعي، ت ١٠٤٤، طبع سنة ١٤٠٠هـ ـ دار المعرفة ـ بيروت.

٦١ ـ **سبل الهدىٰ والرشاد**، محمّد بن يوسف الصالحي الشامي، تحقيق الشيخ عادل أحمد بن عبد الموجود وعلي محمّد معوض، الطبعة الأُولىٰ ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٦٢ ـ **السنة**، عمرو بن أبي عاصم الضحّاك الشيباني، تحقيق الشيخ محمّد ناصر الدين الالباني، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م، المكتب الإسلامي ـ بيروت.

٦٣ ـ **سيرة ابن إسحاق**، محمّد بن إسحاق بن يسار، ت ١٥١، تحقيق محمّد حميد اللّه، معهد الدراسات والأبحاث.

٦٤ ـ **السيرة النبوية**، عبد الملك بن هشام بن أيوب، ت ٢٨٨، تحقيق محمّد محي الدّين عبد الحميد، طبع سنة ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٣م، القاهرة.

٦٥ ـ **السيرة النبوية**، تأليف محمّد بن إسحاق بن يسار المطلبي، ت ١٥١، وهذبها عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، ت ٢١٨، تحقيق محمّد محي الدين عبد الحميد، طبع سنة ١٣٨٣ ـ ١٩٦٣، المدني ـ القاهرة.

٦٦ ـ **السيرة النبوية**، إسماعيل بن كثير، ت ٧٧٤هـ، تحقيق مصطفىٰ عبد الواحد، طبع سنة ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م، دار المعرفة ـ بيروت.

٦٧ ـ **شواهد التنزيل**، عبيد اللّه بن أحمد المعروف بالحاكم الحسكاني، تحقيق الشيخ محمّد باقر المحمودي، الطبعة الأُولىٰ ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي.

٦٨ ـ **شرح نهج البلاغة**، ابن أبي الحديد المعتزلي، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، بيروت ـ لبنان.

٦٩ ـ **شرح نهج البلاغة**، ابن أبي الحديد المعتزلي، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر ـ قم.

٧٠ ـ **شواهد التنزيل لقواعد التفضيل في الآيات النازلة في أهل البيت صلوات اللّه وسلامه عليهم**، عبيد اللّه بن عبد اللّه بن أحمد المعروف بالحاكم الحسكاني، تحقيق الشيخ محمّد باقر المحمودي، الطبعة الأُولىٰ ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية ـ قم.

٧١ ـ **صحيح مسلم**، مسلم بن الحجاج النيسابوري، دار الفكر ـ بيروت.

٧٢ ـ **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**، علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، طبع سنة ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م، مؤسسة الرسالة.

٧٣ ـ **صحيح البخاري**، محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، طبعة سنة ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م، دار الفكر ـ بيروت.

٧٤ ـ **الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف**، علي بن موسىٰ بن طاووس الحلّي، ت ٦٦٤، طبع سنة ١٣٩٩هـ ـ خيام ـ قم.

٧٥ ـ **الطبقات الكبرىٰ**، محمّد بن سعد، ت ٢٣٠، دار صادر ـ بيروت.

٧٦ ـ **عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب**، أحمد بن علي الحسيني المعروف بابن عنبه، ت ٨٢٨، تصحيح محمّد حسن آل الطالقاني، الطبعة الثانية، ١٣٨٠هـ ـ ١٩٦١م، المطبعة الحيدرية ـ النجف الأشرف.

٧٧ ـ **عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب**، أحمد بن علي الحسيني

المعروف بابن عنبة ، ت٨٢٨هـ ، طبع سنة ١٤١٧هـ ـ١٩٩٦م ، الصدر ـ قم .

٧٨ ـ **عمدة القارئ في شرح صحيح البخاري** ، العيني ت ٨٥٥، طبع دار إحياء التراث العربي ـ بيروت .

٧٩ ـ **عقيدة أبي طالب**، السيّد طالب الرفاعي ، نشر مركز الأبحاث العقائدية .

٨٠ ـ **عوالي اللئالئ العزيزة في الأحاديث الدينية**، محمّد بن علي بن إبراهيم الاحسائي ، ت ٨٨٠، تحقيق مجتبئ العراقي ، الطبعة الأُولىٰ ١٤٠٨ ـ ١٩٨٥م ، سيد الشهداء ـ قم .

٨١ ـ **الغدير، الشيخ الأميني** ، الطبعة الثالثة ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م ، دار الكتاب العربي بيروت ـ لبنان .

٨٢ ـ**فتح القدير الجامع بين فن الرواية والدراية من علم التفسير** ،محمّد بن علي بن محمّد الشوكاني ، ت ١٢٥٥ ، مطبعة عالم الكتب .

٨٣ ـ **فقه الرضا**، علي بن بابويه ، ت٣٢٩ ، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام ، الطبعة الأُولىٰ ١٤٠٦هـ .

٨٤ ـ **فتوح البلدان**، أحمد بن يحيىٰ بن جابر المعروف بالبلاذري، ت ٢٧٩هـ تحقيق صلاح الدين المنجد، طبع سنة ١٩٥٦م ،مكتبة النهضة ـ مصر.

٨٥ ـ**فتح الباري شرح صحيح البخاري**، شهاب الدين بن حجر العسقلاني ، ت ٨٥٢، الطبعة الثانية ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ـ لبنان .

٨٦ ـ**الفتوح**، أحمد بن أعثم الكوفي ، ت ٣١٤هـ ـ ٩٢٦م ، تحقيق علي شيري ، الطبعة الأُولىٰ ١٤١١هـ ، دار الأضواء .

٨٧ ـ **فيض القدير في شرح الجامع الصغير** ، محمّد بن عبد الرؤوف المناوي ، تحقيق أحمد عبد السلام الطبعة الأُولىٰ ١٤١٥هـ ، دار الكتب العلمية ـ بيروت .

٨٨ ـ**القاموس المحيط**، الفيروزآبادي ، ت ٨١٧هـ .

٨٩ ـ قرب الاسناد، عبد الله بن جعفر الحميري، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام، الطبعة الأُولىٰ ١٤١٣هـ، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ـ قم.

٩٠ ـ كامل الزيارات، جعفر بن محمّد بن قولويه القمّي، ت٣٦٨، تحقيق الشيخ جواد القيومي، الطبعة الأُولىٰ ١٤١٧هـ ـ مؤسسة النشر الإسلامي، قم.

٩١ ـ الكامل في التاريخ، علي بن أبي الكرم محمّد بن محمّد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير، ت ٦٣٠، طبع سنة ١٣٨٦ ـ ١٩٦٦م، دار صادر ـ بيروت.

٩٢ ـ كتاب الولاية، أحمد بن محمّد بن سعيد بن عقدة الكوفي، جمع وترتيب عبد الرزاق محمّد حسين حرز الدين، الطبعة الأُولىٰ، ١٤٢١ هـ ـ انتشارات دليل.

٩٣ ـ الكامل، المبرد، طبع سنة ١٣٥٥.

٩٤ ـ كنز الفوائد، محمّد بن علي بن عثمان الكراجكي، ت٤٤٩هـ، تحقيق عبد الله نعمة، طبع سنة ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م، دار الأضواء ـ بيروت.

٩٥ ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، جار الله الزمخشري، ت٥٣٨، طبع سنة ١٣٨٥ ـ ١٩٦٦م، شركة مكتبة مصطفىٰ البابي الحلبي وأولاده ـ مصر.

٩٦ ـ كنز الفوائد، محمّد بن علي الكراجكي، ت٤٤٩، الطبعة الثانية ١٣٦٩، مطبعة الغدير، مكتبة المصطفوي ـ قم.

٩٧ ـ كشف الغمة في معرفة الأئمة، علي بن عيسىٰ بن أبي الفتح الأربلي، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م، دار الأضواء، بيروت ـ لبنان.

٩٨ ـ الكافي، محمّد بن يعقوب بن إسحاق الكليني، تحقيق علي أكبر غفاري، الطبعة الثالثة ١٢٦٧ ش، دار الكتب الإسلامية ـ طهران.

٩٩ ـ مستدرك الوسائل، حسين النوري الطبري، ت ١٣٢٠، تحقيق

مؤسسة آل البيت عليهم السلام ، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٩م ، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث الإسلامي بيروت ـ لبنان .

١٠٠ ـ **المجدي في أنساب الطالبين**، علي بن محمّد بن علي بن محمّد العلوي العمري ، تحقيق الدكتور أحمد المهدوي الدامغاني ، الطبعة الأُولىٰ ١٤٠٩هـ ، سيد الشهداء ـ قم .

١٠١ ـ **المجدي في أنساب الطالبين** ، علي بن محمّد العلوي ، ت ٧٠٩هـ ، تحقيق أحمد الدامغاني ، الطبعة الأُولىٰ ١٤٠٩هـ ، مكتبة آية اللّه المرعشي .

١٠٢ ـ **المناقب** ، الموفق بن أحمد بن محمّد المكي ، تحقيق الشيخ مالك المحمودي ، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ ـ مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين .

١٠٣ ـ **مصباح الفقاهة** ، تقرير بحث السيّد أبو القاسم الخوئي ، بقلم محمّد علي التوحيدي التبريزي ، الطبعة الأُولىٰ المطبعة العلمية ـ قم ، نشر مكتبة الداوري ـ قم .

١٠٤ ـ **مناقب علي بن أبي طالب وما نزل من القرآن فيه**، أحمد ابن موسىٰ بن مردويه الاصفهاني ، ت ٤١٠ ، عبد الرزاق محمّد حسين حرز الدين ، الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ ـ ١٣٨٣ش ، دار الحديث ـ قم .

١٠٥ ـ **مسند أحمد بن حنبل** ، أحمد بن حنبل ، ت ٢٤١ ، دار صادر ـ بيروت .

١٠٦ ـ **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد** ، نور الدين الهيثمي ، طبع سنة ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨م ، دار الكتب العلمية ـ بيروت .

١٠٧ ـ **المصنف**، عبد اللّه بن محمّد بن أبي شيبة الكوفي ، تحقيق سعيد اللحام ، طبع سنة ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م ، دار الفكر ، بيروت ـ لبنان .

١٠٨ ـ **ميزان الاعتدال**، شمس الدين الذهبي ، تحقيق علي محمّد البجاوي ، الطبعة الأُولىٰ ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٣م ، دار المعرفة ، بيروت ـ لبنان .

١٠٩ ـ مسند ابن راهويه، إسحاق بن إبراهيم بن مخلد المروزي ، تحقيق الدكتور عبد الغفور عبد الحقّ حسين برد البلوسي ، الطبعة الأُولىٰ ١٤١٢هـ مكتب الإيمان ـ المدينة المنورة .

١١٠ ـ مقاتل الطالبين ، أبي الفرج الأصفهاني ، تحقيق كاظم المظفر ـ الطبعة الثانية ، مؤسسة دار الكتاب ـ قم .

١١١ ـ مستدرك الوسائل، الميرزا النوري ، ت ١٣٢٠ ، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام ، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م ، مؤسسة آل البيت عليهم السلام .

١١٢ ـ من لا يحضره الفقيه، محمّد بن علي بن بابويه القمّي المعروف بالشيخ الصدوق ، ت ٣٨١هـ ، تحقيق علي أكبر غفاري ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ـ قم .

١١٣ ـ معجم البلدان، ياقوت بن عبد اللّه الحموي الرومي البغدادي ، ت٦٣٦هـ ، طبع سنة ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت .

١١٤ ـ منهج الرشاد لمن أراد السداد ، جعفر كاشف الغطاء ، ت١٢٢٨ ، تحقيق جودت القزويني ، الطبعة الأُولىٰ ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م ، مطبوع ضمن الطبقات العنبرية في الطبقات الجعفرية لمحمّد حسين كاشف الغطاء .

١١٥ ـ المسترشد، محمّد بن جرير الطبري (الشيعي) ، القرن الرابع ، تحقيق أحمد المحمودي ، الطبعة الأُولىٰ ١٤١٥هـ ، مؤسسة الثقافة الإسلامية .

١١٦ ـ المحتضر، حسن بن سليمان الحلّي ، القرن الثامن ، تحقيق علي أشرف ، طبع سنة ١٤٢٤ ـ انتشارات المكتبة الحيدرية .

١١٧ ـ المزار ، محمّد بن مكّي العاملي المعروف بالشهيد الأوّل ، ت٧٨٦ ، تحقيق مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام ، الطبعة الأُولىٰ ١٤١٠هـ ، مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام ـ قم .

١١٨ ـ المزار، محمّد بن المشهدي ، ت ٦١٠ ، تحقيق جواد القيومي الاصفهاني ، الطبعة الأُولىٰ ١٤١٩ ، مؤسسة النشر الإسلامي ـ قم .

١١٩ ـ المزار، محمّد بن محمّد بن النعمان المعروف بالشيخ المفيد، ت٤١٣هـ، تحقيق محمّد باقر الأبطحي، الطبعة الثانية ١٤١٤ ـ١٩٩٣م، دار المفيد، بيروت ـ لبنان.

١٢٠ ـ مقتل الحسين المسمىٰ باللهوف، علي بن موسىٰ بن جعفر ابن طاووس، ت٦٦٤هـ، الطبعة الأُولىٰ ١٤١٧، أنوار الهدىٰ ـ قم.

١٢١ ـ معجم ما استعجم، عبد اللّه بن عبد العزيز البكري الأندلسي، ت٤٨٧، تحقيق مصطفىٰ السقا، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

١٢٢ ـ لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني، ت٨٥٢، الطبعة الثانية ١٣٩٠ ـ ١٩٧١م، مؤسسة الأعلمي، بيروت ـ لبنان.

١٢٣ ـ المحاسن، أحمد بن محمّد بن خالد البرقي، تحقيق السيّد جلال الدين الحسيني، طبع سنة ١٣٧٠ ـ ١٣٣٠ ش، دار الكتب العلمية ـ طهران.

١٢٤ ـ المستدرك علىٰ الصحيحين، الحاكم النيسابوري، تحقيق يوسف عبد الرحمٰن المرعشلي.

١٢٥ ـ المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق حميدي عبد المجيد سلفي، الطبعة الثانية ١٤٠٥ ـ ١٩٨٥م، دار إحياء التراث العربي.

١٢٦ ـ المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد الطبري، تحقيق دار الحرمين، طبع سنة ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م، دار الحرمين للطباعة والنشر.

١٢٧ ـ المعجم الصغير، سليمان بن أحمد الطبراني، ت ٣٩٠، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.

١٢٨ ـ مسند أبي داود الطيالسي، سليمان بن داود بن الجارود الفارسي البصري الشهير بأبي داود الطيالسي، ت٤٠٤، دار المعرفة ـ بيروت.

١٢٩ ـ معجم البلدان، ياقوت بن عبد اللّه الحموي، ت٦٢٦، طبع سنة ١٣٩٩ ـ ١٩٧٩م، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

١٣٠ ـ مسند سعد بن أبي وقاص، أحمد بن إبراهيم بن كثير الدورقي

البغدادي ، تحقيق حسن صبري ، الطبعة الأُولىٰ ١٤٠٧هـ ، دار البشائر الإسلامية ـ بيروت .

١٣١ ـ المصنف، عبد الرزاق بن همّام الصنعاني ، تحقيق وتعليق : حبيب الرحمٰن الأعظمي ، منشورات المجلس العلمي .

١٣٢ ـ مناقب آل أبي طالب ، مشير الدين أبي عبد اللّه محمّد بن علي ابن شهرآشوب ، تحقيق لجنة من أساتذة النجف الأشرف ، طبع سنة ١٣٧٦هـ ١٩٥٦م ، المكتبة الحيدرية ـ النجف الأشرف .

١٣٣ ـ مثير الأحزان، محمّد بن جعفر بن أبي البقاء هبة الدين نما الحلّي ، ت ٦٤٥ ، طبع سنة ١٣٦٩ ـ ١٩٥٠م ، المطبعة الحيدرية ـ النجف الأشرف .

١٣٤ ـ مسند أبي داود الطيالسي، سليمان بن داود بن الجارود الفارسي الشهير بأبي داود الطيالسي ، ت ٢٠٤هـ ، دار المعرفة ـ بيروت .

١٣٥ ـ مدينة المعاجز، السيّد هاشم البحراني ، ت١١٠٧هـ ، دار الكتب العلمية ـ قم .

١٣٦ ـ معرفة الثقات ، أحمد بن عبد اللّه بن صالح العجلي الكوفي ، ت ٢٦١ ، الطبعة الأُولىٰ ١٤٠٥ ، مكتبة الدار ـ المدينة المنورة .

١٣٧ ـ النوادر، فضل اللّه الراوندي ، ت ٥٧١ ، تحقيق سعيد رضا علي عسكري ، الطبعة الأُولىٰ ، مؤسسة دار الحديث ـ قم .

١٣٨ ـ نظم المتناثر من الحديث المتواتر ، محمّد بن جعفر الكتاني ، ت ١٣٤٥ ، الطبعة الثانية ، دار الكتب السلفية ـ مصر .

١٣٩ ـ نهج السعادة، الشيخ محمّد باقر المحمودي ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ـ لبنان .

١٤٠ ـ نهج البلاغة ، الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، تحقيق وتعليق الشيخ محمّد عبده ، دار المعرفة ـ بيروت .

١٤١ ـ نوادر المعجزات ، محمّد بن جرير الطبري (الشيعي) ، تحقيق

مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام ، الطبعة الأُولىٰ ١٤١٠هـ ـ مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام ـ قم .

١٤٢ ـ **وفيات الأعيان**، ابن خلكان ، ت ٦٨١ ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ـ بيروت .

١٤٣ ـ **وسائل الشيعة** ، محمّد بن الحسن بن الحر العاملي ، تحقيق عبد الرحيم الرباني الشيرازي ، الطبعة الخامسة ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت .

١٤٤ ـ **ينابيع المودة لذوي القربىٰ** ، سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي ، تحقيق علي جمال أشرف الحسني ، الطبعة الأُولىٰ ١٤١٦هـ ـ دار أسوة .

فهرس الموضوعات



هذا الكتاب

يتضمّن حياة وسيرة شخصية عظيمة قال عنها الامام علي بن الحسين : (إن لعمّي العبّاس ابن امير المؤمنين عند الله تعالى منزلةً يغبطه عليها جميع الشهداء والصديقين يوم القيامة) ، وقد أجاد مؤلف هذا الكتاب في بيان مختلف أبعاد حياة أبي الفضل العباس بشكل موضوعي وجذّاب وبعيد عن التعقيد ، فقدّم كتاباً أصبح مرجعاً أساسياً ومن أمّهات الكتب في مجال تخصّصه ، ثم جاءت خطوة تحقيق هذا الكتاب لتزيده جمالاً وروعة وشمولية عن طريق تقويم نصّه وتثبيت مصادره واضافه بعض التعليقات عليه .